

# كِتَابُ الْمَكَاْفَةِ

وَحُسْنُ الْعَقَبَةِ

ابن الذَّيْ  
أحمد بن يوسف الكاتب

٥٣٤٠ -

حققه ، وشرحه ، وصححه

محمود محمد شاكر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

كِتَابُ الْمَكَافَاةِ

جميع الحقوق محفوظة

# كِتَابُ الْمَكَاةِ

وَحْسَنُ الْعَقَبَى

ابن الداية  
أحمد بن يوسف الكاتب

- ٥٣٤٠

---

حققه، وشرحه، وصححه

محمود محمد شاكر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

[ أبو جعفر ، أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، صاحب كتاب المكافأة وحسن العقبى ، لم نجد من ترجمه إلا ياقوت الحموى فى معجم الأدباء ج ٢ ص ١٥٧ - ١٦٠ . وهذه الترجمة - على عادة شيوخنا رضوان الله عليهم - ناقصة لم تستوعب شيئاً مما يحقق المترجم معنى الترجمة . وذكر ياقوت فى هذه الترجمة أباه : « يوسف بن إبراهيم » ، فذكر بعض خبره ، ثم ذكر أحمد بن يوسف ، وعدّد كتبه ، وذكر تاريخ وفاته ، ولم يذكر مولده . ونقل من هذا الكتاب القصتين للذكورتين برقم ١٣ ورقم ٢٦ ]

\*\*\*

كانت أم « يوسف بن إبراهيم » ظئراً <sup>(١)</sup> لإبراهيم بن المهديّ ، أخى هرون الرشيد ، [ ولد إبراهيم بن المهديّ سنة ١٦٢ ] ، وكانت مجددة العهد بيت الخلافة . وفى سنة ١٨٠ ولد للرشيد : أبو إسحق محمد بن هرون الرشيد ، وهو المعتصم أمير المؤمنين ، وفى هذه السنة ولدت أم يوسف ، ولدها يوسف ، فأرضعته مع المعتصم . لهذا كان يوسف بن إبراهيم يعرف بابن الداية <sup>(٢)</sup> ، لمكان أمّه من رعاية إبراهيم بن المهديّ وحضاته وإرضاعه ،

---

(١) الداية والظئر واحد : وهى التى ترضع ولد غيرها وتحضنه

وكان يعرف برضيع المعتصم<sup>(١)</sup>، لمكان رضاعه مع المعتصم وهو سليله  
والناشي معه

ونحن نرجح أن يوسف بن إبراهيم نشأ مع أبناء هرون الرشيد حتى  
مات الرشيد سنة ١٩٣. فتخلق بأخلاق بيت الخلافة حتى قال ياقوت عنه :  
« كانت له مروءة تامة وعصية مشهورة »، ويعنى بالعصية انتصاره لأهل  
بيت الخلافة وتحقيقه بحبهم وخدمتهم . والذي زاه أنه وَّاع بالحساب والطب  
والأخبار والكتابة ، فأخذ عن جبرئيل بن بختيشوع طبيب الرشيد ، وعن  
إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ، وأيوب بن الحكم ، وعن أحمد بن رشيد  
الكاتب ، وصحب إبراهيم بن المهدي فأخذ عنه

ثم لم يزل مع إبراهيم بن المهدي حتى صار حاسبه القائم بأمر ضياعه ،  
وكاتبه الذي يتولى رسائله وصحبه وأسراره . وقد ذكر ولده أحمد بن يوسف  
« ص ١٣٦ » أنه ألف كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . ولكن ياقوت الحموي  
خلط في ترجمته ، فذكر أن يوسف ألف كتاباً في أخبار المتطبيين ، واقتصر  
على ذلك . وأدخل « كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي » و « كتاب الطبخ »  
في عدة مؤلفات ولده أحمد بن يوسف صاحب المكافأة . وهذا وهم فاسد ،  
فإن نص كلام أحمد بن يوسف في المكافأة « ص ١٣٦ » ، يدلّ دلالة واضحة  
على أن مؤلف هذين الكتابين هو أبوه : يوسف بن إبراهيم . وإنما رواهما

---

(١) انظر هذا الكتاب ص ١٣٦ ، وأخطأ ياقوت فقال : إنه رضيع إبراهيم بن المهدي

عنه أحمد بن يوسف ، وروى عنه أخبار إبراهيم بن المهدي أيضا: رضوان  
ابن أحمد جالينوس الصيدلاني ، ورواه عن رضوان أبو الفرج الأصفهاني ،  
وذكر بعض روايته عنه في كتابه «الأغانى»

ومّا تراح إليه النَّفس أن يوسف بن إبراهيم هرب إلى مِصر أو الشام ،  
في المدة التي استتر فيها إبراهيم بن المهدي بعد خلافته ومحاربتة المأمون ، من  
سنة ٢٠٣ إلى سنة ٢١٠ ، إذ ظفر به المأمون فأخذه وعفا عنه واستبقاه . فلما  
رجع إبراهيم إلى بغداد ، وعاش بها في أمان المأمون - رجع يوسف -  
وبقى معه إلى أن مات سنة ٢٢٤

وتزوج يوسف بن إبراهيم ببغداد من بنت ميمونة مولاة حمدونة أم  
محمد بنت الرشيد <sup>(١)</sup> ، وهذه الزوجة ليست أم « أحمد بن يوسف » بغير شك .  
وقد ذكر أحمد بن يوسف في المكافأة « ص ٥٦ » أخا له لم يسمه ، فلا ندري  
أهو شقيقه ، أم أخوه أكبر منه من بنت ميمونة هذه ؟

وقد روى يوسف بن إبراهيم <sup>(٢)</sup> أنه نزل دمشق سنة ٢٢٥ على عيسى بن  
حكم الدمشقي الطبيب ، فظاهر هذا أنه فارق بغداد بعد وفاة إبراهيم بن المهدي ،  
ولكنه رجع إليها وبقي بها إلى ما بعد سنة ٢٢٧ ، وهي السنة التي مات فيها المعتصم .  
ويدل على ذلك خبر رواه أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه <sup>(٣)</sup> ، يستبين منه أن

(١) ذكر ذلك في المكافأة ص ١٢٧ - ١٢٨

(٢) عيون الأنباء : ج ١ ص ١٢١

(٣) ج ١٤ ص ١٠٦ - ١٠٧

يوسف بن إبراهيم كان يبعث إلى وفاة المعتصم

قال: ارجع إذن أنه رحل من بغداد إلى مصر بعد ذلك ، فقد مات مولاه إبراهيم ، ومات رضيعه المعتصم ، واضطربت الدولة اضطراباً شديداً . وكان هو قد اعتقد من المال ما يسوغه النعمة في رغد العيش ، فنزل مصر ، وعمل في تقبل الضياع ، وحسن حاله وظاهره ، كما روى ذلك لولده « ص ١٢٦ » .  
ويدل ما رواه أحمد بن يوسف في المكافأة « ص ١٣٦ » على أن يوسف بن إبراهيم كان من كتاب مصر إلى سنة ٢٥٠ ، فإن حساب ضياعه كان في الدستورات القديمة التي طلبها أبو العباس بن بسطام ليعتبر منها عبر الضياع ، فلما جاء ابن طولون عزله عن ذلك لما يعرف من أسبابه بالحضرة العباسية

ولم يزل يوسف بن إبراهيم بمصر إلى أن جاء أحمد بن طولون إليها سنة ٢٥٤ . فلما استقر أحمد بن طولون بها جعل يحكم أمر دولته ، ويأخذ بأفواه الطارق على كل من له سبب إلى الحضرة العباسية <sup>(١)</sup> . فن ذلك ماجرى بينه وبين ابن مدير ، ثم ما كان من حبسه يوسف بن إبراهيم في داره . وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه - [ كما قال مؤلف المكافأة « ص ٢٨ » ]  
ثم أطلقه بعد ذلك

وقد ذكر ياقوت أن يوسف بن إبراهيم كانت له عصية مشهورة ، وهي عصيته لبنت الخلافة ، فلما توفى بعث أحمد بن طولون خدمه فهجموا الدار ،



« وطالبوا بكتبه : مقدرين أن يجدوا فيها كتاباً من ببغداد »<sup>(١)</sup>، يعنى الخليفة  
 فين أن وفاة يوسف بن إبراهيم كانت ما بين سنة ٢٥٥ وسنة ٢٦٠ ، وهو  
 العهد الذى استقل فيه أحمد بن طولون بمصر واشتد فيه فى ضبط المملكة لنفسه  
 وولده . وأولى الأقوال بالصواب أن تكون وفاته فى سنة ٢٦٠ أو بعدها بقليل ؛  
 فقد روى صاحب المكافاة « ص ٢٩ » ، أن جماعة من مستورى مصر كانوا فى  
 مجلس أحمد بن طولون حين قبض على يوسف ، وجاء فى كلامهم أنهم قالوا : « انسا  
 ثلاثون سنة ما فكرنا فى ابتياع شىء مما احتجنا إليه ، ولا وقفنا بباب غيره »  
 يعنون « يوسف بن إبراهيم » . فإذا صح أنه قد دخل مصر بعد وفاة المعتصم سنة  
 ٢٢٧ فلا شك أن القبض عليه كان حوالى سنة ٢٥٨ ، وتكون وفاته بعد ذلك  
 بعام أو عامين على الأرجح



والراجح أيضاً عندنا أن يوسف بن إبراهيم تزوج بعد أن دخل مصر سنة  
 ٢٣٠ ، وأن أحمد بن يوسف يوم وفاة والده كان كبيراً مدركاً لا يقل عمره عن  
 العشرين « انظر المكافاة ص ٥٦ » ، فولده إذن فيما بين سنة ٢٣٥ وسنة ٢٤٥ ،  
 وأقرب ذلك عندى أن يكون مولده فى سنة ٢٤٠ أو نحوها ، وعلى ذلك  
 فأحمد بن يوسف عُمر مائة سنة تزيد أو تقل قليلاً [ مات أحمد سنة ٢٤٠ ]  
 فأحمد بن يوسف إذن مصرى المولد مصرى المنشأ مصرى المراتب ،

(١) المكافاة ص ٥٦

تدلُّ على ذلك روايته في كتابه هذا ، فإنه لم يرو عن غيره من المصريين ،  
ولم يحدث إلا عن أخبارهم ، أما أخباره الأخرى عن بغداد فهي مما رواه  
عن أبيه يوسف

وقد أنشأ أحمد في كنف أبيه ، فأخذ عنه ولعه بالكتابة والحساب  
والهيئة ، فقد قال ياقوت أنه « أحد وجوه الكتاب الفصحاء ، والحساب  
والمنجمين : مجسطى أو قليدسى ، حسن المجالسة ، حسن الشعر ، قد خرج من  
شعره أجزاء »

وقد ذكر هو من شعره في كتابه « ص ٢٢ » وفي « ٥٢ » ، وزعم أنه كتب  
لأبي الفياض سوار بن أبي شراة الشاعر جزءاً منه ، فدخل به بغداد ، وعرضه  
على جماعة الأحرار ، واشتهر أمره ، حتى كان من ذلك ما قصه هناك من سؤال  
محمد بن سليمان عنه حين دخل مصر

والظاهر أن أحمد بن يوسف لم يل شيئاً من أمر الكتابة في مصر في عهد  
أحمد بن طولون ، لما كان يظن بأبيه من مبالاة الحضرة العباسية ، فأنصرف إلى  
ضياعه وضياح أبيه يقوم في أمرها . وكانت ضياعهم هذه في جهة أهناش والبهنسا  
وسُمنسطا في صعيد مصر كما ذكر في « ص ٢١ و ٣٧ » ، وعمل كعمل أبيه في تقبل  
الضياح ، وفرغ للتأليف والكتابة

فألف كتاب المكافأة ، وكتاب حسن العُقي [ هذا المطبوع ] ، ثم كتب  
سيرة أحمد بن طولون ، وكتاب سيرة ابنه أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن

طولون ، وسيرة هارون بن أبي الجيش ، وأخبار غلمان بنى طولون ، وكتاب  
مختصر المنطق ألفه الوزير على بن عيسى ، وكتاب الثمرة ، وكتاب أخبار  
المنجمين . وقد ذكر ياقوت في عداد كتبه : كتاب أخبار الأطباء ، وكتاب  
الطيخ ، وكتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . وهذه الثلاثة هي كتب أبيه بغير  
شك كما مضى ، وأنا أرتجح أن كتاب أخبار المنجمين هو من عمل أبيه أيضاً ،  
ورواه هو عنه وزاد عليه



رأيت قبل أن يوسف بن إبراهيم وولده ، كانوا على عهد أحمد بن طولون  
مظنة النعمة في مراسلة الحضرة العباسية ، ولذلك أخذوا أخذاً شديداً ،  
وأخيفوا وراعهم ما يلقى أنصار الخلافة العباسية من بطش ابن طولون .  
واستمروا على ذلك فيما ترجح إلى وفاة ابن طولون في سنة ٢٧٠

وتولى مضر بعده أولاده : خارويه بن أحمد بن طولون إلى سنة ٢٨٢ ، ثم  
جيش بن خارويه إلى سنة ٢٨٣ ، ثم هارون بن خارويه إلى سنة ٢٩٢ ، ثم  
شيبان بن أحمد بن طولون وفي عهده انقضت دولة بنى طولون . والظاهر أن  
أحمد بن يوسف كان مجاملاً لهؤلاء الولاة ، فلم يلق منهم كيداً بعد الذي لقيه  
هو وأبوه في عهد أحمد بن طولون ، ولذلك عُدَّ من أعوان الدولة الطولونية ،  
وكذلك توهم هو نفسه

فقد ذكر في « ص ٥٠ » قال : ولما دخل محمد بن سليمان مضر ، نزل في

ظاهرها ، واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب الطولونية ، فاستصفي ماله بالسوط وعظيم الإخافة ، فراغى أمره ، وخفت أن يلحقنى عسفه ، فلولا ماكان من اشتماله على المداهنة لولا الطولونية لماخاف هذا الخوف ، ولما استتر وتخفى من أصحاب دميانة البحرى <sup>(١)</sup> الذى وكله محمد بن سليمان باستباحة مصر ، فنهبا أصحابه وأخذوا الأموال ، واستباحوا الأعراض ، [قال صاحب النجوم الزاهرة] : « ثم تعدوا إلى أرباب الدولة وأخرجوهم من دورهم وسكنوها كرها ، وهرب غالب أهل مصر منها ، وفعلوا فى المصريين ما لا يفعلونه فى الكفرة ، وأقاموا على ذلك أياما كثيرة ، مصرين على هذه الأفعال القبيحة »

كان ذلك فى سنة ٢٩٢ ، ولسكن أحمد بن يوسف يقص علينا فى « ص ٥٠ - ٥٢ » كيف انتهى أمره مع محمد بن سليمان ، وكيف أجاره وحفظه ورعاه ، وكان أفضل عون له فى أموره « ص ٥٢ » ، وأنه ملحقه شئ يكرهه حتى انصرف عن البلد « ص ٥١ »

وكان محمد بن سليمان هذا كاتباً ، وكان لايسمى باسمه ولا بكنيته ، وما كان يدعى إلا بالاستاذ ، وقد كان أعظم ماعطفه على أحمد بن يوسف مارواه من شعره فاستحسنه ، حتى قال له : « والله لقد اشتقت الدخول إلى مصر من أجلك ! » « ص ٥٢ » . هذا ، على مايروى من أن حكمه فى أهل مصر كان

(١) انظر المكافاة صفحة « ٢٤ و ٢٥ »

بضرب أعناقهم، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وتمزيق ظهورهم بالسّياط، وصَلَبهم على جذوع النَّخل ، ونحو ذلك من أ صناف النكال . وحتى إنه شَرَّد رجال الدولة الطولونية ، ولم يبق بمصر منهم أحد يذكر ، وخلت الديار وعفت الآثار ، وزالت الدولة الطولونية على يديه ، وكانت إقامته بمصر أربعة أشهر إلى مستهل رجب سنة ٢٩٢

وعاش أحمد بن يوسف بعد انقضاء الدولة الطولونية في ظلّ الولاة على ترتيبهم إلى ولاية الإخشيد ، ثم أنوجور بن الإخشيد ، ومات في السنة السادسة من ولايته سنة ٣٤٠ . ولنا نعرف على التحقيق شيئاً عن حياته في ظلّ هذه الدول ، ونستثنى صلته بالوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح الكاتب البغدادي . فإنه ألّف له كتاب مختصر المنطق ، كما مضى ذكره . وكان على بن عيسى قدم من مكة إلى مصر ليكشفها في سنة ٣١٣ وبقى بها ثلاثة أشهر ، ثم خرج عنها إلى الرملة ، وعاد إلى بغداد . ولم نجد في كتابه هذا [المكافأة] ما يدلّ على شيء من حياته وتصرفه في أعماله في حكم الولاة من سنة ٢٩٢ إلى سنة ٣٤٠ ، ولعلّه أقام واستقرّ وانقطع في بعض ضياعه ، وكان دخوله القسطنطين قليلاً



كانَ عصر الدولة الطولونية في مصر من أحسن عصورها في ذلك التاريخ ، ولذلك أفردّه أحمد بن يوسف بالتأليف كما ذكرنا قبل . وهذه الكتب التي كتبها في سيرة الدولة الطولونية ، هي التي خلدت ذكره ، وسمّته بالكتابة ،

وجعلت قوله مشهوراً في تاريخ هذا العصر

وليس بين يدي الآن شيء مما كتبه في سيرة ابن طولون، وقد بقي منها جزء، فأراني غير مستطيع أن أكتب عن حقيقة أسلوب الرجل في التاريخ والرواية وتحرير القول . ولكن كتاب المكافأة أغنى بعض الغناء في البيان عن شيء من ذلك

فقد ساق أحمد بن يوسف كتابه هذا على مدرجة من القول في المكافأة على الحسن والقيس، وحسن العقبي في الصبر والتشدد ونبي الجوزع عن النفس، وهو في أكثره يروي الخبر عن حدثه به أو يصوغ في عبارته حكاية مألقيه أو شاهده أو استخرجه

وهو في بيانه قليل التكلف، قريب اللفظ، بعيد عن الغموض . وسهل له ذلك أنه بفطرته محدثٌ بارع، أو كما قال ياقوت: «حسن المجالسة» . فكانت سياقة كلامه في كتابته أشبه بالحديث منها بالكتابة . وهو إذا عرض لغرض أبان عنه بوضوح وترتيبٍ وتسويقٍ، ثم هو في خلال ذلك جزلُ الرأي، مُحْكَمُ الفكرة، قريبُ الغور

وسببُ ذلك أن أحمد بن يوسف كان صاحب منطق، وحساب وهندسة، كما رأيت، ومن طبيعة التحقيق بدراسة هذه العلوم أن تجعل الرأي جزالة وإحكاماً ليست لغيره من عدم النظر فيها والتمرس بها . وقد صدق الشافعي رضي الله عنه إذ يقول:

« من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه نبّل مقداره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في اللغة رقى طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه ، ومن لم يرض نفسه لم ينفعه عليه » . ولم يخل أحمد بن يوسف من أكثر ذلك

وقد اعتمد أحمد بن يوسف فيما يقصه أن يتبع رأى الجاحظ في رواية بعض القول على وجهه كما يجرى في الحديث ، غير مستنكر أن يكون فيه اللحن والخطأ في اللغة ، مادل ذلك على حكاية لفظ يختل حاله إذا أزيل عن الوجه الذي نطق به

ومع ذلك ، ومع ما عرف عنه من حُسن المجازسة ، فإنه كان ركيناً ثابِتاً قليل الحظ من الفكاهة والسخرية والعبث ، فقد جرى في كتابه بعض ما لو أزيل قليلاً عن وجهه لكان غاية في استدعاء الضحك واستخراج الهزأة ، ولكنه كان يعدل عن ذلك لقلة حظّه من اللهو ، وكان ذلك كان الأدب الذي أدبه به أبوه من آيين<sup>(١)</sup> بيوت الخلفاء ، ثم ما اتى من الأحداث الكثيرة المفزعة التي كانت تنفي عنه أفراده ونشاطه للهو ، ثم لما لعله كان فيه من الحرص الذي هو شعبة أصحاب التقبل بالاضياغ والاموال وما شاكلها ، وما لازمه مع ذلك من الخوف من أول حياته ، كما رأيت من خبره يوم وفاة أبيه وما تبع ذلك ، ثم طبيعة النفس وانصرافها إلى الفكر في علم الحساب والنظر في الهيمنة

---

(١) الآيين : هو قريب مما نسميه الآن « الإتيكيت » ،

وقد استعمل أحمد بن يوسف في كتابه هذا كثيراً من الألفاظ المصرية التي لا تزال باقية إلى يوم الناس هذا ، وعرض بعض العادات القديمة التي لا تزال تنحدر إلينا من ذلك العصر ، ولكنه كان قليل الخُفْل بالبيان عنها وكشفها ووصفها واستيعاب القول فيها . وذلك لأنه كان يرمي إلى غرض بعينه ، فلم يسر في قصصه سيرة الجاحظ في الاستطراء والتوسع ، وتشقيق المعاني العارضة في وجوه كثيرة . وكان ما تعود من الضبط في الحساب ، هو الذي حمّله على الضبط في الحديث ، ولو فَعَلَ لكان في كتابه بعض التاريخ الاجتماعي الضائع للعصور العربية الزاهرة التي لا نعرف إلا بعض رسمها وأشتاتها من صفاتها

\*\*\*

وبعد ، فهذا غاية ما أعان عليه الوقت ، وهو ما هو ، من ترجمة أحمد بن يوسف ، فإن تكُن في العمر بقية ، نأت في ترجمته بما يعين الله عليه ، مع التحرير والضبط والتفصيل بعد الإجمال . وبالله التوفيق ، ومن العجز والتقصير ؟

محمد مجيد شكري



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو محمد عبد الله الفَرَّغَانِيُّ، قراءةً مَنى عليه ، قال :  
 ناخبرنا أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب ، قراءةً مَنى عليه ، قال :

سَدَّدَ اللَّهُ فِكْرَكَ ، وَأَحْسَنَ أَمْرَكَ ، وَكَفَّاكَ مُهِمَّكَ  
 إِنَّ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَحَنِّينَ مِنْ مِحْنَتِهِ ، عُدُولُهُ فِي سَمْعِهِ عَنْ مَصْلَحَتِهِ ،  
 وَتَنَكُّبُهُ الصَّوَابَ فِي بُغْيَتِهِ . وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ مِنَ الْجَدْوَى مَا نَى  
 تُسْتَنْزِلُ بِهِ عَوَائِدُهَا ، وَيَقْرُبُ مَعَهَا مَا اسْتَصْعَبَ مِنْهَا ، يَسْتَنْبِرُهُ  
 حُسْنُ الرُّوْيَةِ ، [ وَيَهْدِي إِلَيْهِ ] صَالِحُ التَّوْفِيقِ  
 وَقَدْ رَأَيْتَكَ لَا تَزِيدُ مَنْ رَغِبْتَ إِلَيْهِ - فِيمَا تَحْدُوهُ عَلَى بَرِّكَ ،  
 وَتَحْتَهُ لِمَا أَغْفَلَ مِنْ أَمْرِكَ - عَلَى نَصِّ مَكَارِمٍ مِنْ سَلَفٍ <sup>(١)</sup> . وَتَرَى  
 أَنَّهُ يَهْشُ إِلَى مُسَاجَلَتِهِمْ ، فَلَا تَبْلُغُ فِي هَذَا أَكْثَرَ مِنْ إِحْرَازِ الْفَضِيلَةِ  
 لِلرَّغُوبِ إِلَيْهِ ، وَلَا تُوجِدُ فِي الرَّاغِبِ فَضِيلَةً تَحْتَهُ عَلَى شَفِيعِ  
 قَصْدِهِ <sup>(٢)</sup> . وَلَوْ عَدَاتَ عَنْ مَكَارِمٍ مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ ، إِلَى حُسْنِ مُكَافَأَةِ  
 مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، لَكَانَتْ لَكَ ذَرَائِعُ يَمْتُ <sup>(٣)</sup> بِهَا الرَّاغِبُ ، فُوجِدُ

(١) نصّ الشيء ، ينصه : رفعه وأظهره

(٢) شفيع قصده : هو المكافأة والشكر

(٣) مَتَّ إِلَيْهِ ، يَمْتُ : توسل إليه

المرغوبَ إليه سبيلاً إلى الإِنعام ، وَتَقَسَّحَ أَمَلَهُ فِي مُوَاطَرَةِ  
الإِحسان<sup>(١)</sup>

وَلَمْ يُؤْتَ الْجُودُ مِنْ هَأُتَى هُوَ أَغْمَضَ مِنْ مُغَادِرَةِ حَسَنِ  
المُكَافَاةِ . وَلَوْ أَنْعَمَتِ النَّظَرَ فِيهَا : لَوَجَدْتَهَا أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي  
مَنْعِ الْقَاصِدِ ، وَحَيْرَةِ الطَّالِبِ . وَلَوْ كَانَتْ تُوجَدُ مَعَ كُلِّ فِعْلٍ  
أَسْتَحَقَّهَا ، لَأَثَرَتِ النَّاسُ قَاصِدِيهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَكَجَرُوا عَلَى الشَّنَةِ  
الْمَأْنُورَةِ عَنْهُمْ

[وقد كتبتُ لك] في هذه الرسالة أخباراً - في المُكَافَاةِ عَلَى  
الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، تُنْعِمُ<sup>(٢)</sup> الْخَاطِرَ ، وَتَقْرُبُ بُغْيَةَ الرَّاعِبِ -  
بِمَا سَمِعْنَاهُ مِنْ تَقَدُّمِنَا ، وَشَاهَدْنَاهُ بَعْضِرْنَا ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ

\*\*\*\*\*

(١) المواترة : المتابعة

(٢) في الأصل : « تَعْم »

## ١ - المكافأة على الحسن

١ - حدثني أبو محمد يحيى بن الفضل ، عن عبد العزيز بن خالد ، خالد القسري  
الاموي ، عن أبيه خالد ، قال : أخبرني محارب بن سائلة وديوانياته  
كاتب خالد القسري :

« أن ديوانيان خالد<sup>(١)</sup> أخرج من ديوانه وثيقة على بعض  
المتضمنين<sup>(٢)</sup> فدفعها إليه ببرّ تعجّله منه . فدعا به خالد وأمر بقطع  
يده بين يديه ، فقال له : « استبقي ، أوصح الله الأمير ! » ، فقال :  
« وما يكون من مثلك ؟ » ، فقال له : « إن لم يُقدّر في الزمان رفعتي إلى  
منزلتك ، فلا تأمنه على حطّك إلى منزلتي ، فيكون مني  
ما تحمده ! » ، فقال خالد : « أطلقوه ففيه عظيم » .

فلم يمض حوّل حتى ورد العراق يوسف بن عمر متولياً لعمله  
خفيته في حجرة من ديوانه ، ووكل بباب الحجرة جماعة . فتدسّس  
الديوانيان حتى دخل في جملتهم ، وتلطّف للجماعة حتى رأوها  
بالخبرة وحسن المداخلة . وتحرم<sup>(٣)</sup> خالد طعام يوسف بن عمر  
- خوفاً من أن يكون مسموماً - فطوى<sup>(٤)</sup>

(١) الديوانيان : صاحب الديوان وحافظه

(٢) المتضمن : الكفيل الذي يتحمل بأموال الضياع وخراجها وأدائها  
لبت المال

(٣) تحرم الطعام : أمسك عنه فلم يقربه

(٤) طوى : تعمد أن لا يأكل ولا يشرب

وتأمل من ذلك الديوانيانُ، فجعل في منديلٍ نظيفٍ ما يكفُّ  
جوعته من طعامٍ قد تأثَّق فيه، ودخل إليه كالمتجسِّس عن حاله ،  
فقال له : « أنا الديوانيانُ الذى عَفَوْتُ عنه ، وهذا طعامٌ تأمَّنُ فيه  
ما تخافُه من غِرَّةٍ <sup>(١)</sup> . فأقام أياماً يأتيه من طرائف الأَطعمة  
والفواكه ما ينسى به وحشته ، ويكفُّ فاقته ، ثم دخل إليه فقال :  
« ليس هذا الذى أفعَلُه مقدار ما يقتَضيه إحسانُك إليَّ ؛ وقد  
استأجرت الدَّارَ التى فى هذه الحَجْرة <sup>(٢)</sup> ، وأحضرتُ قوماً أثِقُ بهم  
من حُذاق النِّقابين ، حتى نَقَبْتُ سَرَّاباً إلى موضعك <sup>(٣)</sup> ، ولم يبق إلا  
أن تركضَ بعض بلاط هذا المجلس ركضةً فتَقْضَى إلى السَّرَبِ . <sup>(٤)</sup>  
وقد أعددتُ فى الدَّارِ نَجيبين <sup>(٥)</sup> أحدهما لك والآخر لى .

فلما صَلَّى الدَّابَّوانيانُ العصرَ أغلقَ البابَ ، ومضى إلى الموضع  
المُسْتَرى <sup>(٦)</sup> ، وركضَ خالدُ الموضعَ وخرج من السَّرَبِ ، وركبا  
نَجيبهما وحَثَا المسيرَ . فما فُطِنَ بخالدٍ إلا فى غَدِ ذلك اليوم ، فطلبته  
الحِيلُ والنَّجَبُ <sup>(٧)</sup> . ففَاتَها . ولم يزلْ يُوضَعُ <sup>(٧)</sup> فى البِسلادِ حتى لحقَ

(١) الغِرة . الحديعة ، وفى الأصل : « فى غرة ،

(٢) الحجرة : الناحية

(٣) السرب : الطريق الخفى ، السرداب

(٤) ركض الشيء برجله : ضربه

(٥) النجيب : الخفيف السريع من الإبل ، والجمع نجب

(٦) اكترى الموضع : استأجره

(٧) أوضع فى الأرض : أسرع

مُسْلِمَة بن عبد الملك ، فَشَقَعَ لَهُ إِلَى هِشَام وَرَدَّهُ إِلَى عَمَلِهِ

\*\*\*

٢ - وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عُثْمَانَ ، قَالَ :

ابن مرزوق  
ومتضمن

« كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدِ الصَّرِيفِيِّ - وَهُوَ يَتَوَلَّى الْخِرَاجَ بِمِصْرَ ، وَوُجُوهَهَا عِنْدَهُ ، وَقَدْ أَكَبَّ عَلَى حَاصِلِ مَا اسْتُخْرِجَ فِي أَمْسِهِ ، وَهُوَ يُقَابِلُ بِهِ ثَبَتَ الْمُصَادَرَةِ <sup>(١)</sup> - ، فَقَالَ لِصَاحِبِ حِمَالَتِهِ <sup>(٢)</sup> : « مَا أَرَى اسْمَ فَلَانٍ الْمُتَضَمِّنِ فِي هَذَا الْحَاصِلِ ، وَقَدْ صَادَرَنَا بِالْأَمْسِ عَلَى خَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ ؟ » فَقَالَ : « مَا صَحَّ لَهُ شَيْءٌ ! » فَقَالَ : « أَبْعَثْ إِلَيْهِ مِنْ يَسَجُّبِهِ صَاحِرًا حَتَّى يَحْمِلَهُ عَلَى خُطَّةِ الْمَطَالِبَةِ <sup>(٣)</sup> » ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَضَمِّنِينَ يُعْرِفُ بِمَا شَاءَ اللَّهُ بْنُ مَرْزُوقٍ : « الْخَمْسُ الْمِائَةُ - أَيْدِكَ اللَّهُ - تَصَحُّ لِهَذَا الرَّجُلِ فِي هَذِهِ الْعَشِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِنْ أُعْضِيَ مِمَّا قَدْ أَمَرْتُ بِهِ فِيهِ » ، فَقَالَ : « هِيَ عَلَيْكَ ؟ » ، فَقَالَ : « نَعَمْ ! » ، فَتَقَدَّمَ إِلَى <sup>(٤)</sup> صَاحِبِ الْحِمَالَةِ أَلَّا يَعْزِضَ لَهُ . فَالْتَفَتَ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ : « تَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ ؟ » ، فَقُلْتُ : « نَعَمْ ! وَمِنْ الْعَجَبِ أَلَّا تَعْرِفَهُ ! » ،

(١) التَّبَتُّ : الْفَهْرَسُ أَوْ الدَّقْر ( أَوْ مَا نَسَمِيهِ الْآنَ الْكُشْفُ )  
صَادَرَتْ فَلَانًا مِنْ حِسَابِي عَلَى كَذَا ، وَفَارَقْتُهُ ، إِذَا قَطَعْتَ الْأَمْرَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَلَى أَمْرٍ وَقَعَ عَلَيْهِ اتِّفَاقًا

(٢) صَاحِبُ الْحِمَالَةِ : مِنْ أَعْمَالِ بَيْتِ الْمَالِ ، وَكَأَنَّهَا وَظِيفَةُ الْقَائِمِ بِحِسَابِ الْمُتَضَمِّنِينَ

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ كَثِيرَةٌ الْوُرُودُ فِي كُتُبِ هَذَا الْعَصْرِ ، وَيرادُ بِهِ التَّعْذِيبُ لِلْمَطَالِبَةِ ، عَلَى طَرِيقِهِمْ فِي ذَلِكَ

(٤) تَقَدَّمَ إِلَى فَلَانٍ بِكَذَا : أَمْرُهُ بِهِ

فقال : « يا أخى أمر فى رجل يجرى تجراناً فى معاشنا بما لم يُطَقْ والله احتماله ، وعندى ضِعْفُ ما طُولِبَ به ، وكانت صِيانَتُهُ أَحَبَّ إِلَىَّ ما حَوَيْتُهُ . فإذا لَقِيتَهُ فَعَرِّفْهُ أُنَىَّ أُوْرِدَ المالَ عنه لئلا يُورِدَ المالَ مُضْعَفًا ،

وأنصرفتُ من مجلس أحمد بن خالد ، فلقيتُ الرجلَ فى طريق ، وهو مجذود <sup>(١)</sup> ، فسألتُه عن خبره وأخبرته الخبر ، فقال : « يا أخى ! وما فى هذا من الفرج ؟ إنما انتقلتُ من عَمٍّ إلى رِقٍّ ! ومتى أقضى إلى هذا الرجل إحسانه إلىَّ ؟ والله لو دِدْتُ أَنْ أُمَرَّ السلطانَ نَفَذَ فى ، ولم أَتَحَمَّلْ هذه العارَفة منه <sup>(٢)</sup> ! »

قال أحمد بن يوسف ، فقال لى هارون : « وحضرتُ [مَوْت] ماشاء الله بن مرزوق بعد هذا بأربع سنين - فى الوقت الذى تُوْفِى - فاتَّفَقَ أَنْ كان إلى جانبي رجلٌ قد ألقى بعضَ رِدائه على وجهه ، وهو يَعِجُّ بالبكاءِ والشهيق <sup>(٣)</sup> ، ثم كَشَفَ وجهه فكان الرجلُ الذى أُوْرِدَ ماشاء اللهُ عنه الخُمُسَ مائةَ الدينار . فقال : « مَنِ الوَصْى من جماعتكم ، فقال له الوصْى : « ها أنا ذا ! » ، فقال : « عندى لهذا الرجل رحمة الله ألفا دينارٍ وخمُسُ مائةَ دينار » ، فقلت له : « حدثت بينكما مُعاملةً بعدى ؟ » ، فقال : « لا والله ، ولكنى الخمس مائةَ الدينار ، صرْتُ بها إليه عند تَيْسُرِها فقال : « وما [أُبغى بها] ؟ تكون عندك

(١) يريد أنه صاحب حظ وجد

(٢) العارفة : المعروف

(٣) عَجَّ يعج : رفع صوته بالبكاء أو الدعاء

نَالِي أَوْلَانِ حَاجَتِي إِلَيْهَا . فَسَأَلْتُهُ [الْإِذْنَ] فِي سَعْيِهَا . فَقَالَ : « هُوَ  
حَالُكَ ، أَعْمَلْ بِهِ مَا شِئْتَ ، فَلَمْ تَزَلْ تَنْبَغِي وَتَزِيدُ حَتَّى بَلَغْتَ هَذَا  
الْمَقْدَارَ . فَقَالَ هَارُونُ : « وَوَجِدْتُ مَا خَلْفَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ لِبَنَاتِ كُنَّ  
مَعَهُ شَيْئاً نَزْراً ، فَخَبِرَهُنَّ اللَّهُ بِذَلِكَ الْمَالِ ،

\*\*\*

ابن دَعِيمٍ  
وَأَعْرَابِي

٣ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ دُعَيْمٍ - وَكَانَ مِنْ خَاصَةِ قُوَادِ أَحْمَدَ بْنِ  
طُحْلُونَ - بَعْدَ أَنْ تَرَكَ الدِّيْوَانَ ، وَحَسَنَ انْقِطَاعَهُ إِلَى اللَّهِ ، قَالَ :  
« قَلَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ طُحْلُونَ الصَّعِيدَ الْأَوْسَطَ . وَخَرَجَ عَلَيْهِ سَوَّارٌ  
أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُمَرِيُّ <sup>(١)</sup> ، فَكُتِبَ إِلَيَّ يَسْتَخْبِرُنِي عَنْ حَالِهِ ،  
فَأَعْلَيْتُهُ ضَعْفَ يَدِهِ ، وَانْتَشَارَ أَمْرُهُ لِقَلَّةِ الْمَالِ . وَقَبِضْتُ عَلَى  
رَئِيسٍ مِنَ الْأَعْرَابِ اتَّهَمْتُهُ بِمَكَاتِبَتِهِ وَأَنْهَيْتُ خَبْرَهُ إِلَيْهِ . فَكُتِبَ  
إِلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ طُحْلُونَ : يَا مُرْنِي بِحَمْلِ الْأَعْرَابِي ، [وَجَمْعٌ] مَا قَدَرْتُ  
عَلَيْهِ مِنَ الثَّجُبِ ، وَالشُّخُوصِ إِلَيْهِ ؛ لِيَقِفَ مِنْ مُشَافَهَتِي عَلَى مَا لَا  
تَبْلُغُهُ الْمَكَاتِبَةُ . فَاثْمَلْتُ أَمْرَهُ

فَمَا سِيرْتُ مَرَحَلَةً حَتَّى لَحِقَ بِي وَجُوهُ تُجَّارِ الْعَمَلِ ، وَمَعَهُمْ  
شَابُّ أَعْرَابِي ، وَقَالُوا لِي : « جِئْنَاكَ فِي أَمْرِ هَذَا الْأَعْرَابِي الْمَحْمُولِ ،  
فَإِنَّ مَعَنَا مِنْ يَبْدُلَ فِي إِطْلَاقِهِ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ ؛ فَقُلْتُ لَهُمْ : « قَدْ  
أَنْهَيْتُ أَمْرَهُ إِلَى الْأَمِيرِ ، ؛ قَالَ الْأَعْرَابِي الَّذِي مَعَهُمْ : « فَخُذْ

---

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْقُرْنِي » ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
عَبْدِ الْحَمِيدِ ، مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

الخمس مائة على أن تجعلني مكانه ، ؛ قلت : « أفعل » . فأحضرت  
الاعرابي ؛ وكان من عشيرتي ؛ فقالت له : « والله لقد كنت مغموماً  
بك حتى سرتني خلاصك ! » ؛ قال : « بماذا تخلّصت ؟ » ؛ فقالت : « بذل لي  
رجل خمس مائة دينار على أن يكون مكانك وأطلقك » ،

فقال : « ومن هذا الرجل ؟ » ؛ فأحضرت له إياه . فلما رآه قال :  
« أمض لشأئك » ، ثم التفت إلى فقال : « يحسن بشيخ مثلي أن يتبرج  
في المعروف ؟ هذا رجل لقيته وقد أكبت عليه خيل لتسلبه ثيابه  
وما كان معه ، فقرّ قتها عنه حتى تخلّص ، فرأى أن يُخلصني بحصوله في  
موضع لا يخرج منه أخرى اللبالي ، و [ هو ] غرّم ثقيل على مثله .  
والله هذا عما لا أقبله ولا أركنُ إليه » ، فقالت له : « أنصرف في حفظ  
الله فقد رضى الرجل » ، فقال : « والله إن أمضيت هذا لألحقنك ،  
ولا تخبرن الأمير بصليحك » ، فتوقفت ، وبكى الاعرابي فقال : « إذا  
كان تحبس الأمير على ما تصف ، وليس ترجو خلاصاً منه ؛ فما أعمل  
في عارقتك عندي ؟ وأنا أنشدك الله لما قبلت مني ما بذلته وأعظم  
منه ؛ وأزالت هذه العارقة عن عُنُقِي ؛ فإن عاراً ونقيصة على الكريم  
أن يموت وعليه دين من ديون المعروف » ؛ فقال له : « إذا رأيت  
رجلاً أحاطت به خيل تُريغ سلبه <sup>(١)</sup> فندّها عنه ؛ فقد كافأت عارقتي ؛  
أنصرف مصاحباً <sup>(٢)</sup> . فعرض عليه مامعه من المال ؛ فقال : « ما بي إليه

(١) تريغ : تريد وتحتال

(٢) مصاحباً : تصحبك السلامة



حاجة١»، فأكبَّ على رأسه ورجليه يقبلها ويبكي؛ فأبكى جماعتنا  
فلما دخلتُ على أحمد بن طولون شافهته من خبر العمريِّ بما سره؛  
وعرّضت عليه النجيب؛ فقال: «حسنة والله»؛ فقلت: «معى أيها  
الأميرُ ما هو أحسنُ من هذا»، وحدّثته الحديث. فأحضر الأعرابيَّ  
وخلّع عليه وأثبتته في ديوانه، وأمرني بإفادِ رسولي معه في الأعرابيَّ  
الآخر، فلما وافى خلّع عليه وأثبتته. فلم يزل في خاصته إلى وفاته

\*\*\*

٤- وحدثني موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح - وكان هذا  
ابن مصلح  
ومحبوس  
من الثقات عند أحمد بن طولون -

أنَّ أحمد كان بُراعي أمر المحبوس حتى يمضي له حول<sup>(١)</sup>، فإذا  
جازه لم يذكره. وكان يقولُ لي - رَأً: «إذ اتبَّيئت من رجلٍ براءة ساحة  
فسهّل عليه واستأمرني<sup>(٢)</sup>؛ فإني أستعملُ التشدّدَ للضرورة إليه،  
قال موسى بن مصلح: «وكان في الحبس رجل قد زادَ على سنتين  
منقطعاً إلى الله برغبته؛ لا يسأَلنا شيئاً من أمره؛ وهو يُكبِّب على  
الصلاة والتسبيح والتضرُّع إلى الله

فقلتُ له يوماً: «الناس يضطربون في أمورهم؛ ويسألوني إطلاقَ  
الرُقعة<sup>(٣)</sup> إلى ذوى عنايتهم؛ وأنتَ خارجٌ عن جملتهم؟»، فجزاني

(١) الحول: السنة

(٢) استأمره: شاوره

(٣) إطلاق الرُقعة: يعنى إرسال الرسائل

الجنس مائة على أن تجعلى مكانه ، قلت : « أفعل » . فأحضرت  
الاعرابى ، وكان من عشيرتى ؛ فقالت له : « والله لقد كنت مغموماً  
بك حتى سرتى خلاصك ! » ؛ قال : « بماذا تخلّصت ؟ » ، فقالت : « بدّل لى  
رجلٌ خمس مائة دينارٍ على أن يكون بمكانك وأطلقك ! »

فقال : « ومن هذا الرجل ؟ » ؛ فأحضرتة إياه . فلما رآه قال :  
« أمض لشأنك » ، ثم التفت إلى فقال : « يحسنُ بشيخٍ مثلى أن يسترجع  
فى المعروف ؟ هذا رجلٌ لقيته وقد أكتب عليه خيلٌ لفسلبه ثيابه  
وما كان معه ، فقرّتها عنه حتى تخلّص ، فرأى أن يُخلصنى بحصوله فى  
موضعٍ لا يخرج منه أخرى اللبالي ، و [ هو ] غرّم ثقیل على مثله .  
والله هذا عما لا أقبله ولا أركنُ إليه » ، فقالت له : « أنصرف فى حفظ  
الله فقد رضى الرجل » ، فقال : « والله إن أمضيت هذا لا لحقنك ،  
ولا خيبرن الأمير بصيعة » ، فتوقفت ، وبكى الاعرابى فقال : « إذا  
كان تحبس الأمير على ما تصف ، وليس ترجو خلاصاً منه ؛ فما أعمل  
فى عارِفتك عندى ؟ وأنا أنشدك الله لما قبلت منى ما بذلته وأعظم  
منه ؛ وأزلت هذه العارقة عن عُقْبى ؛ فإن عاراً ونقيصةً على الكريم  
أن يموتَ وعليه دينٌ من ديون المعروف » ؛ فقال له : « إذا رأيت  
رجلاً أحاطت به خيلٌ تُريغ سلبه <sup>(١)</sup> فندّها عنه ؛ فقد كافأت عارقى ؛  
أنصرف مصاحباً <sup>(٢)</sup> . فعرض عليه مامعه من المال ؛ فقال : « ما بى إليه

(١) تريغ : تريد وتحتال

(٢) مصاحباً : تصحبك السلامة

حاجة ١، فأكبَّ على رأسه ورجليه يقبلها ويُبكي؛ فأبكي جماعتنا فلما دخلتُ على أحمد بن طولون شافهته من خبر العمريِّ بما سره؛ وعرضت عليه النُجْب؛ فقال: «حسنة والله»؛ فقلت: «معى أيها الأمير ما هو أحسن من هذا»، وحدثته الحديث. فأحضر الأعرابيَّ وخلَعَ عليه وأثبته في ديوانه، وأمرني بإنفاذ رسولي معه في الأعرابي الآخر، فلما وافى خلع عليه وأثبته. فلم يزل في خاصته إلى وفاته

\*\*\*

أبو مصلح  
وعجوس

٤ - وحدثني موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح - وكان هذا من الثقات عند أحمد بن طولون -

أنَّ أحمد كان بُراعِي أمر المحبوس حتى يَمُضِيَ له حَوْلٌ<sup>(١)</sup>، فإذا جازَه لم يذكره. وكان يقولُ لي سِرًّا: «إِذَا تَبَيَّنْتَ مِنْ رَجُلٍ بَرَاءةَ سَاحَةِ فَسَهِّلْ عَلَيْهِ وَاسْتَأْمِرْنِي<sup>(٢)</sup>؛ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ التَّشَدُّدَ لِلضَّرُورَةِ إِلَيْهِ» قال موسى بن مصلح: «وكان في الحبس رجل قد زادَ على سِنَتَيْنِ مُنْقَطِعاً إِلَى اللَّهِ بِرَغْبَتِهِ؛ لَا يَسْأَلُنَا شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ؛ وَهُوَ يُكَبِّبُ عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ

فقلتُ له يوماً: «النَّاسُ يَضْطَرُّونَ فِي أُمُورِهِمْ؛ وَيَسْأَلُونِي إِطْلَاقَ الرُّقْعَةِ<sup>(٣)</sup> إِلَى ذَوِي عِنَايَاتِهِمْ؛ وَأَنْتَ خَارِجٌ عَنْ جُمْلَتِهِمْ؟»، فجزَّاني

(١) الحول: السنة

(٢) استأمره: شاوره

(٣) إطلاق الرقعة: يعنى إرسال الرسائل

خيراً<sup>(١)</sup>. وَرَقَّ قَلْبِي عَلَيْهِ وَكَبُرَ فِي نَفْسِي مَحَلُّهُ ، نَفَلْتُ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ : « لَوْ اسْتَجَزْتُ إِطْلَاقَكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ لَفَعَلْتُ ؛ وَاسْكِنِ اسْتَعِينَ بِي فِي أَمْرِكَ » . فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ فِي هَذَا الْبَلَدِ غَيْرَ أَبِي طَالِبِ الْخَلِيجِ - وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَتَوَلَّى شُرَاطِي أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ بِمَصْرَ - وَلَوْ وَصَلْتُ إِلَيْهِ سِرّاً ؛ أَوْ بِرِسَالَةٍ مَعَ مَنْ<sup>(٢)</sup> يَفْهَمُ ؛ لَرَجَوْتُ تَسْهِيلَ أَمْرِي » ، فَقُلْتُ لَهُ : « وَاللَّهِ لَا تَبَيَّنَ فِي أَمْرِكَ مَا أَخْطَرُ بِهِ عَلَى نَفْسِي . أَنَا أَطْلُقُكَ سِرّاً عَلَى أَنْ تُؤَقِّقَ بِأَيِّمَانٍ مُحَرَّجَةٍ أَنَّكَ لَا تَهْرُبُ عَنِّي وَلَا تُخْفِرُنِي »<sup>(٣)</sup> ، فَقَالَ : « إِذَا كُنْتُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ يُشَكُّ فِيهِ ؛ فَلَا حَاجَةَ لِي بِإِخْرَاجِكَ إِلَيَّ » . فَوَافَقْتَهُ - مِنْ غَيْرِ يَمِينٍ آرَهْتُهُ بِهَا - عَلَى أَنْ يَقِيمَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَأُطْلِقْتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَفَارَقْتُهُ عَلَى أَنْ يَصِيرَ إِلَى لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ

فَلَمَّا كَانَ سَحَرُ يَوْمِ السَّبْتِ ، وَافَأَنِي كَمَا فَتَحْتُ<sup>(٤)</sup> بَابَ السَّجَنِ ، فَلَمَّا دَخَلَ سَجَدَ وَحَمِدَ اللَّهَ ، وَقَالَ لِي : « بَعَثْتُ إِلَى أَبِي طَالِبِ الْخَلِيجِ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِنَا وَطَوَيْتُ عَنْهُ إِطْلَاقِي ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَلْطَفَ فِي أَمْرِي فَوَعَدَ بِذَلِكَ ، وَخَلَّفَ الْمَرْأَةَ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيَّ بِالْجَوَابِ . وَرَكِبَ إِلَى

(١) جزاء خيراً : قال له ، « جزاك الله خيراً » ،

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مَعَ مَنْ » ،

(٣) أَخْفَرَ ذِمَّتَهُ : نَقَضَهَا

(٤) كَمَا فَتَحْتُ : يَرِيدُ ( حِينَ فَتَحْتُ ) وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْحَرْفُ فِي كَثِيرٍ

مِنْ كُتُبِ هَذَا الْعَصْرِ ؛ وَانْظُرْ هَذَا فِي آخِرِ الْقِصَّةِ ( ٦٨ )

الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، فَأَقَامَ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْعَتَمَةِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ : « وَآفَى أَبُو طَالِبِ الْأَمِيرِ وَهُوَ مَغْمُومٌ ، فَقَالَ : « كَلِمَتُهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتُ نِجْلًا يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ ، « ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى رَجُلٍ أَنْ يَصِيرَ بِكَ إِلَيْهِ عِنْدَ جُلُوسِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، وَوَجَّهَ إِلَيَّ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِكَ ، فَلِيتَنَّى لَمْ أَتَكَلَّمْ فِيكَ ، « . فَسِحِرَتْ <sup>(١)</sup> - مَعَ مَا تَبَيَّنَتْهُ فِي أَمْرِي - خَوْفًا أَنْ يَأْتِيكَ رَسُولُهُ فَلَا يَجِدُنِي ، فَيَلْحَقَكَ مَكْرُوهٌ مِنْهُ . وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا يُوعِدُنِي بِهِ أَسْهَلُ عَلَىَّ مِنْ أَنْ أُخْفِرَ ظَنِّكَ بِي ، وَتَقْدِيرَكَ فِيَّ ،

فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ <sup>(٢)</sup> حَتَّى وَآفَى الرَّجُلُ فَتَسْلَمُهُ مِنِّي . وَحَضَرْتُ الدَّارَ - وَقَدْ أَحْضَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونَ ، وَجُلَسُهُ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ - فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَتَهُ بِالْإِجْلَابِ عَلَيْهِ فِي الشَّغْرِ <sup>(٣)</sup> . فَاعْتَذَرَ بِعُذْرِ قَبِيلِهِ ، وَلَقِيَهُ بِالرَّأْفَةِ ، بَضْدًا مَا خِفَّتُهُ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ . فَكَانَ مِنْ آثَرِ إِخْوَانِي عِنْدِي <sup>(٤)</sup> إِلَى أَنْ فَرَّقَتِ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ »



ابن أسباط  
والخناق

٥ - وَحَدَّثَنِي عَمِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ :

- 
- (١) سحر : بكر في السحر  
(٢) ترجل النهار : ارتفع ، كما يرتفع الرجل عن الصبا  
(٣) أجلب عليه : أعان عليه عدوه ، والشجر : موضع المخافة من  
أطراف البلاد  
(٤) من آثرهم : أي من أحبهم وأقربهم

« انتظرتُ أبا عبد الله الواسطى - كاتب أحمد بن طولون -  
 في داره ، حتى رَجَعَ من عند أحمد بن طولون . فأوصلَ إليه بعضُ  
 الحُجَّابِ ثَبَّتَ من وقفٍ بالباب ، فرأى فيه إسماعيلَ بنَ أسباط  
 فسأل عنه . فقيل له : « وقف بالباب طويلاً وانصرف » . فقال :  
 « إنَّ هذا الرجلَ ممَّنَ عَمَّرَ هذه المَيزَةَ مدَّةً طويلةً ، ولست أشكُ أنَّ  
 نَجِيَّتِهِ حاجَةٌ له ، ومن الجليل أن أركبَ إليه فأقتضيه حوائجَه ، وأبلغَ  
 فيها مَحَبَّتَه » . ثم ركبَ وسِرْتُ معه ، حتى دخلنا دارَ إسماعيلِ  
 ابنِ أسباط - وهى التى ملكها الشَّيرُ بعده - ، فرأينا داراً عاريةً من  
 السُّورِ والفُرشِ ، وتأملنا مَنْ فيها من الحَشَمِ على حالٍ سيئةٍ . فاستقبله  
 إسماعيلُ بالشُّكر والدعاء له ، فقال له الواسطى : « إنه لا فرقَ بينك  
 الساعةَ عندى فى المرتبةِ التى كنتَ فيها . ومن جَمَّالنا فيما أفضى إلينا  
 أن نُحسِنَ فيه خِلافةً من تقدَّمنا ، وأن نراهم كالآباءِ المستحقِّين  
 البرَّ من أولادِهِم » . وسأله عن حاجته ، فقال : « أخبرك بها بعد  
 أن أحدثك بشيءٍ يدلُّ على أنَّ المعروفَ ينفعُ عندَ مستحقِّه من  
 غيرِ المستوجبين له »

« كانت لى - أيدك الله - دارُ خيلٍ نحو المنظر <sup>(١)</sup> ، وكنتُ  
 أركبُ إليها فى غداةِ الليلة التى أعاقِرُ فيها إخوانى . فركبتُ إليها  
 يوماً فألفيتُ فى الصَّحراءِ جمْعاً من العامَّةِ ، وقد ضاقتْ بهم ، ومعهم  
 عاملُ المعونة . واستقبلتْنى امرأةٌ قد هتسكتُ سِتْرَها ، وكشفتْ

سَعَرَهَا ، فَقَالَتْ : « يَا سَيِّدِي ! أَخِي ، وَوَاحِدِي ، وَكَافِلِي ، يُعْرَضُ عَلَى الْقَتْلِ السَّاعَةِ ! » . فَعَدَلْتُ إِلَى صَاحِبِ الْمُعُونَةِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِ النَّاسِ ، فَقَالَ : « اجْتَمَعْنَا لَضَرْبِ خَنَاقٍ بِالسُّوْطِ » ، فَقُلْتُ لَهُ بِحُضْرَةِ النَّاسِ : « مَا حَقُّ هَذَا إِلَّا الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ ، وَأَنَا أَكْتُبُ فِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ » ، فَأَعْلَنَ الْجَمِيعَ بِاللُّدْعَاءِ لِي ، وَانْصَرَفُوا . فَسَأَلْتُهُ الْبُعْثَةَ بِالْخَنَاقِ إِلَيَّ ، فَوَعَدَنِي بِذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ . فَلَمَّا صَلَّيْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ أَتَفَدَّ إِلَيَّ مِنْهُ شَابًّا مُكْفَهَرًا الْوَجْهَ لَا تَخْفَى قَسْوَتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : « أَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ وَتَخَافُهُ فِي طُعْمَتِكَ ؟ <sup>(١)</sup> » ، فَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! أَنَا أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي لَا أَعَاوِدُ هَذَا الْفِعْلَ أَبَدًا » ، فَأَوْصَيْتُهُ بِخَيْرٍ ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ مَنْ أَخْرَجَهُ عَنِ الْبَلَدِ فِي حَالِ سِتْرٍ ،

« وَأَقْبْنَا بَعْدَ ذَلِكَ سَنَيْنَ ، وَتَقَاصَرَتْ أُمُورُنَا وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُنَا بِتَقْلِيدِ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ عَلَيْنَا . فَلَمَّا بَلَغْنَا <sup>(٢)</sup> بِمَا نَطَالِبُ بِهِ ، أَشْخَصَنِي وَأَخِي أَحْمَدَ إِلَى الْحَضْرَةِ ، فَطَالَبَنَا الْوَزِيرُ بِمَا لَفَقَهُ ابْنُ تَمِيمٍ عَلَيْنَا ، فَشَكُونَا إِلَيْهِ شِدَّةَ اخْتِلَالِنَا <sup>(٣)</sup> » ، فَقَالَ : « فُلَان ! » ، فَوَافَاهُ رَجُلٌ بِمَنْزِلَةِ أَثِيرَةٍ <sup>(٤)</sup> عِنْدَهُ : غَلِيظُ الطَّبْعِ ، كَرِيهُ الْوَجْهِ ، تَنَامَّلُ الشَّرَّ فِي سَجَايَاهُ ، فَقَالَ : « اسْتَخْرِجْ مِنْ هَذَيْنِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ الْيَوْمَ » .

(١) الطَّعْمَةُ : طَرِيقَةُ كَسْبِ الرِّزْقِ ، يُقَالُ : « فُلَانٌ طَلِبَ الطَّعْمَةَ أَوْ خَيْشَهَا » ،

(٢) بَلَغَ الْغَرِيمَ : أَفْلَسَ

(٣) الْاِخْتِلَالُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ

(٤) أَثِيرَةٌ : مَكِينَةٌ مَقْرَبَةٌ

« انتظرتُ أبا عبد الله الواسطى - كاتب أحمد بن طولون - في داره ، حتى رَجَعَ من عند أحمد بن طولون . فأوصلَ إليه بعضُ الحُجَّابِ ثَبَّتَ من وقفٍ بالبَابِ ، فرأى فيه إسماعيلَ بنَ أنسبَاطِ فسألَ عنه . فقيلَ له : « وقفَ بالبَابِ طويلاً وأنصَرَفَ » . فقال : « إنَّ هذا الرجلَ مَن عَمَرَ هذهَ المَنزلةَ مدَّةَ طويَلة ، ولستُ أشكُ أنَّ تَجِيئَهُ لحَاجَةٍ له ، ومنَ الجليلِ أنْ أركَبَ إليه فأَقْضِيَهُ حوائِجَهُ ، وأُباغِ فيها مَحَبَّتَهُ » . ثم ركبَ وسِرْتُ معه ، حتى دخلنا دارَ إسماعيلِ ابنِ أنسبَاطِ - وهى التى ملكها الشَّيرُ بعده - ، فرأينا داراً عَاريَةً من السُّورِ والقُرُشِ ، وتَأَمَّلْنَا مَنْ فِيهَا منَ الحَشَمِ على حالٍ سيِّئَةٍ . فاستقبله إسماعيلُ بالشُّكرِ والدُّعَاءِ له ، فقالَ له الواسطى : « إنَّه لا فَرْقَ بينَكَ السَّاعَةِ عِنْدِي فى المَرتَبَةِ التى كُنْتَ فيها . ومنَ جَمَالِنَا فيما أَقْضَى إلَيْنَا أنْ نُحَسِّنَ فِيهِ خِلاَفَةً منَ تَقَدَّمْنَا ، وأنْ نَراهم كَالآبَاءِ المُسْتَحَقِّينَ البَرَّ منَ أَوْلَادِهِمْ » . وسأله عن حاجته ، فقال : « أُخْبِرْكَ بِهَا بعدَ أنْ أُحدِّثَكَ بشيءٍ يَدُلُّ على أنَّ المَعْرُوفَ يَنفَعُ عِنْدَ مُسْتَحَقِّهِ منَ غَيْرِ المُسْتَوْجِبِينَ لَهُ »

« كَانَتْ لى - أَيْدِكَ اللهُ - دارُ خِيَلٍ نَحْوِ الْمُنْظَرِ <sup>(١)</sup> ، وَكُنْتُ أَرْكَبُ إِلَيْهَا فى غَدَاةِ اللَّيْلِ التى أُعَارِقُ فِيهَا إِخْوَانِي . فَرَكِبْتُ إِلَيْهَا يَوْمًا فَأَلْقَيْتُ فى الصَّحْرَاءِ جَمْعًا منَ الْعَامَّةِ ، وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِمْ ، وَمَعَهُمْ عَامِلُ الْعَمُونةِ . وَاسْتَقْبَلَتْنِي امْرَأَةٌ قَدْ هَتَكَتْ سِتْرَهَا ، وَكَشَفَتْ

(١) المنظر : يريد الصحراء



شَعَرَهَا، فَقَالَتْ: «يَا سَيِّدِي! أَخِي، وَوَاحِدِي، وَكَافِلِي، يُعَرِّضُ عَلَى الْقَتْلِ السَّاعَةَ!». فَعَدَلْتُ إِلَى صَاحِبِ الْمَعُونَةِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِ النَّاسِ، فَقَالَ: «اجْتَمَعْنَا لَضَرْبِ خَنَاقٍ بِالسُّوْطِ»، فَقُلْتُ لَهُ بِحَضْرَةِ النَّاسِ: «مَاحُتٌ هَذَا إِلَّا الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ، وَأَنَا أَكْتُبُ فِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ»، فَأَعْلَنَ الْجَمِيعَ بِالْإِدْعَاءِ لِي، وَانْصَرَفُوا. فَسَأَلْتُهُ الْبِعُتْمَةَ بِالْخَنَاقِ إِلَيَّ، فَوَعَدَنِي بِذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ. فَلَمَّا صَلَّيْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ أَتَفَقَّدْتُ إِلَيْهِ مِنْهُ شَابًّا مُكْفَهَرًا الْوَجْهَ لَا تَخْفَى قَسْوَتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: «أَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ وَتَخَافُهُ فِي طُعْمَتِكَ؟»<sup>(١)</sup>، فَقَالَ: «يَا سَيِّدِي! أَنَا أَشْهَدُ اللَّهُ أَنِّي لَا أَعَاوِدُ هَذَا الْفِعْلَ أَبَدًا»، فَأَوْصَيْتُهُ بِخَيْرٍ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَخْرَجَهُ عَنِ الْبَلَدِ فِي حَالِ سِتْرٍ،

«وَأَقْنَأْتُ بَعْدَ ذَلِكَ سَنِينَ، وَتَقَاوَصَرَتْ أُمُورُنَا وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُنَا بِتَقْلِيدِ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ عَلَيْنَا. فَلَمَّا بَلَغْنَا<sup>(٢)</sup> بِمَا نَطَالِبُ بِهِ، اشْتَصَصَنِي وَأَخِي أَحْمَدٌ إِلَى الْحَضْرَةِ، فَطَالَبَنَا الْوَزِيرُ بِمَا لَفَقَهُ ابْنُ تَمِيمٍ عَلَيْنَا، فَشَكُونَا إِلَيْهِ شِدَّةَ اخْتِلَالِنَا<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ: «فُلَانُ!، فَوَافَاهُ رَجُلٌ بِمَنْزِلَةِ أَثِيرَةٍ<sup>(٤)</sup> عِنْدَهُ: غَالِظُ الطَّبْعِ، كَرِيهُ الْوَجْهِ، تَنَامَلُ الشَّرَّ فِي سَجَايَاهُ، فَقَالَ: «اسْتَخْرِجْ مِنْ هَذَيْنِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ الْيَوْمَ».

(١) الطَّعْمَةُ: طَرِيقَةُ كَسْبِ الرِّزْقِ، يُقَالُ: «فُلَانٌ طَيِّبُ الطَّعْمَةِ أَوْ خَيْشِيهَا».

(٢) بَلَغَ الْغَرِيمَ: أَفْلَسَ

(٣) الْإِخْتِلَالُ: الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ

(٤) أَثِيرَةٌ: مَكِينَةٌ مَقْرَبَةٌ

خير آ<sup>(١)</sup>. وَرَقَّ قَلْبِي عَلَيْهِ وَكَبُرَ فِي نَفْسِي مَحَلُّهُ ، فُخِلْتُ بِهِ وَقُلْتُ  
له : « لَوْ اسْتَجَزْتُ إِطْلَاقَكَ بغيرِ إِذْنٍ لَفَعَلْتُ ؛ وَاسْكِنْ اسْتَعِنَ بِي فِي  
أَمْرِكَ » . فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ فِي هَذَا الْبَلَدِ غَيْرَ أَبِي طَالِبِ الْخَلِيجِ  
- وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَتَوَلَّى شُرَاطِي أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ بِمَصْرَ - وَلَوْ  
وَصَلْتُ إِلَيْهِ سِرًّا ؛ أَوْ بِرِسَالَةٍ مَعَ مَنْ <sup>(٢)</sup> يَفْهَمُ ؛ لَرَجَوْتُ تَسْهِيلَ  
أَمْرِي » فَقُلْتُ لَهُ : « وَاللَّهِ لَا يَتَيْنَى فِي أَمْرِكَ مَا أُنْخِطِرُ بِهِ عَلَى نَفْسِي . أَنَا  
أُطْلِقُكَ سِرًّا عَلَى أَنْ تُؤْتِنَنِي بِإِيمَانٍ مُحَرَّجَةٍ أَنَّكَ لَا تَهْرُبُ عَنِّي وَلَا  
تُخْفِرُنِي » <sup>(٣)</sup> ، فَقَالَ : « إِذَا كُنْتُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ يُشْكُ فِيهِ ؛ فَلَا  
حَاجَةَ لِي بِإِخْرَاجِكَ إِلَيَّ » . فَوَاقَفْتُهُ - مِنْ غَيْرِ يَمِينٍ أَرْتَهِنْتُهَا - عَلَى  
أَنْ يَقِيمَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَأُطْلِقْتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَفَارَقْتُهُ عَلَى أَنْ يَصِيرَ إِلَى  
لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ

فَلَمَّا كَانَ سَحَرُ يَوْمِ السَّبْتِ ، وَاقَفَانِي كَمَا فَتَحْتُ <sup>(٤)</sup> بَابَ السِّجْنِ ،  
فَلَمَّا دَخَلَ سَجَدَ وَحَمِدَ اللَّهَ ، وَقَالَ لِي : « بَعَثْتُ إِلَى أَبِي طَالِبِ الْخَلِيجِ  
امْرَأَةً مِنْ أَهْلِنَا وَطَوَيْتُ عَنْهُ إِطْلَاقِي ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُلْطَفَ فِي أَمْرِي  
فَوَعَدَ بِذَلِكَ ، وَخَلَّفَ الْمَرْأَةَ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيَّ بِالْجَوَابِ . وَرَكِبَ إِلَى

(١) جزاءه خير آ : قال له ، « جزاك الله خيراً » ،

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ » ،

(٣) أَخْفَرَ ذِمَّتَهُ : تَقَضَّاهَا

(٤) كَمَا فَتَحْتُ : يَرِيدُ ( حِينَ فَتَحْتُ ) وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْحَرْفُ فِي كَثِيرٍ

مِنْ كُتُبِ هَذَا الْعَصْرِ ؛ وَانْظُرْ هَذَا فِي آخِرِ الْقِصَّةِ (٦٨)

الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، فَأَقَامَ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْعَتَمَةِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ  
إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ : « وَاقَى أَبُو طَالِبِ الْأَمِيرَ وَهُوَ مَغْمُومٌ ، فَقَالَ لِي :  
« كَلَّمْتُهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتُ نَفْسَ رَجُلٍ يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ ! » ،  
ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى رَجُلٍ أَنْ يَصِيرَ بَكَ إِلَيْهِ عِنْدَ جُلُوسِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ،  
بِوَجْهِهِ إِلَى أَنْ أَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِكَ ، فَلَيْتَنِي لَمْ أَتَكَلَّمْ  
فِيكَ ! » . فَسَحَرَتْ <sup>(١)</sup> - مَعَ مَا تَيَقَّنَتْهُ فِي أَمْرِي - خَوْفًا أَنْ يَأْتِيكَ  
رَسُولُهُ فَلَا يَجِدُنِي ، فَيَلْحَقَكَ مَكْرُوهٌ مِنْهُ . وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا بُوْعِدَنِي  
بِهِ أَسْهَلُ عَلَىَّ مِنْ أَنْ أَخْفِرَ ظَنِّكَ بِي ، وَتَقْدِيرِكَ فِيَّ ،

فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ <sup>(٢)</sup> حَتَّى وَاقَى الرَّجُلُ قَتْسَلَهُ مِنِّي . وَحَضَرْتُ  
الدَّارَ - وَقَدْ أَحْضَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونٍ ، وَجُلُسُهُ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ -  
فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَتَهُ بِالْإِجْلَابِ عَلَيْهِ فِي الثَّغْرِ <sup>(٣)</sup> . فَاعْتَذَرَ بِعُذْرٍ قَبِيلِهِ ،  
وَلَقِيَهُ بِالرَّأْفَةِ ، بَصْدًا مَا خِفْتُهُ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ . فَكَانَ مِنْ آثَرِ إِخْوَانِي  
عِنْدِي <sup>(٤)</sup> إِلَى أَنْ فَرَّقَتِ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ »

\*\*\*

ابن أسباط  
والخناق

٥ - وَحَدَّثَنِي عَمِّي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ :

(١) سحر : بكر في السحر

(٢) ترجل النهار : ارتفع ، كما يرتفع الرجل عن الصبا

(٣) أجلب عليه : أعان عليه عدوه ، والثغر : موضع المخافة من

أطراف البلاد

(٤) من آثرهم : أي من أحبهم وأقربهم

خير آ<sup>(١)</sup>. ورَقَّ قلبي عليه وكُبر في نفسي محلُّهُ، نخلوتُ به وقلت له: «لو استجِزْتُ إطلاكَ بغير إذنٍ لفعلتُ؛ وأكنِ استعين بي في أمرك». فقال: «والله ما أعرف في هذا البلد غيرَ أبي طالب الخليل - وكان هذا الرجلُ يتولَّى شُرْطَى أحمد بن طولون بمصر - ولو وصلتُ إليه سرّاً؛ أو برسالة مع من<sup>(٢)</sup> يفهمُ؛ لرجوتُ تسهيلَ أمرى، فقلت له: «والله لا تينَ في أمرك ما أخطر به على نفسي. أنا أطلّقتُ سرّاً على أن تُوثّقني بأيمان مُحَرَّجَةٍ أنك لا تهربُ عني ولا تُخفِرُنِي»، فقال: «إذا كنتُ عندك بمنزلةٍ مَنْ يُشكُّ فيه؛ فلا حاجة لي بإخراجك إياي». فوافقته - من غيرِ يمينٍ آرتهنتُ بها - على أن يقيمَ ثلاثةَ أيام، فأطلقته ليلةَ الجمعة، وفارَقته على أن يصيرَ إلى ليلةِ الاثنين

فلما كان سَحَرُ يوم السبت، وَاقَانِي كما فتحتُ<sup>(٤)</sup> باب السجن، فلما دَخَلَ سَجَدَ وَحَمِدَ الله، وقال لي: «بعثتُ إلى أبي طالب الخليل امرأةً من أهلنا وَطَوَيْتُ عَنْهُ إِطْلَاقِي، وسألتُهُ أَنْ يَلْطَفَ في أمرى فوعَدَ بذلك، وخَلَفَ المرأةَ حتى ترجِعَ إليَّ بالجواب. وركبَ إلى

(١) جزاء خيراً: قال له، «جزاك الله خيراً».

(٢) في الأصل: «من».

(٣) أخفر ذمته: نقضها.

(٤) كما فتحت: يريد (حين فتحت) وقد ورد هذا الحرف في كثير من كتب هذا العصر؛ وانظر هذا في آخر القصة (٦٨).

الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، فَأَقَامَ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ النَّعْمَةِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ  
إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ : « وَاقَى أَبُو طَالِبِ الْأَمِيرَ وَهُوَ مَغْمُومٌ ، فَقَالَ لِي :  
« كَلَّمْتُهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتَنِي رَجُلًا يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ » ،  
ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى رَجُلٍ أَنْ يَصِيرَ بِكَ إِلَيْهِ عِنْدَ جُلُوسِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ،  
بِوَجْهِهِ إِلَيَّ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِكَ ، فَلَيْتَنِي لَمْ أَتَكَلَّمْ  
فِيكَ ! » . فَسِحِرَتْ <sup>(١)</sup> - مَعَ مَا تَبَيَّنَتْهُ فِي أَمْرِي - خَوْفًا أَنْ يَأْتِيَكِ  
وَسُوْلُهُ فَلَا يَجِدُنِي ، فَيَلْحَقَكَ مَكْرُوهٌ مِنْهُ . وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا يُوعِدُنِي  
بِهِ أَسْهَلُ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْفِرَ ظَنِّكَ بِي ، وَتَقْدِيرَكَ فِيَّ ،

فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ <sup>(٢)</sup> حَتَّى وَاقَى الرَّجُلُ فَتَسْلَمَهُ مِنِّي . وَحَضَرْتُ  
الدَّارَ - وَقَدْ أَحْضَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونٍ ، وَجُلُسُهُ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ -  
فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَتَهُ بِالْإِجْلَابِ عَلَيْهِ فِي الثَّنَاءِ <sup>(٣)</sup> . فَاعْتَذَرَ بِعُذْرٍ قَبِيلِهِ ،  
وَلَقِيَهُ بِالرَّأْفَةِ ، بِضَدِّ مَا خِفْتُهُ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ . فَكَانَ مِنْ آثَرِ إِخْوَانِي  
عِنْدِي <sup>(٤)</sup> إِلَى أَنْ فَرَّقَتْ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ »



ابن أسباط  
والخناق

٥ - وَحَدَّثَنِي عَمِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ :

- 
- (١) سحر : بكرر في السحر  
(٢) ترجل النهار : ارتفع ، كما يرتفع الرجل عن الصبا  
(٣) أجلب عليه : أعان عليه عدوه ، والثغر : موضع الخفاة من  
أطراف البلاد  
(٤) من آثرهم : أي من أحبهم وأقربهم

خيراً<sup>(١)</sup>. ورَقَّ قلبي عليه وكُبر في نفسي محلُّهُ، نخلوتُ به وقلت له: «لو استجرتُ إطلائِكَ بغيرِ إذنٍ لفعلتُ؛ واسكنِ استعينَ بي في أمرك». فقال: «والله ما أعرف في هذا البلد غيرَ أبي طالب الخليل - وكان هذا الرجلُ يتولَّى شُرَطيَّ أحمد بن طُلول بن مَصر - ولو وصلتُ إليه سِرّاً؛ أو برسالة مع من<sup>(٢)</sup> يفهم؛ لرَجوتُ تسهيلاتَ أمرى، فقلت له: «والله لا تَينَ في أمرك ما أخطرُ به على نفسي. أنا أطلِّقك سراً على أن تُؤثِّقني بأيمانٍ مُحَرَّجَةٍ أنَّكَ لا تهربُ عني ولا تُخفِّرُني»<sup>(٣)</sup>، فقال: «إذا كنتُ عندك بمنزلة مَنْ يُشكُّ فيه؛ فلا حاجة لي بإخراجك إياي». فوافقته - من غيرِ يمينٍ آرتهنتُ بها - على أن يقيمَ ثلاثةَ أيام، فأطلقته ليلةَ الجمعة، وفارقته على أن يصيرَ إلى ليلةِ الاثنين

فلما كان سَحَرُ يوم السبت، وافاني كما فتحتُ<sup>(٤)</sup> باب السجن، فلما دَخَلَ سَجَدَ وحَمِدَ الله، وقال لي: «بعثتُ إلى أبي طالب الخليل امرأةً من أهلنا وظَوَّيتُ عنه إطلائِي، وسألتُهُ أَنْ يَلُظفَ في أمرى فوعَدَ بذلك، وخلفَ المرأةَ حتى ترجَعَ إلى الجواب. وركبَ إلى

(١) جزاءه خيراً: قال له، «جزاك الله خيراً»

(٢) في الأصل: «ومن»

(٣) أخفر ذمته: نقضها

(٤) كما فتحت: يريد (حين فتحت) وقد ورد هذا الحرف في كثير من كتب هذا العصر؛ وانظر هذا في آخر القصة (٦٨)

الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، فَأَقَامَ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْعَمَّةِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ : « وَاقِ أَبُو طَالِبِ الْأَمِيرِ وَهُوَ مَغْمُومٌ ، فَقَالَ لِي : « كَلَّمْتُهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتُ نَفْسِي رَجُلًا يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى رَجُلٍ أَنْ يَصِيرَ بِكَ إِلَيْهِ عِنْدَ جُلُوسِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، وَوَجَّهَ إِلَيَّ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِكَ ، فَلَيْتَنِي لَمْ أَتَكَلَّمْ فَيْكَ ! » . فَسَحِرَتْ <sup>(١)</sup> - مَعَ مَا تَيَقَّنْتُهُ فِي أَمْرِي - خَوْفًا أَنْ يَأْتِيَكِ رَسُولُهُ فَلَا يَجِدُنِي ، فَيَلْحَقَكَ مَكْرُوهٌ مِنْهُ . وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا يُوعِدُنِي بِهِ أَسْهَلُ عَلَىَّ مِنْ أَنْ أُخْفِرَ ظَنِّكَ بِي ، وَتَقْدِيرَكَ فِيَّ ،

فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ <sup>(٢)</sup> حَتَّى وَاقِيَ الرَّجُلُ قَلْسَلَهُ مِنِّي . وَحَضَرْتُ الدَّارَ - وَقَدْ أَحْضَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونٍ ، وَجُلُسُهُ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ - فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَتَهُ بِالْإِجْلَابِ عَلَيْهِ فِي الثَّغْرِ <sup>(٣)</sup> . فَاعْتَذَرَ بِعُذْرِ قَيْسَلِهِ ، وَلَقِيَهُ بِالرَّأْفَةِ ، بَصْدًا مَا خِفْتُهِ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ . فَكَانَ مِنْ آثَرِ إِخْوَانِي عِنْدِي <sup>(٤)</sup> إِلَى أَنْ فُرِّقَتْ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ »



ابن أسباط  
والخناق

٥ - وَحَدَّثَنِي عَمِّي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ :

- (١) سحر : يكر في السحر
- (٢) ترجل النهار : ارتفع ، كما يرتفع الرجل عن الصبا
- (٣) أجلب عليه : أعان عليه عدوه ، والثغر : موضع الخفاقة من أطراف البلاد
- (٤) من آثرهم : أى من أحبهم وأقربهم

« انتظرتُ أبا عبد الله الواسطى - كاتب أحمد بن طولون -  
 فى داره ، حتى رَجَعَ من عند أحمد بن طولون . فأوصلَ إليه بعضُ  
 الحُجَّابِ ثَبَّتَ من وقفٍ بالبَابِ ، فرأى فيه إسماعيلَ بنَ أسباط  
 فسألَ عنه . فقيلَ له : « وقفَ بالبَابِ طويلاً وأَنصَرَفَ » . فقال :  
 « إنَّ هذا الرجلَ مَن عَمَرَ هذه المَنزلةَ مدَّةَ طويلة ، ولست أَشكُّ أنَّ  
 نَجِيتهُ لحاجةٍ له ، ومن الجميلِ أن أركبَ إليه فَأَقْضِيَهُ حوائِجَهُ ، وأَبْلُغَ  
 فيها مَحَبَّتَهُ » . ثم ركبَ وسيرتُ معه ، حتى دخلنا دارَ إسماعيلِ  
 ابنِ أسباط - وهى التى ملكها الشَّيرُ بعده - ، فرأينا داراً عاريةً من  
 السُّورِ والفرش ، وتأمَّلنا مَن فيها من الحَشَمِ على حالٍ سيِّئَةٍ . فَاسْتَقْبَلَهُ  
 إسماعيلُ بالشُّكرِ والدَّعاءِ له ، فقال له الواسطى : « إنه لا فَرْقَ بينك  
 السَّاعةَ عندى فى المَرتبةِ التى كنتَ فيها . ومن بَجمَلنا فيما أَفْضَى إلينا  
 أن نُحَسِّنَ فيه خِلافةً من تقدَّمنا ، وأن نَراهم كالآباءِ المُستَحِقِّينَ  
 البرِّ من أولادِهِم » . وسأله عن حاجته ، فقال : « أُخْبِرْكِهَا بَعدَ  
 أن أُحدِّثَكَ شَيْءَ يَدُلُّ على أنَّ المَعْرُوفَ يَنفَعُ عندَ مُستَحَقِّهِ من  
 غيرِ المُستَوْجِبِينَ له ،

« كَانَتْ لى - أَيَّدَكَ اللهُ - دارُ خَيلٍ نَحْوِ المَنْظَرِ <sup>(١)</sup> ، وَكُنْتُ  
 أَرْكَبُ إِلَيْهَا فى غَدَاةِ اللَّيْلِ التى أَعَاقِرُ فيها إِخْوَانى . فَرَكِبْتُ إِلَيْهَا  
 يوماً فَأَلْفَيْتُ فى الصَّحراءِ جَمْعاً من العَامَّةِ ، وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِمْ ، وَمَعَهُمْ  
 عَامِلُ المَعُونَةِ . وَاسْتَقْبَلَتْنِى امْرَأَةٌ قَدْ هَتَكَتْ سِتْرَهَا ، وَكَشَفَتْ



سَعَرَهَا، فَقَالَتْ: «يَاسَيْدَى! أَخِي، وَوَاحِدِي، وَكَافِي، يُعْرِضُ عَلَى الْقَتْلِ السَّاعَةَ<sup>(١)</sup>». فَعَدَلْتُ إِلَى صَاحِبِ الْمُعُونَةِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِ النَّاسِ، فَقَالَ: «اجْتَمَعْنَا لِنَضْرِبَ خَنَاقَ السُّوْطِ»، فَقُلْتُ لَهُ بِحَضْرَةِ النَّاسِ: «مَا حَقُّ هَذَا إِلَّا الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ، وَأَنَا أَكْتُبُ فِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ»، فَأَعْلَنَ الْجَمِيعَ بِالْإِذْعَانِ، وَانْصَرَفُوا. فَسَأَلْتُهُ الْبُعْثَةَ بِالْخَنَاقِ إِلَى، فَوَعَدَنِي بِذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ. فَلَمَّا صَلَّيْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ أَنْفَذْتُ إِلَى مَنْهُ شَابًّا مُسَكِّفَهُرَّ الْوَجْهِ لَا تَخْفَى قَسْوَتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: «أَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ وَتَخَافُهُ فِي طُعْمَتِكَ؟<sup>(٢)</sup>»، فَقَالَ: «يَاسَيْدَى! أَنَا أَشْهَدُ اللَّهُ أَنِّي لَا أَعَارِدُ هَذَا الْفِعْلَ أَبَدًا»، فَأَوْصَيْتُهُ بِخَيْرٍ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ مَنْ أَخْرَجَهُ عَنِ الْبَلَدِ فِي حَالِ سَتْرِ،

«وَأَقْنَا بَعْدَ ذَلِكَ سَنَيْنَ، وَتَقَاصَرَتْ أُمُورُنَا وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُنَا بِتَقْلِيدِ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ عَلَيْنَا. فَلَمَّا بَلَغْنَا<sup>(٣)</sup> بِمَا نَطَالِبُ بِهِ، أَشْخَصَنِي وَأَخِي أَحْمَدٌ إِلَى الْخِصْرَةِ، فَطَالَبَنَا الْوَزِيرُ بِمَا لَفَقَهُ ابْنُ تَمِيمٍ عَلَيْنَا، فَشَكُونَا إِلَيْهِ شِدَّةَ اخْتِلَالِنَا<sup>(٤)</sup>»، فَقَالَ: «فُلَانُ!»، فَوَافَاهُ رَجُلٌ بِمَنْزِلَةِ أَثِيرَةٍ<sup>(٥)</sup> عِنْدَهُ: غَالِظُ الطَّيْعِ، كَرِيهُ الْوَجْهِ، تَنَاطَلَ الشَّرَّ فِي سَجَايَاهُ، فَقَالَ: «اسْتَخْرِجْ مِنْ هَذَيْنِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ الْيَوْمَ».

(١) الطَّعْمَةُ: طَرِيقَةُ كَسْبِ الرِّزْقِ، يُقَالُ: «فُلَانٌ طَيَّبَ الطَّعْمَةَ وَأَوْخِيَهَا».

(٢) بَلَحَ الْغَرِيمُ: أَفْلَسَ

(٣) الْإِخْتِلَالُ: الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ

(٤) أَثِيرَةٌ: مَكِينَةٌ مَقَرَّةٌ

فَانزَعَنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ بِفَظَاظَةٍ أَيْقَنْتُنَا بِالْهَلَكَةِ . ثُمَّ صَارَ بِنَا إِلَى  
حُجْرَةٍ لَهُ فِي دَارِ الْوَزِيرِ ، فَسَأَلْنَا عَنْ بِلْدِنَا وَنَسَبِنَا ، فَلَمَّا سَمِعَ  
« أَسْبَاطُ ، سَكَنَ قَوْرُهُ وَرَقَّ قَلْبُهُ ، وَقَالَ : « مِنْ تَكُونُونَ مِنْ  
إِسْمَاعِيلِ ؟ » ، فَقُلْتُ : « أَنَا إِسْمَاعِيلُ ! » فَبَكَى وَأَنْكَبَّ عَلَى رَأْسِي  
وَرَجُلِي ، وَقَالَ لِي : « يَا سَيِّدِي ! أَنْعِرْنِي ؟ » ، قُلْتُ : « لَا » ، قَالَ :  
« أَنَا الْخَتَّاقُ الَّذِي أَطْلَقْتَنِي بِمَصْرٍ ! وَوَاللَّهِ مَا خَنَقْتُ أَحَدًا بِحَمْدِ  
اللَّهِ بَعْدَ إِطْلَاقِي ، وَأَسْكَنَ شِرَاسَةً طَبْعِي عَدَلْتُ بِي عَنْ الزَّهَادَةِ إِلَى  
مَادُونِ الْخُتْقِ ، وَهُوَ اسْتِخْرَاجِي لِلْوَزِيرِ الْأَمْوَالِ بِالْتَّغْذِيبِ ، وَقَدْ  
وَجَدْتُ عِنْدِي فِيهِ مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِي » . ثُمَّ طَعَنَ <sup>(١)</sup> فِي تِلْكَ الْحَجَرَةِ  
فَأَخْرَجَ إِلَى صَنْدُوقٍ يَحْمِلُهُ غُلَامَانُ ، فَقَالَ : « فِي هَذَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَلْقِ  
مَا نَكْتَفِي بِهِ ، فَقُومُوا بِنَا حَتَّى نَهْرُبَ لَثَلًا يَقَعُ بِكُمْ بِأَس » . فَأَعْلَبْتَهُ  
أَنَا نَحَافَ فِي الْهَرَبِ تَقْبُعُ الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ . فَرَجَعَ إِلَى الْوَزِيرِ يَبْكِي  
بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَحْدِثُهُ مَحَلَّنَا - كَانَ - وَمَا أَوْلَيْنَاهُ ، فَعَجِبَ الْوَزِيرُ مِنْ رِقَّتِهِ  
عَلَيْنَا ، لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ فَظَاظَتِهِ ، وَكَانَ - شَهِدَ اللَّهُ - أَقْوَى  
الْإِسْبَابِ فِي دَفْعِ الْمَطَالِبَةِ عَنَّا

« ثُمَّ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيَّ - بَعْدَ هَذَا الْحَدِيثِ - حَوَاتِجَ  
وَقَعَ بِهَا فِي مَجْلِسِهِ ، وَوَكَّلَ بِهَا مُتَنَجِّزًا مِنْ خَاصَّتِهِ ، وَلَمْ تَزَلْ أُلْطَافُهُ <sup>(٢)</sup>  
تَعْتَادُهُ إِلَى أَنْ تُتَوَفَّى ،

(١) طعن في الحجرة : أدخل ومعد

(٢) المتنجز : المتعجل ، اللطاف : جمع لطف ، وهي التحفة والهدية

٦ - وحدثنى يوسف بن إبراهيم والدي ، قال : حدثني إبراهيم بن المهدي عن إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، عن أبيه :

أنه كان مع أبي عبد الله محمد بن علي - أبي الخلفاء - برُصافة هشام بعد وفاة أبي محمد علي بن عبد الله ، وأنه أقام ثلاثة أشهر برُصافة هشام لا يأذن له هشام عليه ، إلى أن بلغ أبا عبد الله إجماع مسلمة القدوم على هشام ، فتلقاه على أميال من الرُصافة ، وشكى إليه جفوة هشام وتأخير الإذن عليه . فقال له مسلمة : « أرجو أن يزول هذا بقدومي » ، وأمره أن يُقيم بباب هشام إذا دخل عليه مسلمة ، ولا يريم ما أقام مسلمة عنده <sup>(١)</sup> ؛ فأقام أبو عبد الله إلى وقت زوال الشمس

قال عيسى بن علي : فخرج مسلمة إليه ، فقال له : « قوض رحلك أبا عبد الله ! فما لك عند الرجل من خير ! لا تني خاطبته في أمرك - بعد ما تقضى سلامي عليه - : » محمد بن علي بن عبد الله على شاكركم ورحمه برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يقيم ثلاثة أشهر ببابك فلا يؤذن له عليك ؟ » . فقال : « أله عنه أبا سعيد » ، فأمسكت حتى حضر الطعام ، فأعلمته أنني لا أستجير الأكل وإنه قائم على الباب ! فغضب غضباً زاد به حوله <sup>(٢)</sup> ، وقال : « يسمى

(١) لا يريم . لا يبرح مكانه

(٢) كان هشام بن عبد الملك أحول

أَبْنَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَيَرْجُو هَذَا أَنْ يَلِيَا الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ يَطْمَعُ  
فِي خَيْرٍ مِنِّي ! وَاللَّهِ لَوْلَا مَاسَةٌ رَحِمَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى  
آلِهِ وَسَلَّمَ لَقَطَعْتُ مِنْ وَسْطِهِ شَبْرًا <sup>(١)</sup> ،

ثُمَّ عَانِقُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَالَ : « رُسُولِي إِلَيْكَ صَائِرٌ » . فَرَجَعَ أَبُو  
عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَوَّضَهُ ، وَبَقِيَ فِي خَيْرَةٍ لِعَجْزِهِ عَمَّا يُنْهَضُهُ . وَوَفَاهُ  
رَسُولُ مُسْلِمَةَ يَقُولُ : « لَمْ أَقْدِرْ فِي سَفَرِي هَذَا طَوْلَ اللَّبَثِ » ، وَأَشْهَدُ  
اللَّهُ أَنِّي مَا حَمَلْتُ مَعِيَ إِلَّا أَلْفًا وَثَلَاثُمِائَةَ دِينَارٍ ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ  
بِالْأَلْفِ ، وَخَلَفْتُ الثَّلَاثُمِائَةَ لِنَفْقَتِي ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِي : خُذْتُ  
بِهَذَا الْحَدِيثِ الرَّشِيدُ فِي حَدِيثَةِ الْمَوْصِلِ فِيكَ ، وَقَالَ : « وَصَلْتُ أَبَا  
سَعِيدٍ رَحِمَ ، وَاللَّهِ لَادْخَلْتُ الرَّقَّةَ حَتَّى أَقْضِيَ عَارِفَتَهُ عِنْدَنَا » . فَلَمَّا  
وَأَقَيْنَا حَصَنَ مُسْلِمَةَ ، أَحْصَى مَنْ فِيهِ مِنْ وَلَدِهِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ  
فَوَجَدَهُمْ أَرْبَعِينَ ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ،

\*\*\*

٧ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ وَبَيْدٍ ، قَالَ :

ابن نصير  
والوزاق

« وَدَعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ نَصِيرِ الْعِبَادِيِّ فِي بَعْضِ خَرَاجَاتِي إِلَى بَغْدَادَ ،  
فَأَخْرَجَ إِلَيَّ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَقَالَ : « إِذَا دَخَلْتَ بَغْدَادَ ،  
فَادْفَعْ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى ثَعْلَبٍ ، وَأَلْفَ دِينَارٍ إِلَى الْمُبَرِّدِ ، وَصِرْ إِلَى  
قَصْرِ وَضَّاحٍ فَاظْطَرُ إِلَى أَوَّلِ دُكَّانٍ لِلْوَرَّاقِينَ ، فَإِنَّكَ تَجِدُ صَاحِبَهَا -  
إِنْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَمُتْ - قَدْ شَاخَ ، فَاجْلِسْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : « إِسْحَاقُ بْنُ

نُصِيرُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ : وَهُوَ الْغَلَامُ الَّذِي كَانَ يَقْصِدُكَ كُلَّ عَشِيَّةٍ - راجلاً من دارِ الرُّومِيِّينَ - بِدُرَّاعَةٍ <sup>(١)</sup> وِعِمَامَةٍ وَنَعْلٍ رَقِيقَةٍ ، فَيَسْتَعِيرُ مِنْكَ الْكِتَابَ بَعْدَ الْكِتَابِ ، فَإِذَا آقَتْصَيْتَهُ كِرَاءً مَا تَسَخَّ مِنْهُ <sup>(٢)</sup> قَالَ : « أَصْبِرْ عَلَيَّ إِلَى الصُّنْعِ » <sup>(٣)</sup> ، فَإِذَا اسْتَقَرَّتْ مَعْرِفَتِي فِي نَفْسِهِ دَفَعْتَهُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْأَلْفَ الدِّينَارَ وَقُلْتُ لَهُ : « هَذِهِ تَمَرَّةُ صَبْرِكَ عَلَيَّ »

قال لي أحمد بن وليد : فلما دخلت بغداد - ودفعتُ الألفَ دينارَ إلى ثعلبٍ والمبرد - مضيتُ إلى قصيرٍ وضاحٍ ، فألفتِ الدكانَ التي وَصَفَ لي قفراً ليس فيه كتابٌ ، ورأيتُ فيها الشيخَ الذي وَصَفَهُ لي في حالِ رَتَمِهِ وَثِيَابِ خَلْقَةٍ <sup>(٤)</sup> ، وقد أفضى به الأمرُ إلى التوريقِ للناسِ <sup>(٥)</sup> . فجلستُ إليه وسألته عن حاله ، فقال : « يا أخى ! ما ظنُّك بِحَالِ : مَا تَتَأَمَّلُهُ فِي أَحْسَنُ مَا فِيهَا ؟ » ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَسْأَلَةِ إِلَى أَشْيَاءَ كَانَ فِيهَا خَبَرُ إِسْحَاقَ بْنِ نُصَيْرٍ ، فقال : « قد كان يجيئني من دارِ الرُّومِيِّينَ غلامٌ - وَوَصَفَهُ - فَأَسْتَمِعُ لَهُ بِالنُّسخَةِ بَعْدَ النُّسخَةِ - يَقَالُ لَهُ : « إِسْحَاقُ » ، وَكَانَ يَعِدُنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ يَأْخُذُهُ إِلَى الصُّنْعِ ، وَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ وَقَعَ بِنَوَاحِي مِصْرَ وَمَا حَصَلَ لِي مِنْهُ شَيْءٌ » <sup>(٦)</sup> ، فَأَخْرَجْتُ الْأَلْفَ

(١) الدُّرَّاعَةُ : جَبَّةٌ مَشْقُوقَةٌ الْمَقْدَمُ

(٢) الْكَرَاءُ : أَجْرُ الْمُسْتَأْجِرِ

(٣) الصُّنْعُ : يَرِيدُ صَنَعَ اللَّهِ وَلَطْفُهُ

(٤) خَلْقَةٌ : بِالْيَةِ

(٥) التوريق : نسخ الكتب - على الورق - وتجليدها . وهو الوراق

(٦) - مكافأة -

الديّار وقلتُ له ، يقول لك : « هذه ثمرة صبرك » ، فكاد والله يموتُ فرحاً . فقلتُ له : « أيسرُ دراهمٍ وهى دنانير ! » . وانصرفت عنه وهو أحسنُ من فى سوقه حالاً .  
قال لى أحمد بن وليد : واجتزت بعد ذلك فرأيت دُكانه معمورةً .  
وهو متصدّرٌ فيها على أحسنِ حالٍ وأوفاهما ،

\*\*\*

ابن الزنق  
والقاسم بن  
شعبة

٨ — وكان يَنْحُو دارَ العُنُقودِ شيخٌ يَنْخَسُ<sup>(١)</sup> فى الدَّوَابِّ .  
يُعرَفُ بابن الزنق . قد حَلَقَ بمصرَ أكابرَها ، ورأيتُه فى أيامِ أحمد  
ابن طولون قد علّتُ سنّه ، وضَعُفَ عن التصرّف . وكان له أبْنُ  
أختٍ . خفيفُ الروح ، مقبولُ الصورةِ ، حُلُوُ الألفاظِ ، يَنْخَسُ  
فى الدَّوَابِّ . نخَفَ على قلبِ القاسمِ بنِ شُعْبَةَ . وكان شُعْبَةُ من أكابرِ  
أصحابِ أحمد بن طولون ، ومات فى طاعته ، فرَدَّ إلى القاسمِ ابنه .  
إحدى الشرطتين بمصر . فانصَرَفَ ابنُ أختِ ابنِ الزنق من عند  
القاسمِ وقد خَلَعَ عليه دُرّاعةَ حَزّ من تحتها جُبّةٌ مُلَحَّمٌ<sup>(٢)</sup> ، فظفر إليها  
خاله ابنُ الزنق ، فقال : « ماهذه الخلعة الرائعة ؟ » ، فقال : « خلعتها  
على القائد . ! » ، يريد القاسم بن شُعْبَةَ . فقال : « يا بُنَى ! إن كنتَ  
تَصْبِرُ على التَّدَلّى معه فى حِجْنِهِ ، كما تَتَدَلّى فى رِيعِهِ ، وإلّا فاعزّله .  
ولا تَفَضِّحْنَا بالقُعودِ عنه فى نَوَائِبِهِ » ، فقال : « أرجو أن يصونَه اللهُ »

(١) النخاس : بائع الدواب . ويتنخس فيها : يتجر

(٢) الملحم : ضرب من الثياب تختلف لحمته عن لحمه غيره فى نوعه

وما أنعم عليه به ، من نائبة ألمحقة ، أو مكروه يقع به ، ، فقال : « وأنا أرجو هذا أيضاً له ، ولكن ينبغي أن لا تلنسى نصيبه منك في الشدة ، كما عني بك في النعمة »

واتصل بأحمد بن طولون عن القاسم بن شعبة شيء أنكره ، فحبسه ووكل بداره جماعة ، وأختفى النخاس في دار خاله . فسأله بعد يومين عن سبب ملازمته المنزل ، فقال : « وجدت علة » ، إلى أن اتصل الخبر بالشيوخ ، فدخل إلى ابن أخته فقال : « قبحك الله ! سرفت معروف هذا القائد ، وخليته يقارع شجوه بمنحته ؟ ! » . وأسرج حماراً له وركبه ، وجير أنه يناشدونه الله ألا يفعل ، فقال : والله القتل أحسن مما أتى به هذا الوغد »

ثم قصد دار القاسم بن شعبة . وعليها جماعة من الموكلين وأصحاب الأخبار <sup>(١)</sup> . ، فوقف على الباب فقال : « كيف حال القائد أبي محمد أيده الله ؟ » ، فقالوا : « أمض يا شيخ » ، فقال : « ما أمضى حتى أبلى عذراً ! هذا رجل قد لزمته له عارفة ، وهذا أو أن تصانها . فوقع خبره إلى أحمد بن طولون فأحضره ، وقال : « ما كنت تعمله للقاسم ابن شعبة ؟ » ، قال : « أولاني في بعض أقاربى جميلاً ، فانتصبت الساعة لما يحتاج إليه ؛ وما أحق الأمير أن يفضلي بحسن المكافأة عن طاعة والده له ، فقد كان مشهوراً بها ! »

فخذني أبو العباس الطرسوسي . أن أحمد بن طولون قال له في

هذا المجلس : « ما أحسن ما اهتدى هذا الشيخ إلى إذكاري بحق قاسم وعطفني عليه ! » ، ثم أحضر القاسم بن شعبة وخلع عليه خِلاعة رِضَى ، وصرفه إلى منزله . وعدل الشيخ ولم يدخل معه داره ؛ وانصرف إلى بيته وقد قام بما قعد عنه ابنُ أخته

\*\*\*

هارون بن  
ملول وابن تميم

٩ - وحدثني هارون بن ملول ، قال :

لمسامات أبي ورثتُ منه مالاَ جَمًّا ومُسْتَعْلَاتٍ نفيسةً - وكان يقصُرُنِي على زِيِّ التجار ، ويمْنَعُنِي من التَّخْرُقِ <sup>(١)</sup> والسَّرَفِ في الهَيْئَةِ - ، فَمَمَدْتُ إلى أثوابِ وشِي سَعِيدِي <sup>(٢)</sup> كانت في المتاجر التي خَلَفَهَا والذى فَقَطَعْتُهَا ، وَقَطَعْتُ لِحْدِمَ - أَرْتَبِطُهُم للتجارة - من المُلْحَمِّ والدِّياج مالاَ يتَسَمَّحُ به أحدٌ من أبناء التَّرفه . وجلسْتُ في الوَشِيِّ ، وقامَ الغلبان بين يدي فبما قَطَعْتَهُ لهُم

وَوَافَانَا إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ [بْنِ تَمِيمٍ] مُفْتَقِدًا ، فَتَأَمَّلْنِي فَقَالَ : « لَقَدْ سَرَفَنِي بَعْدُ يُتَمَمِّكَ وَحُسْنُ زِيِّكَ <sup>(٣)</sup> ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ ! » . ثُمَّ وَافَى جَمَاعَتَهُ مِنْ إِخْوَانِ أَبِي وَأَصْفِيَايَةِ ، فَوَاللَّهِ مَا أُنْكِرُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ زِيِّ أَسْلَافِي . فَلَمَّا كَانَ فِي عَشِيِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَافَانِي رَسُولُ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ : « عِنْدِي مِنْ لَاحِظَةِ شِمَمِهِ ، فَتَوَضَّئْ

(١) التخرق : التوسع في العطاء والمعيشة

(٢) وشي سعيدي : ضرب من برود الين موشية تعرف بالسعيدية ، منسوبة إلى سعيد بن العاص

(٣) اليتمة : حالة اليتيم ، ولم ترد في كتب اللغة



جَمَاعَتَنَا بِحُضُورِكَ ؟ فَقَدْ أَعْجَبَنِي الْيَوْمَ حُسْنُ زِيَّتِكَ ! » . فَرَدَّتْ فِي  
الْخِلْعَةِ وَرَكِبَتْ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ إِلَيْهِ لَمْ أَقِدْ عِنْدَهُ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ  
وَالِدِي . فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ الصَّحْنُ ابْتَدَرَ نِي الْغُلَامَانِ ، وَصَاحَ بِي إِسْحَاقُ :  
« تَتَوَهَّمُ يَا جَاهِلُ أَنَّ أَبَاكَ مَضَى وَاسْتَرْحَتْ ! وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ أَبَاكَ  
خَلَّفَ لَكَ هَؤُلَاءِ الْأَبَاءَ بِأَسْرِهِمْ يَرُدُّونَكَ عَنِ الْخَطَا بِالْإِمِّ الْعَقُوبَةِ ،  
وَلَا يَشْفَعُونَ فِي مَصْلَحَتِكَ مِنْ عَظِيمٍ مَا كَانَ أَبُوكَ يَرْقُبُ عَنْهُ فَيْكَ ؟ ،  
ثُمَّ بَطِطَحْتُ فِي وَسْطِ الدَّارِ ، فَصَحْتُ بِهِمْ : « يَا سَادَتِي ! وَاللَّهِ  
مَا قَرِعْتُ قَطُّ بِمَقْرَعَةٍ ! » ، فَقَالَ إِسْحَاقُ : « وَلَا أَتَيْتَ بِمِثْلِ هَذَا  
الْفِعْلِ ! » . وَضُرِبْتُ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، وَلَمْ تُرْفَعْ الْمِقْرَعَةُ عَنِّي حَتَّى  
حَلَفْتُ لَهُمْ أَلَّا أَزِيدَ عَلَى مَعْرِضِ وَالِدِي وَآقِصَادِهِ ، فَأَقَمْتُ عَلَى هَذَا  
إِلَى الْيَوْمِ »

وَمَا زَالَ عَنْهُ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ

\*\*\*

١٠ - وَلَمَّا اسْتَفْحَلَ أَمْرُ ابْنِ الْخَلِيجِ ، انْحَاذَ عَنْهُ جَيْشُ مِصْرَ وَالْعَرَابِ مِنَ  
إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَخَلَا الْفُسْطَاطَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ بِمَدِينَةِ أَهْنَاسٍ <sup>(١)</sup> ،  
وَأَضْطَرَبَتِ النِّوَاحِي ، وَاحْتَجَّتْ إِلَى مُشَاهَدَةِ الْفُسْطَاطِ . فَتَخَفَّرْتُ  
بِأَرْبَعَةِ تَفَرُّقٍ مِنَ الْقَيْسِيَّةِ ، دَفَعْتُ إِلَيْهِمْ عَشْرِينَ دِينَارًا وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ ،  
فَأَحْسَنُوا الْعِشْرَةَ ، وَأَجْمَلُوا الصُّحْبَةَ . وَكُنَّا لَا نَجْتَازُ بَحْرِي وَلَا جَمَاعَةَ  
إِلَّا كَفَّوْنَا مَوْوَنَةً كَلَامَهُمْ ، وَصَرَفُوا عَنَّا بِأَسْهَمٍ . وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ

(١) أَهْنَاسُ : بَلَدَةٌ بِالصَّعِيدِ مِنْ عَمَلِ الْبَهْنَسَا

دَأْبُنَا حَتَّى بَلَغْنَا قَصْرَ الْجِيزَةِ ، فَأَقْبَلْتُ رَعْلَةً مِنَ الْأَعْرَابِ (١) -  
 قَدَّرْتُهَا بِرَأْيِ الْعَيْنِ خَمْسِينَ فَارِسًا - كَانَتْ مِنْ غَيْرِ حِيْثِهِمْ ، فَصَمَّمْتُ  
 نَحْوَنَا بِرِمَاحِهَا ، وَعَمِلْتُ عَلَى نَهْبِنَا وَقَتْلِنَا ، وَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِي أَسِنَّتِهِمْ .  
 وَأَحْسَنَ الْأَرْبَعَةَ - الَّذِينَ تَخَفَّرْنَا بِهِمْ - لِقَاءَهَا وَالتَّضَرَّعَ إِلَيْهِمْ ،  
 وَنَاشَدُوهُمْ أَلَّا يُخَفِّرُوا ذِمَّتَهُمْ ، وَأَجْمَلُوا التَّائِيَّ حَتَّى انْصَرَفُوا (٢) .  
 وَجَدَدُنَا فِي السَّيْرِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَيِّ الْمُخَفَّرِينَ لَنَا ، فَقَالَ  
 الْمُخَفَّرُونَ : « قَدْ بَلَغْتَ إِلَى مِنْ تَأَمَّنُهُ ، خُطَّ رَحْلُكَ ، فَا تَسْتَقِلْ (٣) »  
 دَوَّابُكَ الزِّيَادَةُ عَلَى هَذَا السَّيْرِ . فَنَزَلْتُ وَتَقَدَّمْتُ إِلَى الْعِلْمَانِ فِي  
 إِطْعَامِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ لِلطَّعَامِ مَسَاغًا مِنْ فَرَطٍ مَا لِحَقَقِي مِنَ الرُّوعِ .  
 وَعَمِلْتُ فِي الْمُخَفَّرِينَ هَذِهِ الْآيَاتِ :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَعَشَرًا حَقَّقُوا دِي  
 وَقَدْ شُرِعَتْ نَحْوِي الْمُتَقَفَّةُ السُّمُرُ  
 دَرَاهِمُهُمْ مَبْدُولَةٌ لِيَضَعَ حَيْفُهُمْ  
 وَأَعْرَاضُهُمْ مِنْ دُونِهَا الْغَفَرُ وَالسُّنَرُ  
 إِذَا مَا أَغَارُوا وَاسْتَبَاحُوا غَنِيمَةً  
 أَغَارَ عَلَيْهِمْ فِي رِحَالِهِمُ الشُّكْرُ  
 وَإِنْ نَزَلُوا قَطْرًا مِنَ الْأَرْضِ سَاسِعًا  
 فَمَا ضَرَّهُ إِلَّا يَكُونُ بِهَا قَطْرُ

(١) الرعلة : القطعة من الخيل قدر عشرين

(٢) تَأَيُّ الشَّىء : تَرْفُقُ لَهُ وَأَنَامَ مِنْ وَجْهِهِ

(٣) تَسْتَقِلْ : تَحْتَمِلْ

فَلَحَظْنِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَنَا أَكْتُبُهَا ، فَظَنَّ أَنِّي أَكْتُبُ إِلَى السُّلْطَانِ  
فَاسْتَكْبَى مَا كَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ كُفُّوا بِقَصْرِ الْجِيزَةِ ، فَقَالَ :  
« قَدْ سَلَّكَ اللَّهُ مِنْ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا إِلَيْنَا فِي حُسْنِ  
الْإِجَابَةِ لَنَا ، فَلَا تَكْتُبْ فِيهِمْ بَشَى » . فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا كَتَبْتُ  
فِيهِمْ وَلَا فِي غَيْرِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ بَشَى » ، فَقَالَ لِي شَيْخٌ مِنَ الْمُخَفَّرِينَ  
- وَقَدْ قُرِبَ مِنِّي - : « فَمَا تَكْتُبُ ؟ » ، قُلْتُ : « أَكْتُبُ أَبْيَانًا  
مَدْحُكُمْ فِيهَا » ، فَقَالَ : « وَإِنَّكَ لَتَنَقِرُضُ الشَّعْرَ ؟ » ، قُلْتُ :  
« نَعَمْ ! » ، قَالَ : « أَنْشِدْنِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ » ، فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ :  
« بَرَكَ اللَّهُ وَوَصَّلَكَ ! »

ثُمَّ صَاحَ بِالثَّلَاثَةِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَنْشَدَهُمْ إِيَّاهَا ، فَاخْرَمَ - شَهِدَ  
اللَّهُ - حَرْفًا وَاحِدًا ، فَتَجَبَّتْ مِنْ حِفْظِهَا وَلَمْ أُعِدْ عَلَيْهِ حَرْفًا  
مِنْهَا ، وَتَيَسَّتِ الْفَرَحُ فِي سَائِرِهِمْ ، وَحَفِظُوهَا بِأَجْمَعِهِمْ . ثُمَّ صَاحَ  
بِهِمُ الشَّيْخُ : « مَا تَلْتَقِظُونَ ؟ أَرَحْضُوا <sup>(١)</sup> السَّوْءَةَ عَنْكُمْ » . فَأَدْخَلُوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي جُيُوبِهِمْ ، وَجَمَعُوا شَيْئًا أَخَذَهُ الشَّيْخُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِي :  
« قَدْ شَكَرْنَا صَدِيقَتَكَ ، وَاللَّهِ لَا تَجْمَعُ بَيْنَ شِعْرِكَ وَوَفْرِكَ ! » ، وَوَضَعَ  
الْعَشْرِينَ الدِّينَارَ بَيْنَ يَدَيَّ فَأَكْبَرْتُ ذَلِكَ وَأَعْظَمْتُهُ . فَقَالُوا لِي :  
« الصَّوَابُ إِلَّا يَعْلَمَ بِهَا عَشِيرَتُنَا ، فِيرْجِعْ عَلَيْكَ مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا  
خَفِنَتْهُ مِنْ لَقِيكَ بِقَصْرِ الْجِيزَةِ » . وَرَكِبْتُ فَسَرْتُ مَعَ جَمْعٍ كَثِيرٍ  
مِنْهُمْ وَهُمْ يَنْشُدُونَ تِلْكَ الْآيَاتِ ، فَالْتَمَسْتُ أَنْ يَقْبَلُوا مِنِّي بَرًّا فَلَمْ

أَصِلْ إِلَى ذَلِكَ ، وَرَأَوْا أَنَّ الشَّعْرَ أَحْسَنُ مَوْقِعاً مِمَّا مَلَكَتْهُ

\*\*\*

المؤلف  
وعباسي

١١- وَنَزَلَ فِي حَارَتِنَا غَلامٌ أَمَرَدٌ تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، وَكُنْتُ  
أُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا آجَتَزْتُ بِهِ ، كَمَا أَفْعَلُ هَذَا بغيرِهِ مِنْ جِيرَتِي .  
فَانصَرَفْتُ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِي فَوَجَدْتُهُ قَائِمًا عَلَى بَابِهِ ، فَدَفَعَنِي إِلَى رَقْعَةٍ  
يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّهُ عَبَّاسِيٌّ مِنْ وَلَدِ الْمَأْمُونِ ، وَيَسْأَلُنِي فِيهَا بِرَّهِ . وَدَخَلَ  
مَنْ كَانَ مَعِيَ بِدُخُولِي ، فَقَضَيْتُ شُغْلِي بِالْجَمَاعَةِ حَتَّى أَنْصَرَفُوا ، وَوَضَعْتُ  
الْمَسَادَّةَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْعَبَّاسِيِّ فَأَكَلْنَا ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُنِي فَلَا يَجِدُ فِي شَيْئٍ  
قَدَرَهُ . فَلَمَّا غَسَلَ يَدَهُ ، دَفَعْتُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ، وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ  
مَنْ تَقْصِيرِي فِي حَقِّهِ ، وَأَنْصَرَفَ وَقَدْ رَأَيْتُ تَبْجِيلِي فِي حَمَالِقِ  
عَيْنِهِ

فلما كان بعد ذلك بُسِّيَّاتٍ<sup>(١)</sup> - وَأَنَا فِي ضِيَاعٍ تَقَبَّلْتُ بِهَا<sup>(٢)</sup>  
وَلِي فِيهَا غَلَّةٌ<sup>(٣)</sup> بِمَالٍ جَسِيمٍ ، نَفَقْتُ أَنْ أَدْخُلَ الْفُسْطَاطَ فَتَخَرَّبَ  
الضِيَاعُ وَتَمْتَعَطَلَ عِمَارَتُهَا ؛ فَكُنْتُ أَكُنُ نَهَارًا فِي بَعْضِ مَنَازِلِ  
الْفَلَاحِينَ ، وَأُظْهِرُ لَيْلًا فَأَعْقِدُ مِنْهَا مَاتِيًا إِلَى عَقْدِهِ<sup>(٤)</sup> . فَإِنِّي لِكَامِنٌ  
فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ حَتَّى سَمِعْتُ رَجَّةَ شَدِيدَةٍ ، فَدَخَلْتُ إِلَى بَعْضِ

(١) تصغير سنوات

(٢) تقبل بخراج أو جباية : تكفل بها والتزمها بعقد

(٣) الغلة : الدخول من كراء دار ، أو أجر غلام ، أو فائدة أرض

(٤) يعقد منها : يريد يجمع منها

غُلْمَانِي . فَقَالَ : « دَخَلَ أَصْحَابُ دُمَيَانَةَ الضَّيْعَةِ ، وَعَمِلُوا عَلَى نَقْلِ الْغَلَاتِ ! » ، وَأَيَقَنْتُ بِتَأْلِفِ أَكْثَرِ مَا أَمْلِكُ ، ثُمَّ سَكَنْتُ أَصْوَانَهُمْ

ودخل إلى غلام لي فقال لي : « يا مولاي ! كانت هذه الضياع قد أشفّت على نقل ما فيها <sup>(١)</sup> ، حتى نظّر إلى العباسي الذي كان في جوارنا ، فقال لي : « ألسنت غلام أحمد بن يوسف ؟ » قلت : « نعم ! » ، قال : « فهذه ضياعه ؟ » ، قلت : « نعم ! » ، نصاح بالجماعة التي دَخَلَتْ من أصحاب دُمَيَانَةَ : « أخرجوا بأُسْرِكُمْ عنها » ، فخرجوا . ثم قال لي : « قل لمولايك : يا سيدي ! مَحَلِّي عند الأمير دُمَيَانَةَ مَحَلُّ الْإِخ ، فإظهر واركب إليه ، فقد آمنتك الله على نفسك ومالك » . فسألت الغلام : « ما كان زيّه ؟ » ، فقال : « كان عليه كساء صوف مما يُنَام فيه ؛ وتحتهُ خُفَّتَانِ » <sup>(٢)</sup>

فأحضرتُ بعضَ شايخِ الضيعة ، وحمات معه إليه دُرَاعَةَ خَزٍّ كُحْلِيَّةً ، ومُطَرَفَ خَزٍّ <sup>(٣)</sup> ، وخمسين ديناراً ، وسألته أن يَقْبَلَ ما يحتاج إليه من ناحيتي . فقبل الدُرَاعَةَ الخَزَّ ، ورَدَّ الْمُطَرَفَ والدنانير ، وقال لرسولي : « والله للثلاثة الدنانير - التي وهبها لي لِشَرَفِي لِأَشْيَاءٍ مِمَّا ظَنَنْتُهُ بِهِ - أَحْسَنُ مَوْقِعاً عِنْدِي بِمَا رَدَدْتُهُ إِلَيْهِ ،

(١) أَشْنَى عَلَى كَذَا : أَشْرَفَ وَقَارَبَ

(٢) الْخُفَّتَانِ : ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ ، وَكَأَنَّهُ قَرِيبٌ مِمَّا نَسْمِيهِ (الْقَفْطَانِ)

(٣) الْمُطَرَفُ : ثَوْبٌ يَكُونُ فِي أَطْرَافِهِ وَشْيٌ وَأَعْلَامٌ

فَكَثَّرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ ۝

فَلَمْ يَزَلْ عَضُدًا لِي وَسِئْرًا عَلَيَّ ، حَتَّى انصَرَفَ دِمْيَانَةُ عَنْ  
النَّاحِيَةِ

\*\*\*

يحيى بن نوحه  
والرخي

١٢ - وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ نُوحٍ - وَكَانَ هَذَا  
الرَّجُلُ حَسَنَ الْكِتَابَةِ - ، قَالَ :

« تَرَدَّدْتُ إِلَى عُمرَ بْنِ فَرْجٍ الرَّخَّجِيِّ مُدَّةً ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ  
فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ . فَقَالَ : « قَدْ أَنْضَيْنَاكَ <sup>(١)</sup> ! قَدْ اسْتَنْمَعْتَ فِي  
هَذَا الْيَوْمِ سَنَةً » ، وَوَقَعَ لِي بِتَقْلِيدِ عَمَلِ سَنِيٍّ . وَاضْطَرَبْتُ فِيمَا  
أَحْتَاجُ إِلَى التَّجْهُّزِ بِهِ ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عَلَيَّ إِلَّا قَصٌّ <sup>(٢)</sup> رِكَابِي ، بَرَزْتُ  
ظَهْرِي وَنَقَلِي <sup>(٣)</sup> ، وَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنتَصِرِ  
أَتَنْتَظِرُ تَوَدِيعَ عُمرَ وَالْخُرُوجَ إِلَى عَمَلِي . فَرَأَيْتُ غُلَبَانَ عُمرَ يَتَسَلَّلُونَ  
فَسَأَلْتُ عَنْ السَّبَبِ ، فَقِيلَ لِي : « سَخِطَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عُمرَ ! ،  
فَخَرْتُ ، وَخِيفْتُ أَنْ أَرْجَعَ إِلَى مَسَاوِي فَأُخْشِرَ جَمِيعَ مَا أَنْفَقْتُهُ .  
فَإِنِّي إِنِّي تِلْكَ الْخَبِيرَةَ حَتَّى خَرَجَ عُمرَ بْنُ فَرْجٍ ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ  
شَيْعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ لِي : « أَبِنْ كُلُّ مَنْ كَانَ مَعِيَ ؟ » ، فَقُلْتُ  
« تَسَلَّلُوا لِلْحَادِثِ ! » ، فَقَالَ : « وَقَدْ وُكِّلَ بِي هَذَا الشَّيْءُ عَلَى

(١) أَنْضَاهُ : أَنْعَبَهُ

(٢) نَصَ الرِّكَابِ : تَسْيِيرَهَا

(٣) الثَّقَلُ : مَتَاعُ الْمَسَافِرِ وَحِشْمُهُ

أَنْ يَنْفِيَنِي إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ ، وَلَمْ أُعِدَّ شَيْئاً وَلَا أُجَدَّ مِنْ يُعْدِلِي ،  
قلت : « هَذِهِ قُبَّةٌ وَظَهْرُ يُقْلُكْ ، وَأَنَا أَصْجُبُكَ شُكْرًا عَلَى مَا أَسْلَفْتَنِي  
مِنَ التَّقْلِيدِ »

فَرَكِبَ الْقُبَّةَ ، وَأَحْضَرَ الشَّيْعِيَّ قُبَّةً لَهُ ، وَرَكِبْنَا وَأَنَا أُعَادِلُهُ <sup>(١)</sup> ،  
وَاتَهَى الْمَسِيرُ بَنَا إِلَى خُرَاسَانَ . وَكُنَّا لَا نُقْضِي مِنْ بُلْدَانِ خُرَاسَانَ  
إِلَى بَلَدٍ إِلَّا وَجَدْنَاهُ أَغَاطَ طَبْعاً مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي فَارَقْنَاهُ ، حَتَّى بَلَّغْنَا  
بُخَارَى ، فَرَأَيْنَا قَوْمًا فِي نَهَائِهِ مِنْ غَاظِ الطَّبَاعِ ، فَقَالَ لِي - حِينَ  
رَأَيْتُنِي أَتَعَجَّبُ مِنْهُمْ - : « كَيْفَ لَوْرَأَيْتَ التُّرْكَ وَبُلْدَانَهُمْ ؟ يَقْتُلُونَ  
الْمُسْتَجِيرَ بِهِمْ ، وَيُغَيِّرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَيَهْلِكُ النَّازِعُ إِلَيْهِمْ  
بَيْنَهُمْ <sup>(٢)</sup> » ، فَرَأَيْتُنِي هَذَا الْقَوْلَ تَهِيئاً لِلسَّيْرِ مَعَهُ ، ثُمَّ مَلَكَتُ  
مَا اسْتَغْرَبَ <sup>(٣)</sup> مَنِي ، وَتَمَاسَكَتُ

وَجَدْنَا السَّيْرَ عَنْ بُخَارَى إِلَى أَرْضِ التُّرْكِ ، وَإِنِّي مَعَهُ فِي الْقُبَّةِ -  
وَهُوَ يُحَدِّثُنِي بِشَيْءٍ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ تَبَيُّنِهِ مَا يُقْلَعُنِي مِنْ رُكُوبِ  
مَا أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَرِ - حَتَّى سَمِعْنَا خَلْقَ الْبَرِيدِ ، فَدَشَوْفْنَا لَهَا ،  
وَوَافَى بِهَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكِتَابُهُ بِمَا أَمَرَهُ بِالْحَضَرَةِ : مِنَ الرِّضَا  
عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى مَرْتَبَتِهِ ؛ وَيَأْمُرُهُ فِيهِ بِكَشْفِ مَدُنِ خُرَاسَانَ ، وَتَجْرِيدِ  
عُقُودِهَا عَلَى أَصُوبِ مَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ ، وَاسْتِثَارَةِ التَّوْفِيرِ بِهَا وَالزِّيَادَةِ

(١) عادله : ركب معه في الجانب الآخر من محمل البعير

(٢) النازع : الطائر الغريب

(٣) ما استغرب مني : ما تباعد عني من عزمي ورأيتني

ففيها . فلما استتم قراءته ؛ حَمدَ الله وألقى الكتابَ إلى ؛ وقال : « بَارَكَ  
الله لك في الخلاصِ وَهَنَّاكَ المَزِيدَ » . وَرَدَّ إلى تَأْمُلِ ما أَمَرَ به  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ من كَشَفِ عُقُودِ الذَّوَاحِي «  
فانصرفت إلى مَنْزِلِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ؛ مع اِرتِمانِ شِكرِ المعامِلِينَ .  
والمُحَادِثِ السُّلْطَانِ « (١)



والد المؤلف  
ومصطنعيه

١٣ - وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ ، قَالَ :

« حَبَسَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ يُونُسَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي فِي بَعْضِ  
دَارِهِ . وَكَانَ اعْتِقَالُ الرَّجُلِ فِي دَارِهِ يُؤَيِّسُ مِنْ خِلَاصِهِ (٢) . فَكَادَ  
يَسْتَرْهُ يَنْهَتِكُ لَخَوْفِ شَمْلِهِ عَلَيْهِ . وَكَانَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ السَّيِّدِ  
يَتَحَمَّلُونَهَا ، مُقِيمَةً عَلَيْهِ لَا تَنْقُطُ إِلَى غَيْرِهِ . فَاجْتَمَعُوا - وَكَانُوا  
زُهَّاءَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا - فَرَكَبُوا إِلَى دَارِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، فَوَقَفُوا بِيَابِ  
لَهُ يَعْرِفُ بِيَابَ الْجَبَلِ ، وَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ فَأُذِنَ لَهُمْ . فَدَخَلُوا إِلَيْهِ ،  
وَعِنْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكَمِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْلَامِ مَسْتَوْرِي مِصْرَ ،  
فَابْتَدَرُوا كَلَامَهُ بِأَنْ قَالُوا : « قَدْ اتَّفَقَ لَنَا - أَيْدِ اللَّهِ الْأَمِيرِ - مِنْ  
حُضُورِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ بِمَجْلَسِهِ ، مَا رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ ذَرِيعَةً إِلَى مَا نَأْمُلُهُ ؛  
وَنَحْنُ نَرْغَبُ إِلَى الْأَمِيرِ فِي أَنْ يُسَالِّهَا عَنَّا ، لِيَقِفَ عَلَى مَنَازِلِنَا » .  
فَسَأَلَهُمْ عَنْهُمْ ، فَقَالُوا : « قَدْ عُرِضَتِ الْعَدَالَةُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَامْتَنَعَ

(١) أَحْمَدُ السُّلْطَانُ : رَضِيَ فَعَلَهُ وَوَجَدَهُ مُسْتَحِقًّا لِلْحَمْدِ

(٢) آيَسَهُ الْأَمْرُ : مِثْلُ آيَاسِهِ



منها» <sup>(١)</sup>

فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس؛ وسألهم تعريفة ما قصدوا له؛ فقالوا: «ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفة ما أمر به في يوسف بن إبراهيم، لانه أهدى إلى الصواب فيه، ونحن نسأله أن يُقدّمنا إلى ما اعتزّم عليه فيه: إن أمر قتلَه أن يُقتلنا؛ وإن أمر غير ذلك أن يُسلّف بنا» <sup>(٢)</sup>، وهو في حلّ وسعة منه، قال: «ولم ذلك؟» فقالوا: «لنا ثلاثون سنة ما فكرنا في ابتياع شيء مما احتجنا إليه؛ ولا وقفنا بباب غيره. ونحن والله أيها الأمير نرتمض <sup>(٣)</sup> البقاء بعده من السلامة من شيء من المكروه وقع فيه»، وعجوا بالبكاء بين يديه. قال أحمد بن طولون: «بارك الله عليكم فقد كافأتم إحسانه وجازيتم إنعامه»، ثم قال: «على يوسف بن إبراهيم»، فأخضر. فقال: «خذوا بيد صابكم وانصروا». فخرجوا معه؛ وانصرف بهم إلى منزله.

\*\*\*

١٤ - قال:

المؤلف

«وطالبني بعض عمّال الخراج بمصر بمال زاد على ما في حاصلي؛ وبعض التجار فاحتجت إلى مُعاملة بعض التجار عليه؛ فدللت على رجل من

(١) العدالة: تزكية الشهود عند القاضى وتعديلهم، أى أن يقول لهم عدول، وكانت من وظائف القضاء.

(٢) يسلف بنا: يبدأ بنا ويجعلنا سلفاً، والسلف: المتقدمون.

(٣) ارتمض الرجل من الشيء: إذا اشتد فأقلقه كأنه يقف في الرمضاء، وهى حر الحجارة من شدة حر الشمس.

أهل الشام يعامل برُّهون<sup>١</sup>؛ فصار إلى - وأنا في بيت المال -  
منهُ شيخٌ حَسَنُ الصورة جميل اللِّقاء ، فقال : « إلى كم تحتاج ؟ »  
قلت : « إلى مائتي دينار » . فأخرج من كُمِّه مالا فوزَّنه ، واستزاد  
من غلامٍ كان معه دنانيرَ حتى أكل المائتين ، ثم سلَّمها إلى واقِصَّاني  
خطَّابها ، وقال : « قد كُفِّيتْ مؤونة الرِّهن ، ، فقلت : « فكيف  
أكتب الخطَّ ؟ » ، قال : « بمائتي دينارٍ كما أعطيتك » ، فقلت له :  
« سبيلُ المعاملة غيرُ هذا ! » ، فقال : « والله لا قِبلتُ منك فيهارِ بَحا ،  
ولو وهبْتُها لك لكان من أصغرِ حقِّرقك على » ، ثم قال لي :  
« تعرِّقُ ؟ » ، قلت : « لا ! » ،

قال : « ركبْتُ مرَّكبًا أريد الفُسطاط من تَنِّيس ، وحملت فيه  
تجارةً لي ما كنت أملك غيرَها ، حتى إذا بلغتُ المَحَلَّةَ ووازيْتُ  
ضياعا كانت في يدك ، كُسِرَ بنا ، وغَرِقَ جميع ما أملكه ، وسَلَدْتُ  
بِحُشاشة نفسي<sup>(١)</sup> . فجلستُ على الشَّطِّ أبكي وأتَحِبُّ ، فأقبلت في جماعة  
معك فسألَتني عن حال فأخبرتُك بها ، فبَنَنْت في حُشد من يَغُوص  
على المركب ومافيه وحطَّطت على الشَّطِّ ، فأخرجوا بَرًّا كان  
لي وتَلَفَ ما سواه ؛ واستجلفتنى على ماذهب لي فأخبرتُك به -  
وكانت قيمته سبعين دينارًا - فقَسَّمْتُها لي على وُكلائك وكُتَّابك .

(١) الحُشاشة : بقية رمق الحياة والروح في المريض والغريق .

فلما حصلت لي أعطيتني دنائير من عندك وقلت لي : « هذا أرش<sup>(١)</sup> مالِحتك في الثياب » ، وأمرت أن يُكْتَرَى [لي] إلى تفتيس ، وكتبت لي إلى جماعة معامليك بتدريس بالحقني ، وبمعوتى على أمرى ، فرجع بك إلى مأمالك ، واكتسبت جاهاً بتيّس تضاعف مالى به ، وحسنت معه حالى .  
« وأخذ خطى بالمال وأنصرف ،

\*\*\*

أحمد بن إسسط

١٤ - وسمعت أبا العباس أحمد بن إسظام يُحدّث : أبا الطيب وصاعد

أحمد بن على ، قال :

« لما سخط الموفق على صاعد وكلّ به من بطالبه ، وأقرّنى والطائى على ما كنا تتفله له . وكان صاعدٌ محسناً إلينا ، جميل العشرة لنا ، فلم نترك شيئاً نصل إليه مما خفف عنه إلّا بأنّاه . وكانت بينى وبين الطائى إحنة<sup>(٢)</sup> ، فدعانى الموفق فى يوم من الأيام - ونحن بواسط وقد بآج<sup>(٣)</sup> صاعد ، واستنزل المستخرج جميع ما وصل إليه منه - ، فقال لى : « أحمد ! ادخل إلى صاعد فقل له : أظنك أَرْضَيْتَ المستخرج حتى فتر فى مطالبك ، وتالله لئن لم تخرج مُحْتَجِبَك ، لا تولّين تعذيبك بنفسى ! »

فدخلت إليه وأديت الرسالة ، فقال لى : « يا أحمد ! والله ما بقى

(١) الارش : دية الجراحات والجنایات التى ليس لها قدر معلوم وهو

الذى نسميه « التعويض »

(٢) إحنة : حقد وعداوة

(٣) بلج : أفلس

لى شىء، وما ملكْتُ قَطُّ ما هو أَحَبُّ إلىَّ من نفسى، فتقول له :  
ياسيدى ! والله ما أملك على الأرض ولا فيها ديناراً ولا درهما ولا  
جوهاً ، وأنت أولى بالتطول<sup>(١)</sup> على خادمك . فانصرفت من عنده  
وأنا أخاف أن يُغريه ذلك الجوابُ . ودخلتُ إليه وقلت له :  
يقول لك : « ياسيدى ! ما أملك على وجه الأرض ولا بطنها غير  
مائة ألف دينارٍ عند الطائى » . فأمر يا حضاره ، فلما مَثَلَ بين يديه ،  
قال له : « المائةُ الألفُ الدينارِ التى لصاعدٍ عندك ، قد بعثتُ إلىَّ  
يحلفُ أنه لا يملك غيرَها » . فقال له : « وهى بمدينة السلام ، فيُنظرُنى  
الأميرُ مسافةَ الطريق ، وأنا أستسلفُ له ما تيسرُ منها من التجار  
ها هنا ؟ » . فقال له : « اكتبْ خطبك بها » . فكتبته وسلمته إلى  
الموفق ، فسلمته إلى غلامٍ من خاصته ، وانصرف الطائى

فاستقبح ما صدرَ مِنى فيه ، وعَظُمَ فى نفسى لتصديقه صاحبه ،  
وترك معارضته بما يدفعُ به المرءُ عن نفسه . فدنوتُ من الموفق  
وقلت له : « أيها الأمير ! جميع ما أديته إليك عن صاعدٍ منى تقولته ،  
وقد قبُح فى عيني ، وسيدى الأميرُ بخيرٍ بين الصَفحِ عنه والعقوبةِ  
عليه » . فقال : « أحسنت ! بارك الله عليك » . ثم أمر بردَّ  
الطائى ، فقال : « لِمَ لمْ تتقربْ إلىَّ بِذِكْرِ هذا المال ؟ » فقال :  
« أيها الأمير ! يمنعنى من ذلك ما تولاه من اصطناعى ، فقال له :  
« ليس يُمنعنى إلا أن تحلفَ برأى على هذا المال ، وفى أى وقت

(١) تطول عليه : تفضل عليه وأحسن إليه

دفعه إليك . فقال : « يعقبنى الأميرُ من ذلك » . فقال : « والله لا فعلتُ » . فقال : « وحق رأس الأميرِ ماله عندي درهم واحد فضلا عنه ، ولكنى لم أرايتُهُ قد عاذَ بالدعوى على ، ثَبَّنتُ أنه لم يبق له حيلة فى المدافعة عن نفسه ، فعملت على تحمُّل هذا المال ، والله ما أملكه ، ورجوتُ أن أصلَ إليه بجاهى ولطيفِ حيلتى » . فاستحضر الموفق الخطَّ ودفعه إلى الطائى ، فقال له : « خرقه » . ثم تقدم بإعفاء صاعد من المطالبة .

\*\*\*

١٦ - وكان نجاح بن سلمة - مع ما يؤثر عنه من زَعَاة أخلاقه ، <sup>(١)</sup> وقبح تسلُّطه - يحبُّ التبشُّط على طعامه ، ويحسن المكافأة عليه . فحدثني يعقوب بن إسحاق بن تميم ، قال : أقام إسحاق والدى ببغدادَ خمساً وعشرين سنة فى رفعِ حسابهِ ، ينقُضُ الكتابَ جماعته ويسلُطون الإغناةُ عليه ، قال لى يعقوب ، فحدثنى أبى : أن أعاظَ الكتابَ بأسرهم كان عليه ، نجاح بن سلمة . قال : « فلما أفرط على سوء تحكِّمه ، جلست فى منزلى ، فربَّه آسى ، فقال : « قد عزم إسحاق بن تميم على أن يتربَّص بنا كما كان يتربَّص بمن كان قبلنا ؟ » . ثم نظر إلى بعض المضمومين إليه فقال : « بكرَّ إلى إسحاق ابن تميم فأخبره الدارَ إلى أن أنصرف » . قال : فباكرنى فظنُّ من الجُنْد لم أملك نفسى معه حتى صار [بى] إلى دار نجاح ، فوجدناه

(١) الزعارة : الشراسة وسوء الخلق

قد ركب

فَخَصَّانِي عَلَى الْبَابِ وَجَاسَ مَعِيَ <sup>(١)</sup>، وَتَعَالَى النَّهَارُ وَاشْتَدَّ جُوعِي،  
فَقَالَتْ لَهُ: «أَبِضْ مَعِيَ إِلَى الْمَنْزِلِ لِنَأْكُلَ جَمِيعاً وَنَرْجِعَ!»، فَأَبَى.  
فَقُلْتُ لِحَاجِبِ نِجَاحٍ - وَرَأَيْتُهُ مَتَمَكِّناً مِنْ دَارِهِ -: «أَصْلَحَكَ اللَّهُ،  
إِنِّي قَلِيلُ الصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ، وَأَخَافُ أَنْ يَتَأَخَّرَ الْأُسْتَاذُ وَأَضْعُفَ  
عَنْ حُجَّتِي فِي حُضُورِهِ لَغَلْبَةِ الصَّفَرَاءِ عَلَيَّ، وَقَدْ سَأَلْتُ هَذَا الرَّجُلَ  
أَنْ يُطْلِقَ لِيَ الذَّهَابَ إِلَى مَنْزِلِي لِأَكُلَ وَأَرْجِعَ فَأَبَى»، قَالَ: «لَمْ  
لَا تَأْكُلْ هَاهُنَا؟». وَأَجْلَسَنِي فِي بُشْخَانَةٍ <sup>(٢)</sup> فِيهَا، وَاسْتَحْضَرَ الطَّعَامَ،  
فَأَحْضَرَتْ مَائِدَةً لِنِجَاحِ بْنِ سَلَمَةَ، وَلَمْ يَبْقَ حُلُوءٌ وَلَا حَادِضٌ وَلَا حَارٌّ  
وَلَا بَارِدٌ إِلَّا نُقِلَ عَلَيْنَا. حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ إِلَى الْحُلُوءِ مِنَ الطَّعَامِ،  
دَخَلَ الدَّارَ نِجَاحٌ جُلُوسٌ فِي الْمَجَالِسِ، وَرَأَيْتُ فِي دُخُولِهِ، وَمَكَانِي مِنْ  
الْبُشْخَانَةِ <sup>(٣)</sup>، فَبَعَثَ إِلَيَّ غُلَاماً لَهُ [يَقُولُ]: «بِحَيَاتِي اسْتَيْسَمَ أَكْلُكَ  
وَلَا تَتَجَوَّزْ فِيهِ». فَأَقْتَحْتُ حَتَّى فَرَّغَ الطَّعَامَ، وَجِئْتُ بِالْغُسْلِ  
وَالْبُخُورِ، ثُمَّ قُمْتُ. فَلَمَّا رَأَيْتُ ضَحْكَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: «مَنْ عَلَّمَكَ عَلَى  
هَذَا؟»، قُلْتُ: «التَّوْفِيقُ»، قَالَ: «أَجَلْ!»، ثُمَّ قَالَ لِي: «ارْفَعْ  
حِسَابَكَ كَيْفَ شِئْتَ وَاحْشُهِ، فَقَدْ أَمَّنَكَ اللَّهُ مِنْ اعْتِرَاضِكَ بِشَيْءٍ  
تُكْرَهُ»

(١) حصله على الباب: يريد، وصل به إليه وأبقاه

(٢) في الأصل: ، نأخه، في الموضعين، وأقرب ما أعرف إلى هذا

الرسم هو: ، بشخانة، قال الخفاجي: يقال لها التاموسية، عامية معربة  
«بشه خانه، أى بيت البعوض، أو كما أخبرني بعضهم أنها بيت الحجاب»

قال يعقوب : قال لي أبي : « فغدوتُ إليه بحسابي ، فوالله ما زاد على التوقيع في الجَماعات بإمضاءها وتخليدها . ثم قال : « متى تعزم على بلدك ؟ » ، فقلت : « ياسيدي ! إنما أُنْتَظَرُ فيه إذْ نَكَ ، فكل شيء لي مفروغٌ منه » ، فقال : « اجعله بعد صلاة الجمعة » ، قلت : « أَفْعَلُ » . ثم قال لي : « تروح إلى لالْقاءك في حوائج لي ؟ » ، فقَدَرْتُ أَنْ يَحْمِلَنِي في الحوائج عُزْمُ الألف الدينار

فلما رَحْتُ إليه ، دخلتُ وهو خالٍ ، فقال لي : « إنك ترجع إلى بلدٍ قد يئس منك فيه أهله ، فأَدْخَلَ الجارُ من جيرانِكَ الحشبة في حائِطِكَ ، والجارُ في البستان قد تخيف حدودَكَ <sup>(١)</sup> ، فهب لي ما بينَكَ وبينهم » . قلت : « أَفْعَلُ »

قال : « وترى ببلدك جماعة قد ارتفعُوا ، أبناءُ خَاطِلين ، فلا تنهَرُهم بِدِقَّةٍ <sup>(٢)</sup> أصولهم ، وانصِرِفْ <sup>(٣)</sup> عما كان عليه سَلَفُهُمْ ، فإنه يزرعُ لك المقت في قُلُوبِهِمْ » . قلت : « أَفْعَلُ »

قال : « وأصحابَ البريد ، فاحذَرُ أَنْ يَرِدَ في كتبهم ذكرُكَ لكَ بخير ولا شَرٍ » . قلت : « أَفْعَلُ »

ثم أَوْنِي إلى يعانِقُنِي ، قلت : « ياسيدي ! حوائجُكَ ؟ » . قال : « هي ما عَدَدْتَهُ عَلَيْكَ ، إنك قد حَلَلْتَ مِنِّي بِانْبِساطِكَ مَحَلَّ القِرابَةِ »

(١) تخيف الشيء : تقصه وأخذ من جوانبه وحافاتِه وأطرافه

(٢) دقة الأصل : خسته ولومه

(٣) في الأصل . والصدق

الذي أُسْرَ بصوابه ، وَيَغْنُمِي زَكْلَهُ ، فَإِنْ حَزَبَكَ <sup>(١)</sup> أَمْرٌ فِي بَلَدِكَ  
فَلَا تَعْدِلْ بِهِ عَنِّي ، وَأَنَا أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ »  
« فأنصرفت عنه وأنا على غاية من الشكر »

\*\*\*

١٧ — وحدثني محمد بن يزيد - وكان حَسَنَ التَّقْشُفِ ، سَدِيدَ  
الرَأْيِ - قَالَ :

محمد بن يزيد  
ومسافر

أُطْلِقَ جَمَاعَةٌ مِنْ حَبْسِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ كَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ بِهِمْ ظَنَّةٌ  
بِالتَّلْصُصِ ، وَكَانُوا يَنْزِلُونَ كُورَةَ أَهْنَسَ . فَإِنِّي عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِ  
الْأَكْسِيَّةِ حَتَّى وَافَاهُ غَلَاثِمُ أَصْفَرٍ ، خَبِيثُ الْمَنْظَرِ ، مَتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ ،  
مِنَ الْخَارِجِينَ مِنَ الْحَبْسِ ، فَرَحَّبَ بِهِ ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ ، وَهَذَا بِسَلَامَتِهِ .  
ثُمَّ سَأَلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : « خَرَجْتُ مِنَ الْحَبْسِ كَمَا تَرَانِي ، وَمَا  
مَعِيَ نَفَقَةٌ تَبْلُغُنِي مَنْزِلِي »

فَقُلْتُ لَهُ : « مَا أَسْمُكَ ؟ » ، فَقَالَ : « مَسَافِر » ، فَقُلْتُ لَهُ : « يَا قَتِي !  
قَدَّمَ اللَّهُ فِي أُمُورِكَ وَلَا تَعْدِلْ عَنْهُ ، فَإِنَّ الرَّاحَةَ فِي ظِلِّهِ » ، فَقَالَ  
لِي : « يَا سِيدِي ! الْحَقُّ فِيمَا قُلْتَهُ ، وَالنَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، وَالتَّوْفِيقُ  
إِلَى اللَّهِ دُونَ خَلْقِهِ » ، فَأَعْجَبَنِي جَوَابُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : « كَمْ يَكْفِيكَ إِلَى  
مَنْزِلِكَ ؟ » ، فَقَالَ : « دِينَارٌ » ، فَرَفَعْتُهُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : « إِذَا حَدَّثْتَكَ  
نَفْسُكَ بِإِخَافَةِ السَّبِيلِ فَأَبْعَثْ إِلَى حَتَّى أُمْسِكَ مِنْ رَمَقِكَ ،  
وَأَكْفَّ فَاقَتَكَ »



فما مضى شهر حتى اضطربت ناحية أهناس والبهتةسا بتسلط  
 رُجلٍ من اللصوص - في جمع كثير ، على كثيرٍ من المواضع ،  
 وكبّسهم الضياع . وكانت لى أسلاف<sup>(١)</sup> بِسُطًا ونواحيها ،  
 فخرجت لقبضها في رُفقةٍ من التجار ، قد حملوا البزّ والطيب  
 وما يحتاج إليه للأرياف . فإنا بنواحي الحرّقة ، حتى لقينا قطعةً  
 من اللصوص ، فساقتنا بأسرنا إلى موضع منقطع عن المسارة ،  
 وفيه شابٌ أصفرُ راكبٌ فرس ، ومعه مقدار خمسة فوارس ،  
 فُعْرِضت الجلالةُ عليه إلى أن بلغنى ، فتأملتُهُ فوجدته « مسافراً » ،  
 فأكبَّ على رأسى وتحنّى بى<sup>(٢)</sup> ، ثم قال لأصحابه : « أخطأ والله  
 حَزْرُكم<sup>(٣)</sup> » ، هذه رُفقة شيخى وسيدى ، والله لادخلَ إلى  
 منها شىء . وسار معنا حتى أخرجنا إلى الامن ، ثم قال لى :  
 « أنا أعلم أنك لاتأكلُ طعامى ، ولا تقبلُ شيئاً منى ، وقد والله  
 ياسيدى حبّبتَ إلىَّ بجانباً ما أنا بسيدىله ، فنشدُك الله لكسا  
 جعلتنى طريقَكَ فى الرجعة ! » . فتضمنت له ذلك

ودخلنا مدينة أهناس ، فشاع خبرُ ما أولانى فى الناس . وكان  
 المتقلّد لها رجلاً من أصحاب أحمد بن طولون - يُعرَف بفهم -

(١) الأسلاف : القروض ، جمع سلف وهو القرض بغير فائدة

(٢) تحنّى به : احتفى ، وبالغ فى إظهار السرور والفرح به ، وأكثر  
 السؤال عن حاله

(٣) الحزور : التقدير ، حزر الشىء : قدره بالظن .

مُتَقَدِّمًا عِنْدَهُ ، أَثِيرًا لَدَيْهِ <sup>(١)</sup> فَبَعَثَ إِلَيْ ، وَعَرَفَ مَذْهَبِي ، فَقَالَ :  
 « قَدْ أَحْفَيْتُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ هَذَا الْغُلَامِ ، فَرَأَيْتُهُ لَا يَرَى الْقَتْلَ ،  
 وَلَا هَتَكَ الْحَرِيمَ ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِأَطْرَافِ الْأَمْوَالِ وَلَا يَبْلُغُ  
 الْاجْتِيَا حَ <sup>(٢)</sup> . وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْفِرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ <sup>(٣)</sup> ، فَإِنِّي أُؤَمِّنُهُ  
 وَأُكْرِمُهُ وَأَقْلُدُهُ سِيَارَةَ الْبِلَادِ » . فَرَجَعْتُ فِي حَاجَةِ فَهْمٍ إِلَيْهِ ،  
 فَأَلْقَيْتُهُ وَالْجَمَاعَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَدْبَيْتُ إِلَيْهِ رِسَالَتَهُ ، وَأَعْلَمْتُهُ أَنَّ هَذَا  
 الرَّجُلَ صَحِيحُ الضَّمَانِ ، فَقَالَ : « يَا سِيدِي ! مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي الْأَعْمَالِ  
 إِلَّا أَنْ أُنْسِ النَّاسَ بِهِ » . ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « مَنْ يَسَاعِدُنِي عَلَى الْخُرُوجِ  
 إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ » ، فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : « نَحْنُ ! » . فَسَارَ مَعِيَ  
 حَتَّى إِذَا قَرُبْنَا مِنْ أَهْنَسَ ، وَضَعَ حَبْلًا فِي عُنُقِهِ وَقَالَ : « ادْخُلْ  
 بِي فِي زِيِّ الْأَسْرَى وَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ » ، فَدَخَلُوا ، وَالنَّاسُ يَبْكُونَ  
 لَمَّا اتَّفَقَ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْهُدَايَةِ ، وَرَأَى النَّاسُ تَجَبًُّا مِنْ سَوْقِ  
 شَيْخٍ مِثْلِي ضَعِيفٍ رَجُلًا قَدْ أَعْجَزَ حَيْلَ السَّاطَانِ . فَطَلَبَ فَهْمُ أَنْ  
 يَقْبَلَ لَهُ خِلْعَةً ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَضَافَ أَصْحَابَهُ إِلَى فَهْمٍ ،  
 وَأَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْحَجِّ فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ رَاجِلًا ، ثُمَّ فَقَدَتْهُ »

\*\*\*

المقرئ وراعى غم ١٨ — وَحَدَّثَنِي أَبُو حَبِيبٍ الْمُقَرِّي ، قَالَ :

(١) الْأَثِيرُ : الْمَحْبُوبُ الْمُقَرَّبُ الْمَقْدَمُ عَلَى غَيْرِهِ

(٢) الْاجْتِيَا حَ : الْإِسْتِصَالُ وَالْمَحَقُّ

(٣) سَفَرُ بَيْنِ الْمُتَخَاصِمِينَ : سَعَى بَيْنَهُمَا فِي الْإِصْلَاحِ

« ضاقتُ أحوالى ، فلم يبقَ لى إلّا جاريةُ أحبّها ، ومنزلاً  
 أسكنه . فبعتُ المنزلَ بألف دينار ، وخرجتُ إلى مكةَ بالجارية ،  
 فقلتُ لها : « يكون هذا المالُ فى وسطك » فكانت إذا نزلت فى  
 منزلٍ حَفَرَتْ فى خَيمَتِها حَفِيرَةً ، وأودعتُ المالَ فيها وطَمَمَها <sup>(١)</sup> .  
 فإذا نُودِيَ بالرحيلِ أثارته وشدّته فى وسطها  
 قال : فاتَّفَقَ أن رَحَلْنَا عن مَنَهْلٍ ونسيتُ المالَ فى الحفرة ،  
 فأخبرتُنى الجاريةُ بذلك ، قال : فخارَ فِكْرِى ، وطائشَ رُوعى <sup>(٢)</sup> ،  
 ولم أدرِ ما أعمل . ودخلنا مكةَ ، فحدَثْتُنى نفسى ببيعِها فلم يُطعنى  
 قلبى . فلما رَجَعْنَا ونزلنا المَنَهْلَ الذى خلَّفتُ فيه الكيسَ ،  
 رأيتُ صحراءَ ، وغلَامُ على رابيةٍ برعى غُنيّاتٍ له ، وأقبلتُ  
 أدور وأنظرُ إلى الأرض ، فقال لى : « ويحك ! ما تطأ ؟ » ،  
 قلتُ شيئاً أودعته أرضُ هذا المَنَهْلِ ، فقال لى : « صفّه لى » ،  
 قلتُ : « كيسٌ أحمرُ فيه مالٌ » ، فقال : « ومالى فيه إن دَلَلْتُكَ  
 عليه ؟ » ، قلتُ : « نصفه ! » ، قال : « هاهو ذاك فى الرابية » .  
 فلما رَأى تحيّرِى فيه ، قام حتى أخرجه ووضعهُ بين يديّ ،  
 فحمدتُ الله ، وقسمتُ الكيسَ قسمين وخيّرته أحدهما ، فقال  
 لى : « إني أرى قِسْمِى منه كثيراً ، وأنا أكتفى بنصفِ أحدِ  
 القسمين » ، فقسمته بقسمين ، فقال : « تَقْسِمْهُ أيضاً بقسمين » ،

(١) طم الحفرة : كبسها ، بالتراب

(٢) الروع : القلب

فعلتُ ، فقال : « ما أعجب أمرك ! أترُكه كله حراماً ، ونصفه حلالاً ، وأخذ منه شيئاً هذا ما لا يكون ، أنصرف بمالك » .  
فقلت له : « يا غلام ! أنت حرٌّ أو مملوك ؟ » ، فقال : « مملوك » .  
فقلت : « لمن ؟ » ، فقال : « لشيخ هذا الحى »

فدخلت الحى فألفيت الشيخ والناس عنده ، فقامت له : « رأيتُ غلاماً فى المنهل يرعى غنيماتٍ وأسألك أن تبيعه » ، فقال :  
« اشتريته بعشرة دنانير » ، فقلت : « أنا أخذه بعشرين » ، فقال :  
« إن لم أبعه ؟ » ، قلت : « أعطيك به ثلاثين ديناراً » ، فقال لمن حوله :  
« أما تسمعون ما يقول ؟ وما يحملك على أن تبدل به هذا الثمن ؟ » ، فقلت : « جمع على ضالة ، فنذرتُ أن أعتيقه وأبتاع الغنم يرعاها له ، وأملكه إياها » ، فقال : « نذرتُ أن تفعل به هذا لقلعة واحدة من الجبل أولاً كنهها <sup>(١)</sup> ، ولنا فى كل يوم منذ ملكناه حسنة تقتضى أكثر مما نأتيه له ؟ وأنا أشهد الجماعة أنه حرٌّ لوجه الله ، وأن ما رعاه له »

فانصرف عن الشيخ وقد بلغ بى ما أملت له

\*\*\*

١٩ - وقلت يوماً لأحمد بن محمد المعروف بابن أبى عصمة  
كاتب أحمد بن طغان - وكان لي صديقاً مصافياً - : « قد كثر الناس

ابن أبى عصمة  
وابن طغان

(١) أولاه الجبل : فعله ابتداء من غير مكافأة على جميل سابق

في إصابتك<sup>(١)</sup> مع ابن طعان<sup>(٢)</sup>، فقال: « ما أخطئوا في التكثير، وكان صاحبي سَمَحًا<sup>(٣)</sup>؛ ولقد أصابني منه في جهة واحدة ثلاثون ألف دينار، فسألته عن تلك الجهة، فقال: « كان لا يُمِسُّكَ مالا، ولا يَعْقِدُ ذَخِيرَةً<sup>(٤)</sup>، فقال لي يوما: « لم يُصْبِح في حاصلي درهمٌ واحد، فاستسلف لي شيئا أنفقه. فضيتُ إلى منزلي فحملتُ إليه ألف دينار. فلما وضعتها بين يديه، فَتَحَ الكيسَ وقلبَ ما فيه، فلما رأى الدنانير صحاحاً جيدة، قال: « ما هذه دنانير صيرَفِي، فبجيتني مَنْ أَخَذَهَا؟، فقلت له: « كانت عندي، فقال: « ما ظننتُ هذا موضعك!، وسكت

وكان له في كل شهر ألف دينار يُنْزَلُ<sup>(٥)</sup>، فجئته به عند استيجابه إياه، فقال لي: « ما هذا؟، قلتُ: « النُّزْلُ، فقال: « آقِضْ به دنانيرَ الرَّجُلِ. ثم جئته به مرة أخرى بِنُزْلِ الشهر الثاني، فقال: « اصْرِفْهُ إلى الرَّجُلِ، قلتُ: « قد قضيتُهُ، فقال: « اصْرِفْهُ إليه كما أَمْرُكَ. فلم يزل يفعلُ بي هذا حتى مضى ثلاثون شهرا حَصَلَتْ فيها ثلاثين ألف دينار،

---

(١) كثروا في إصابتك معه، أي: أكثرُوا وتزيدوا في تقدير ما استناده من الأموال

(٢) السَمَح: الجواد السخيّ السهل العطاء

(٣) الذخيرة: ما يدخره الرجل ويحفظه. واعتقدها: أمسكها وجمعها وكأنه عقد عليها عقدة

(٤) النزل: رزق العامل وأجره - (المرتب)

٢٠ - حدثني هرون بن مألول ، قال ، حدثني ياسين بن  
زُرارة ، قال :

« كان ببعض أرياف مصر نصرانيٌّ من أهلها كثيرُ المالِ ،  
فأثبى النِّعمة ، سَمَحَ النَّفْسَ ؛ وكانت له دارُ ضيافةٍ ، وجَرَائِمٌ <sup>(١)</sup>  
واسعةٌ على ذوى السَّترِ بالفسطاطِ . فهُرَبَ من المتوَكِّلِ رجلٌ  
- كُنِيَ عن اسمه - خطيرُ المنزلةِ ، لميلِ كان من المنتصرِ إليه ، وتبرأ  
من حاشيته ولبسَ جُبَّةَ صوفٍ ، فأنتهى به المسيرُ إلى مصر . فلما  
دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد ، يخاف أن يُعرَفَ فنَزَعَ  
إلى أريافها <sup>(٢)</sup> ، فأنتهى به المسيرُ إلى ضياعِ النصرانيِّ ، فرأى فيها  
منه رجلاً جميلَ الأمرِ . وسأله النصرانيُّ عن حاله ، فذكر أنَّ  
الاختلالَ <sup>(٣)</sup> أنتهى به إلى ماظهر عليه ، فغسَّرَ هِيَأَتَهُ ، وفَوَّضَ  
إليه شيئاً من أمره ، فأحكَمَهُ فيما أُسْنَدَ إليه واضطَّلَعَ به . ولم  
يزل حاله يتزايدُ عنده حتى غاب على جميعِ أمره ، وقام به أحسن  
قيام ، فكان محلُّ الرجلِ الهاربِ من النصرانيِّ ، يفضِّلُ كلَّ ما  
ذَهَبَ له

وَوَرَدَ على النصرانيِّ مُسْتَحِثٌّ بِحَمَلِ مالٍ وَجَبَ عليه ، <sup>(٤)</sup>

(١) الجراية : الصدقة الجارية التي لاتنقطع

(٢) نزح إلى الريف : تباعد إليه في رحلته

(٣) اختل الرجل : افتقر واحتاج ، والخلَّة : الحاجة والفقر

(٤) المستحث : الذى يستحثه ويستعجله

[وسأله] النصراني عن خَيْرِ الناس بالفُسْطاط ، فقال : « ورد خَيْرَ قَتْلِ المتوكل وتَقْلُدُ المنتصر ، وواقى رسولُ من المنتصر في طلب رجل هَرَبَ في أيام المتوكل يُعرَفُ بفلان بن فلان ، ويُوْعِزُ إلى عمال مصر والشام بأن يَتَلَقَّوه بالتَّكْرِمة والتَّوَسُّعِ ، فيلحق أمير المؤمنين في حال تُشْبِهُ مُحَلَّه عنده »

فعدل النصراني بالمستحَثِّ إلى بعض من أنزله عليه ، وخلا الهاربُ بالنصراني فقال : « أحسن اللهُ جَزَاءَكَ ا فقد أَوَلَيْتَ غَايَةَ الجَمِيلِ ، وأحتاج إلى أن تأذن لي في دُخُولِ الفُسْطاط » ، فقال : « يا هذا ! إن كنتَ استَقْصَرْتَنِي <sup>(١)</sup> فَاحْتَسِمِ في مَالِي ، فَإِنِّي لَا أُرِدُّ أَمْرَكَ ، وَلَا أَزُولُ عَنْ حُكْمِكَ ، وَلَا تَتَأَيَّأ عَنِّي » ، فقال له : « أنا الرجلُ المَطْلُوبُ بالفُسْطاط ، وقد خَلَقْتُ سُمْلًا جَمًّا ونِعْمَةً واسعة ، وإِنَّمَا عَدَلْتُ بِي الخَرْفَ على نَفْسِي » ، فقال له : « ياسيدي ! فَاَلْمَالُ في يدِكَ ، وما عندكَ من الدوابِّ فَأَنْتَ أَعْرَفُ بِهِ مَنِّي ، فَاحْتَسِمِ فِيهِ » ، فَأَخَذَ بِغَالَا وما صَلَحَ لِمِثْلِهِ ، وخرج النصراني معه ، وقَدَّمَ كِتَابًا إلى عاملِ المَعُونَةِ <sup>(٢)</sup> من مُسْتَقَرِّهِ ، فتلَقَّاه عاملُ المَعُونَةِ في بعضِ طَرِيقِهِ ، ووَصَّاهُ وَجَمِيعَ العُمَالِ بالنصراني . وصار إلى الحَضْرَةِ ، فأصدر إليهم الكُتُبَ في الوَصَاةِ به : إلى أن قدم بعضُ العمالِ المُتَّجِرَةِ ، <sup>(٣)</sup>

(١) استقصره : وجده مقصراً

(٢) عمل المَعُونَةِ كان من أكبر وظائف الدولة كولاية الخراج

(٣) يريد العمال الذين يعملون سلطان عملهم تجارة ، فيظنون الناس

نصراني  
ومستتر

٣٠ - حدثني هرون بن مسلول ، قال ، حدثني ياسين بن زُرارة ، قال :

« كان ببعض أرياف مصر نصراني من أهلها كثير المال ، فأتى النعمة ، سَمَحَ النَّفْس ؛ وكانت له دار ضيافة ، وجرايات<sup>(١)</sup> واسعة على ذوى السَّتر بالفسطاط . فهُرَبَ من المتوَكِّل رجلٌ - كَتَى عن اسمه - خطيرُ المنزلة ، لميل كان من المنتصر إليه ، وتبرأ من حاشيته وليس جُبة صوف ، فأنتهى به المسير إلى مصر . فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد ، يخاف أن يُعرف فنزح إلى أريافها<sup>(٢)</sup> ، فأنتهى به المسير إلى ضياع النصراني ، فرأى فيها منه رجلاً جميلَ الامر . وسأله النصراني عن حاله ، فذكر أن الاختلال<sup>(٣)</sup> انتهى به إلى ما ظهر عليه ، فغَيَّرَ هَيَأْتَهُ ، وفوض إليه شيئاً من أمره ، فأحكمه فيما أُسندَ إليه واضطلع به . ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره ، وقام به أحسن قيام ، فكان محلُّ الرجلِ الهارب من النصراني ، يفضِّل كلَّ ما ذَهَبَ له

وورد على النصراني مُسْتَحْتٌ بحمل مال وجب عليه ،<sup>(٤)</sup>

(١) الجارية : الصدقة الجارية التي لاتنقطع

(٢) نزح إلى الريف : تباعد إليه في رحلته

(٣) اختل الرجل : افتقر واحتاج ، والخلّة : الحاجة والفقير

(٤) المستحث : الذى يستحثه ويستعجله



[وسأله] النصراني عن حَبَرِ الناس بالفُسطاط ، فقال : « ورد حَبَرُ قَتْلِ المتوكل وتَقْلُدُ المنتصر ، ووَاقَى رسولُ من المنتصر في طلب رجل هَرَبَ في أيام المتوكل يُعرَفُ بفلان بن فلان ، ويُوْعَزُ إلى عمّال مصر والشام بأن يَتَلَقَّوْهُ بالتَّسْكِرَةِ والتَّوَسُّعَةِ ، فيلاحق أمير المؤمنين في حال نُشْبِهِ مُحَلَّه عنده ،

فعدل النصراني بالمستحِثِّ إلى بعض من أنزله عليه ، وخلا الهاربُ بالنصراني فقال : « أحسن اللهُ جَزَاءَكَ ! فقد أولَيْتَ غايةَ الجليل ، واحتاج إلى أن تأذن لي في دُخُولِ الفُسطاط » ، فقال : « يا هذا ! إن كنتَ استَقْصَرْتَنِي <sup>(١)</sup> فَاحْتَسِمِ في مالي ، فإنِّي لا أُرُدُّ أَمْرَكَ ، ولا أُرْوِلُ عن حُكْمِكَ ، ولا تنأى عني » ، فقال له : « أنا الرجلُ المطلوبُ بالفُسطاط ، وقد خَلَقْتُ سُمْلًا جَمًّا ونعمةً واسعةً ، وإنما عَدَلْتُ بِنِي الخَرْفِ على نَفْسِي » ، فقال له : « ياسيدي ! فالْمَالُ في يدِكَ ، وما عندكَ من الدوابِّ فأنت أعْرِفُ به مَتَى ، فأَحْتَسِمُ فيه ، فأخْذْ بِغَالَا وما صَلَحَ لِمِثْلِهِ ، وخرج النصراني معه ، وقَدِمَ كتاباً إلى عاملِ المَعُونَةِ <sup>(٢)</sup> من مُسْتَقَرِّهِ ، فتلَقَّاه عاملُ المَعُونَةِ في بعضِ طَرِيقِهِ ، ووصَّاه وجميعَ العُمَّالِ بالنصراني . وصار إلى الحَضْرَةِ ، فأصدر إليهم الكُتُبَ في الوَصَاةِ به ؛ إلى أن قَدِمَ بعضُ العَمالِ المَتَّجِرَةِ ، <sup>(٣)</sup>

(١) استقصره : وجده مقصراً

(٢) عمل المَعُونَةِ كان من أكبر وظائف الدولة كولاية الخراج

(٣) يريد العمال الذين يجعلون سلطان عملهم تجارة ، فيظلمون الناس

ليتكسبوا منهم

٢٠ - حدثني هرون بن مسلول ، قال ، حدثني ياسين بن زُرارة ، قال :

« كان ببعض أرياف مصر نصرانيٌّ من أهلها كثيرُ المالِ ، فاشى النعمة ، سمح النفس ؛ وكانت له دارُ ضيافةٍ ، وجراياتٌ <sup>(١)</sup> واسعةٌ على ذوى السَّترِ بالفسطاطِ . فهُربَ من المتوَكِّلِ رجلٌ - كنى عن اسمه - خطيرُ المنزلةِ ، لميلِ كان من المنتصرِ إليه ، وتبرا من حاشيته ولبسَ جُبَّةَ صوفٍ ، فانتهى به المسيرُ إلى مصر . فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهلِ بغداد ، فخاف أن يُعرَفَ فنزحَ إلى أريافها <sup>(٢)</sup> ، فانتهى به المسيرُ إلى ضياعِ النصرانيِّ ، فرأى فيها منه رجلاً جميلَ الأمرِ . وسأله النصرانيُّ عن حاله ، فذكر أن الاختلالَ <sup>(٣)</sup> انتهى به إلى ماظهر عليه ، فغَيَّرَ هَيَأَتَهُ ، وفوَّضَ إليه شيئاً من أمره ، فأحكمه فيما أُسندَ إليه واضطلعَ به . ولم يزل حاله يتزايدُ عنده حتى غلبَ على جميعِ أمره ، وقام به أحسن قيام ، فكان محلُّ الرجلِ الهاربِ من النصرانيِّ ، يفُضِّلُ كلَّ ما ذَهَبَ له

وورَدَ على النصرانيِّ مُسْتَحْتٌ بِحَمَلِ مالٍ وَجِبَ عليه ، <sup>(٤)</sup>

(١) الجراية : الصدقة الجارية التي لاتنقطع

(٢) نزح إلى الريف : تباعد إليه في رحلته

(٣) اختل الرجل : افتقر واحتاج ، والخلَّة : الحاجة والفقير

(٤) المستحت : الذى يستحشه ويستعجله

[وسأله] النصرانيُّ عن حَبَرِ الناسِ بالفسطاط ، فقال : « ورد حَبَرٌ قَتَلَ المتوكلَ وتَقَلَّدَ المنتصر ، ووَاقَى رسولُ من المنتصر في طلب رجل هَرَبَ في أيامِ المتوكل يُعرَفُ بفلان بن فلان ، ويُوَعِّزُ إلى عمالِ مصر والشام بأن يَتَلَقَّوه بالتَّكْرِيمَةِ والتَّوَسُّعَةِ ، فيلحق أمير المؤمنين في حال نُشْبِهِ مُحَلَّاهُ عنده »

فعدل النصراني بالمشيِّح<sup>(١)</sup> إلى بعض من أنزله عليه ، وخلا الهاربُ بالنصراني فقال : « أحسن اللهُ جَزَاءَكَ ا فقد أوليتَ غايةَ الجليل ، واحتاج إلى أن تأذن لي في دُخُولِ الفُسطاط » ، فقال : « يا هذا ! إن كنتَ استَقَصَرْتَنِي<sup>(٢)</sup> فَاحْتَسِمِ في مَالِي ، فإنِّي لا أَرُدُّ أَمْرَكَ ، ولا أزيلُ عن حُكْمِكَ ، ولا تنأى عني » ، فقال له : « أنا الرجلُ المطلوبُ بالفسطاط ، وقد خَلَقْتُ شَمَلاً جَمَّاً ونعمةً واسعةً ، وإنما عدَلْتُ بِي الخُوفَ على نفسي » ، فقال له : « ياسيدي ! فالسَّالُ في يدك ، وما عندك من الدوابِّ فأنت أعرفُ به مِنِّي ، فَاحْتَسِمِ فيه ، فَأُخَذَ بِغَالَا وما صَاحَ لمثله ، وخرج النصراني معه ، وقَدَّمَ كتاباً إلى عاملِ المَعُونَةِ<sup>(٣)</sup> من مُسْتَقَرِّهِ ، فتلَقَّاه عاملُ المَعُونَةِ في بعضِ طَرِيقِهِ ، ووصَّاه وجميعَ العُمَالِ بالنصراني . وصار إلى الحضرة ، فأصدر إليهم السَّكَّتَبَ في الوَصَاةِ به ؛ إلى أن قدم بعضُ العمالِ المَتَّجِرَةِ<sup>(٤)</sup> ،

(١) استقصره : وجده مقصراً

(٢) عمل المَعُونَةِ كان من أكبر وظائف الدولة كولاية الخراج

(٣) يريد العمال الذين يجعلون سلطان عملهم تجارة ، فيطلبون الناس

ليتكسبوا منهم

ففتبَّع النصراني ورامَّ الزيادةَ عليه ، فخرج إلى بغداد  
قال لي هرون ، أنَّ ياسين قال له ، أنَّ النصراني حَدَّثه ، : أنه  
دخل بغداد فلم يرَ بها أَوْفَى محلاً وأكثرَ قاصداً منه  
« ثم استأذنت عليه وعنده جمعٌ كثير ، فخرج أكثرُ غلمانِه حتى  
استقبلوني ، فلما رآني قام علي رجله ثم قال : « مرحباً بأستاذي  
وكافلي والقائمِ بي حين قعد الناس عني » ، وأجلسني معه . وانكبَّ  
عليّ ولده وشمله ، وأنا أنأملُ مواقعَ الإحسان من الأحرار .  
وسألني عن حالي في ضياعي ، فأخبرته خبرَ العامل ، وكان أخوه  
في مجلسه ، فنظرَ إليه من كُنَّا عنده وقال له : « كنتُ السبب في  
تقليدِ أخيك ، فصار أكبرَ سبب في مَسْأَتي ! » . فكتبَ من مجلسه  
كتاباً إليه بجليلةِ الخبرِ وأنفذه . وأقمتُ عنده حَوْلًا في أرغد عيشة  
وأعظمَ تَرْفُو . وورد علي كُتُب أصحابي ، فخبروني بانصرافِ العامل  
عن جميع ما كان اعترضَ عليه في أمري ، وأخرج أمرَ السلطان  
في إسقاط أكثرِ خراجِ ضياعي ، والاقتصارِ بي على يسيرٍ من مالها .  
قال ياسين ، فكتب النصرانيُّ ببغداد حجة <sup>(١)</sup> أشهد فيها علي  
نفسه أنَّ أسهمه في جميعِ الضياع التي في أيده . وسمّاها وحدّدها .  
لهذا الرجل الذي كان هرباً ، وصار بها إليه ، فقال له : « قد  
سوَّعَكَ اللهُ هذه الضياع » <sup>(٢)</sup> فإني أراك أحق بها من سائرِ الناس ،

(١) الحجة : كتاب يكتب ليكون وثيقة وحجة

(٢) سوَّعَه الشيء : أي : جعله له سائغاً سهلاً

فامتنع الرجلُ من ذلك ، وقال له : « عليك فيها عاداتٌ تُحَسِّنُ  
ذكرَكَ ، وترُدُّ الأضغانَ عنكَ ، ولست أقطعُها بقبضِ هذه  
الضِياعِ عنكَ »

ورجع النصراني إلى الفسطاط بجِدِّ الشهادةِ به فيها . فلما  
تَوَقَّى النصراني أقرَّها في يد أقربه ، ولم يزالوا معه بأفضل حالٍ



٣١ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه ، قال :  
« كان يحيى بن خالد بن برمك قد تبنى الفضل بن سهل  
وأجراه جُزْئِي الوَلَدِ - ونظر إليه ولَّده بعينِ الآخرِ لهم - . فضمَّه  
إلى المأمون . وكان يحيى بن خالد حَسَنَ المعرفة بالنجوم ،  
والفضلُ بارِعاً فيها ، فاتفقا على ما تُرْجِيهِ النجوم في مُدَدِ البرامكة <sup>(١)</sup> ،  
وتبيَّنا سعادةً تفتي إليها حالُ الفضل ، وكان كلُّ واحدٍ منهما  
كالمشاهد لما أَنتَهَى إليه

وأوقع الرشيدُ بالبرامكة ، فاعتَصَم الفضلُ بِمَحَلِّهِ من خِدْمَةِ  
المأمون ؛ وكانت يده تَعِجْزُ عَمَّا يُصْلِحُ يحيى وولَّده عند الرشيد ،  
فوجه إليه : « نسيدي ! قد كَرِهَيْني أَمْرُكَ <sup>(٢)</sup> ، ولست أُصِلُ إلى

(١) المدد : جمع مدة ، ويريد : مدد بقاء سلطان البرامكة

(٢) كرهه الأمر : ضيق عليه الكرب وشدده

فتتبع النصراني ورام الزيادة عليه ، فخرج إلى بغداد  
قال لي هرون ، أن ياسين قال له ، أن النصراني حدثه ، : أنه  
دخل بغداد فلم ير بها أوثى محلا وأكثر قاصدا منه  
ثم استأذنت عليه وعنده جمع كثير ، فخرج أكثر غلمانا حتى  
استقبلوني ، فلما رأني قام علي رجله ثم قال : « مرحبا بأستاذي  
وكافلي والقائم بى حين قعد الناس عني » ، وأجلسني معه . وانكب  
علي ولده وشمله ، وأنا أنامل مواقع الإحسان من الأحرار .  
وسألني عن حالي في ضياعي ، فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه  
في مجلسه ، فنظر إليه من كُنّا عنده وقال له : « كنتُ السبب في  
تقليد أخيك ، فصار أكبر سبب في مساءتي ! » . فكتب من مجلسه  
كتابا إليه بجملة الخبر وأنفذه . وأقتُ عنده حولا في أرغد عيشة  
وأعظم ترّفه . وورد علي كتب أصحابي ، فخبروني بانصراف العامل  
عن جميع ما كان اعترض عليه في أمري ، وأخرج أمر السلطان  
في إسقاط أكثر خراج ضياعي ، والاقتصار بى علي يسير من مالها ،  
قال ياسين ، فكتب النصراني ببغداد حجة <sup>(١)</sup> أشهد فيها علي  
نفسه أن أسهمه في جميع الضياع التي في أيده . وسمّاها وحدّها -  
لهذا الرجل الذي كان هربا ، وصار بها إليه ، فقال له : « قد  
سوّغك الله هذه الضياع » <sup>(٢)</sup> فإني أراك أحق بها من سائر الناس ،

(١) الحجة : كتاب يكتب ليكون وثيقة وحجة

(٢) سوغه الشيء ، أى : جعله له سائغا سهلا

فامتنع الرجلُ من ذلك ، وقال له : « عليك فيها عاداتٌ تُحسِّنُ  
ذكرَكَ ، وترُدُّ الأضغانَ عنكَ ، ولست أقطعُها بقبضِ هذه  
الضِياعِ عنكَ »

ورجع النصراني إلى الفسطاط فجدد الشهادةَ به فيها . فلما  
تَوَقَّى النصراني أقرَّها في يد أقراربه ، ولم يزالوا معه بأفضل حالٍ

☆☆☆

٢١ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه ، قال :  
« كان يحيى بن خالد بن برمك قد تبنى الفضل بن سهل  
وأجراه يُجَرِّى الولد - ونظر إليه ولده بعين الآخر لهم - . فضمَّه  
إلى المأمون . وكان يحيى بن خالد حَسَنَ المعرفة بالنجوم ،  
والفضلُ بارِعاً فيها ، فاتفقا على ما تَوَجَّبه النجوم في مُدَدِ البرامكة <sup>(١)</sup> ،  
وتعييناً سعادةً تنتهي إليها حالُ الفضل ، وكان كلُّ واحدٍ منهما  
كالمشاهد لما آتتهى إليه

وأوقع الرشيدُ بالبرامكة ، فاعتَصَمَ الفضلُ بِمَحَلِّهِ من خِدْمَةِ  
المأمون ؛ وكانت يده تَعْجِزُ عما يُصْلِحُ يحيى وولده عند الرشيد ،  
فوجه إليه : « سيدي اقد كَرِّبْنِي أَمْرُكَ <sup>(٢)</sup> ، ولست أُصِلُ إلى

(١) المدد : جمع مدة ، ويريد : مدد بقاء سلطان البرامكة

(٢) كربه الامر : ضيق عليه المكرب وشدده

حُسْنُ الدَّفَاعِ عَنْكَ ، فَأَحِلَّ ذِمَامَهُ فِي هَذِهِ الْمِحْنَةِ <sup>(١)</sup> ؛ فَإِنِّي أَرْجُو  
أَنْ أَقْضِيَهُ عَنْكَ عِنْدَ أَنْتَهَائِي إِلَى سَعَادَتِي »

قال ابن أبي يعقوب : لَخِذْنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ الْأَحُولُ ،  
قال : « أَتَّصِلُ بِكَ مِنْ ضَيْقِ يَحْيَى مَا كَدَّرَ عَيْشِي . وَذَكَرْتُ  
لِحَسَانِهِ إِلَيَّ ، وَحُسْنَ صَلِيحِهِ بِي ، فَضَاقَ بِي الْغَرِيضُ . وَوَجَدْتُ  
مَا أَمْلَكُهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَقَسَمْتُهَا قِسْمَيْنِ ، وَحَمَلْتُ أَحَدَهُمَا ،  
وَتَوَصَّلْتُ إِلَى الدَّخُولِ إِلَيْهِمْ فِي مَحْبِسِهِمْ ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيِ يَحْيَى  
ابْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ لِي : « أَيْسَ يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نَعُزَّكَ مِنْ أَنْفُسِنَا ،  
وَلَا أَنْ نَعِدَّكَ عَنَا مَا لَا آفِي بِهِ الْإِيَّامُ لَكَ ، وَقَدْ أَنْتَهَى أَمْرُنَا ،  
فَإِنْ كُنْتَ تُقَدِّرُ أَنْ أَحْوَالَنَا تَصَاحُ فَأَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ » ،  
فَقُلْتُ : « مَا ذَهَبْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا لِقَضَاءِ بَعْضِ الْحَقِّ عَنِّي » . فَأَخَذَ  
بِضَاءَ <sup>(٢)</sup> فَكَتَبَ فِيهَا : « يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَيْدِكَ اللَّهُ ! هَذَا رَجُلٌ  
خَلَّصَ عَلَيَّ تَجَرِبَتَنَا <sup>(٣)</sup> ، وَأَحْسَنَ بِنَا مَعَ اسْتِحْكَامِ يَأْسِهِ مِنَّا ، وَأَنَا  
أَذْكُرُكَ الْعَهْدَ ، وَأَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي قَضَاءِ حَقِّهِ عَنِّي ، وَتَخْفِيفِ ثِقَلِهِ  
عَلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَوْنَكَ ، وَكَفَاكَ مَا أَعْيَزَكَ » . ثُمَّ نَاقَهَا وَقَطَعَهَا  
عَرْضًا بِقِطْعَتَيْنِ ، وَقَالَ لِي : « احْفَظْ هَذَا النِّصْفَ مَعَكَ ، وَلَا  
تَفْرُطْ فِيهِ فَيَفُوتَكَ حَظٌّ كَبِيرٌ » ،

---

(١) الذِّمَامُ : الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ ، وَأَحْلَى الذِّمَامِ : جَعَلَهُ حَلَالًا لَا يَلْتَزِمُ  
عَهْدَهُ وَشَرْطَهُ

(٢) يَرِيدُ : وَرَقَةً بِيضَاءَ

(٣) خَاصَّ عَلَيَّ التَّجَرِبَةَ ، أَيْ : تَبَيَّنَ إِخْلَاصُهُ بَعْدَ التَّجَرِبَةِ وَالْمِحْنَةِ



ثم فرق ذلك المالَ في قوم صَعَفَتْ أحوالُهُم بما لحِقَهُ ،  
وانضرفتُ من عنده وقد آيسنى من رجوع حاله ، وأعطاني  
نصفَ رُقعة لا أقف على ما تُوصِلُ إليه . وَتَقَضَّى أمرُهُم <sup>(١)</sup> ،  
ومات الرشيدُ بطوس ، وغلب الفضلُ بن سهلٍ على المأمونِ  
بخراسان ، وخلفه على جميع أمره ، وشَجَرَ الأمرُ بين الأمين  
والمأمون <sup>(٢)</sup> ، فظهرَ المأمون عليه <sup>(٣)</sup> ، وصَحَّت وزارة الفضل  
ابن سهلٍ للمأمون ، ووردت بِإِدْرَةِ المأمون <sup>(٤)</sup> بذلك إلى سائر  
النواحي . وطالت عُطْلتي ، واشتدَّت فاقتي ، وفقدت من كان  
يُؤَثِّرني وينحاشُ إليَّ <sup>(٥)</sup>

فإني لجالس في منزلي - في يوم قد أعوزني فيه قوتُ يومى ،  
وعلى ثوبِ خَاقٍ ، وليس لى إلا خِلعة أركبُ فيها - حتى دخل  
إلى غلامى فقال : « بالباب جماعة من أصحاب طاهر بن الحسين » ،  
فلبستُ ثيابَ رُكوبى ، وأذنتُ لهم ، وتقدّمهم رئيسُ لهم تبيّنت  
إعظامى في نفسه ، فقال : « الأميرُ طاهرٌ يسألك المسيرَ إليه » .  
فهبْتُ ، فلما دخلتُ قدمنى وأعظمتنى وقال : « ورد كتابُ الوزير  
أيده الله علىَّ في حملك إلى حضرته على حالٍ تذكّرتُه » ، ومعك

(١) تقضى أمرهم : انتهى وانقضى

(٢) شجر الأمر بين الصديقين : إذا اختلفا وتنازعا وتشاجرا

(٣) ظهر عليه : غلبه وفاز به

(٤) البادرة : أوائل من يأتى بالأخبار والبشرى

(٥) انحاش إليه ، يريد : اكترث له ، أو اجتمع إليه

نصف الرُّقعة التي دفعها إليك يحيى بن خالد ، وأمرني بدفع ألفي دينار إليك لحُمواتك ومُخلفيك<sup>(١)</sup> ،

فقويتُ نفسي ، وانفسح رَجائي ، وخرجتُ بعد قبْضِ المال مع رسول طاهرٍ . فلما دخلتُ إلى الفضل بن سهل ، لقيتني بأجمل لقاء ، وسألني عن نصف الرُّقعة فأحضرتها ، ثم أسرَّ إلى بعض خاصَّته شيئاً ، فمضى ، وجاء برقعة فوصلها بها فسكرت ، فلما استتمَّ قراءتها بكى ، ثم قال : « رحم الله أبا العباس ! فما كان أعرفه بتصرف الأيام ، واستدعاء الشكر فيها ، والتحيز من الذمِّ بها ! »<sup>(٢)</sup>

ثم أدخلني إلى المأمون ، وواكد أمرى عنده<sup>(٣)</sup> ، حتى بلغتُ معه إلى أخصِّ أحوالِ كتابه ، ومن وثق به في مهمِّ أمره »

\*\*\*

٢٢ — وحدثنى عليُّ المتطبِّب المعروف بالديدان - وكان حسن المعرفة بكتب أفلاطون ورُموزه ، ومبرزاً في الطبِّ - ، قال :

« خرجت مع رجل - يُعرف بابن بروخ - من قواد السلطان إلى

على المتطبِّب  
وولد  
أفلاطون

(١) الخولة : ما يحمل عليه القاعد من الدواب ، والمخلفون ، يريد : أهله الذين يخلفهم وراءه  
(٢) تحيز من الذم : تنحى عنه وتأخر  
(٣) واكدّه ووكدّه : أوثقه

طَرُسُوسَ ، فغنم سَنِيَا كَثِيرًا <sup>(١)</sup> ، وكان السَّبْيُ فِي دَارِ خَرَابٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ ، فَدَخَلْتُ لِنَظَرِهِ ؛ فَوَجَدْتُ فِي السَّبْيِ شَابًا حَسَنَ الصُّورَةِ جَمِيلَ السَّمْتِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَكْثَرَ السَّبْيِ حَوَاهُ ، وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ مَكَانُ الْمَوْلَى مِنَ الْمَمَالِكِ : يَتَسَرَّعُونَ إِلَى جَمِيعِ مَا وُثِّقَ إِلَيْهِ ، وَيَكْفُرُونَ أَخْذَهُ بِنَفْسِهِ . فَكَلَّمْتُ فِيهِ بَعْضَ السَّبْيِ وَسَأَلْتُهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لِي : « هَذَا مِنْ وَلَدِ أَفْلَاطُونَ » ، فَارْتَحْتُ لَهُ لِيهِ لَا تَتَفَاعَى بِجَدِّهِ ، وَدَخَلْتُ إِلَى ابْنِ بَرُوحٍ فَقُلْتُ : « هَبْ لِي مِنْ هَذَا السَّبْيِ غَلَامًا » ، فَقَالَ لِي : « خُذْهُ » .

فَدَعَوْتُ بَغْلَامٍ يَشْتَمِلُ عَلَى أَمْرِي <sup>(٣)</sup> ، وَوَصَفْتُ لَهُ الشَّابَّ الَّذِي فِي السَّبْيِ ، وَقُلْتُ لَهُ : « إِذَا سَلَّيْتُ إِلَيْكَ غَلَامٌ ابْنُ بَرُوحٍ فَأَطْعِمْهُ مَا أَعَدَدْتُ مِنْ طَعَامِي ، وَأَلْبِسْهُ مِنْ فَاخِرِ ثِيَابِي ، وَطَيِّبْهُ . وَمَكِّنْهُ مِنْ مَجْلِسِي إِلَى أَنْ أَنْصَرِفَ إِلَيْكُمْ » . وَتَشَاغَلْتُ بِأُمُورِ ابْنِ بَرُوحٍ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، وَأَنْصَرَفْتُ ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي آثَرْتُهَا ، وَرَأَيْتُ مَا يَفْعَلُهُ غِلْمَانِي مِنَ الْوُقُوفِ ، فَتَنَعْتُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِي بِالرُّومِيَّةِ : « يَا سَيِّدِي ! مَا الَّذِي وَعَدْتُكَ بِهِ نَفْسُكَ مِنِّي ؟ فَإِنْ كَانَ عِنْدِي بِذَلِكَ لَكَ وَكَتَّ حَقِيقًا بِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَى صَدَقَتُكَ عَنْهُ ، وَلَمْ أَتَغَنَّمْ مِنْكَ مَا لَا يَشْبَهُنِي تَغْنَمُهُ » <sup>(٤)</sup> ، فَقُلْتُ لَهُ :

(١) السبي : الأسرى من العدو

(٢) السمت : الهيئة والمنظر والحركة

(٣) يشتمل على أمره : يخدمه في جميع أمره وبحوطه

(٤) تغنم الشيء : طلب أن يجعله غنيمة بغير جهد

« قد اقتبسنا من جدك أنواراً حَسُنَ بها أثره علينا ، ووجب علينا بها وقايتك بأنفسنا ، ، فقال : « والله إنَّ الطَّبَاعَ التي لاسلافنا معنا .  
ولسكنّا شغلناها في رعي الخنازير ، فبِعُدْتُ بها مَنْ قَرَّبَتْنِي له ،  
وأكرمتني بسببه »

تغيرته بين الدخول معي إلى مصر ، على أن أشاطره ملكي  
وعيشي ، أو أحتال له في رده إلى بلده ؟ فاختر رده إلى بلده .  
فلطفتُ له <sup>(١)</sup> - بإنفاذ بعض من أثق به مع الرُّسل المتوجهين معه - حتى  
وصل إلى بلده .

☆☆☆

٣٣ - وكانت تنتابُ عجائزنا <sup>(٢)</sup> عجوز جميلة المذهب ، ضعيفة  
الحال - تُعرف بأم محمد - ، فيجتمعن على كلِّ صالحه ، وكنت  
أخصها بكفائتها . فلما دخل محمد بن سليمان مصر ، نزل في  
ظاهرها ، واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب الطولونية <sup>(٣)</sup> ،  
فاستصفي ماله بالسَّوطِ وعظيم الإخافة <sup>(٤)</sup> ، فراغني أمره ، وخفتُ  
أن يلحقني عَسْفُهُ

محمد بن سليمان  
وال مؤلف

(١) لطف له وبه - ترفق

(٢) انتاب القوم : إذا قصدهم ، وأتاهم مرة بعد مرة

(٣) الأسباب : الموذات ، ويريد أصدقاء بني طولون الذين يمدون

إليهم بسبب

(٤) استصفي مال الرجل : استخلصه وأخذ صفوه ، واستخرج

أكثره

فإني لجالس في يوم من الأيام وأنا خائف ، حتى دخلتُ جاريةً  
أم محمد العجوز ، فسَلَّت عليّ ، فظننتُها واللهِ تَقْتَضِي بعضَ  
ما عودُها ، فقالت : « سيِّدتي أم محمد تقرأ عليك السلام وتقول :  
« جاءني الساعة رسولُ ابن عمي وسيدي أبي عليٍّ محمد بن سليمان  
يسألُ عني فعرِّفه أني كنتُ في كِفَايتِكَ » ، والرسول على الباب  
يرِيعُ الوصولَ إليك » ، فقلت : « يَدْخُلُ »

فدخل شابُّ حسن الصورة يُعرَف بناشي ، فقال : « جزاك  
الله خيراً ! فقد وصفتك آبنه عم سيدي بما أرجو أن يحسنَ أثره  
عليك » . ودعا بأصحاب الأرباع ، فتقدم إليهم بأن يَمْنَعُوا مَنْ  
تعرَّضني ، فعرضتُ عليه برّاً فقال : « وأى بُرٍّ أَكْثَرُ مما أنيته  
إلينا ! » ، وانصرف عنا

فرجع إلى ناشي هذا برُقة بخط ابن سليمان : « سر إلينا لننظر في  
أمرك ، ونبلغ فيه محبتك » ، فإني أرعى لك متقدِّم حُرْمَتِكَ ، ووكيدَ  
أسبابك ، إن شاء الله . وما لحقتني منه شيء أكرهه حتى انصرف  
عن البلد

\*\*\*

٢٤ - وكان أبو الفياض سَوَّار بن أبي مُرَاعَةَ الشاعر صديقاً لابن أبي شراعة  
والمؤلف  
لى ، وماثلاً إلى ، فلما اعتزم على الرجوع إلى العراق ، سألتني أن  
أكتبَ له شيئاً من شعري ، فكتبتُ له مقدارَ خمسين ورقةً منه ،  
وكان يستحسنه ويُعْجِب به . فصار إلى بغداد وعرضه على جماعة

الاحرار<sup>(١)</sup>، وأحسن وصفي لهم بسلامة مذهبه، وطهارة نيته  
ودخل محمد بن سليمان مصر، وقد رُدَّ البريدُ بها إلى  
أبي عبيد الله أحمد بن صالح، فسأله عند دخوله إياها عن أحمد  
ابن يوسف، فأحضر أحمد بن يوسف - كاتباً كان لأحمد بن  
وصيف، ولأبن الجصاص بعده -، فقال له: «تعرف  
أبا الفيّاض؟»، قال: «لا!». فقال لهم: «ليس هذا الرجل  
الذي طلبتُ»، فأحضرتُ، فلما رآني استشرف إلى<sup>(٢)</sup>، وقال:  
«تعرف أبا الفيّاض؟»، فقلت: «ذكرك الله وإياه بكلِّ  
صالحَةٍ! نعم أعرفه»، وكان خلاًّ لي!، فقال: «هل أنشدك  
من شعره؟»:

ظَلَّلْنَا بِهَا نَسْتَنْزِلُ الدَّنَّ صَفْوَه

فَيَسْنِلُ أَقْبَاسًا بِغَيْرِ كَهَيْبِ،

قلت: «لا ياسيدي! ولكنّي أنشدته إياه من شعري!»،  
فضحك وقال: «والله لقد اشتقتُ إلى الدخولِ إلى مصر من  
أجلك!». وكان والله أفضلَ عونٍ لي على أموري

\*\*\*

٢٥ - وحدثني أحمد بن سقلاب، قال:

«كان بمصر رجلٌ من الفقهاء مشهورُ الإِسْمِ، وله حَلَقَةٌ

علائق بن  
المغيرة وقيقه

(١) الاحرار: الاشراف والافاضل، جمع حر  
(٢) استشرف إليه: تطاول وتطلع إليه، ثم خرج إلى لقائه

عظيمة بالجامع . فبينما هو في صدرها إذ وَاثَى عَلَانُ بن المغيرة <sup>(١)</sup> ،  
فلما رآه مقبلاً نحوه قام إليه على رجليه ، ثم خطا إليه حتى أَقْبَى .  
فأكثرت الجماعة قِيَامَ شَيْخٍ مِثْلِهِ إِلَى حَدَثٍ <sup>(٢)</sup> مِثْلِ عَلَانٍ ،  
وتحقيقه به ، وعرض نفسه عليه ، وأنه لم يدع شيئاً يفعلهُ تابع  
بمتبوع إلا بَذَلَهُ ، وأسرَرْنَا الموجدَةَ عليه <sup>(٣)</sup> . فلما قام عَلَانُ  
قال لجماعتنا : « ما أعلنى بما أضمرتم ! ولكنى أريكم عُذْرِي فيما  
خرجتُ إليه :

« كانت عندى ألف دينار وديعةٌ لرجلٍ بالمغرب قد طال مُقامها ،  
وطالب زوجُ ابنتي بإدخالِ امرأتِهِ عليه ، فجلستُ أمُّها بِحَضْرَتِي  
فقلت لى : « ما الذى تراه فيما قد ألحَّ فيه هذا الرجل ؟ » ، فقلت  
لها : « نستعمل فيه التجوز » <sup>(٤)</sup> ، فقلت لى : « لنا حُساد نخاف  
شما تهم ، ولا بُدَّ من أن تُعِينِنِ على التَّجْمُلِ » ، فقلت : « إن كان  
ماتريدن فى قدرتى لم أبخلُ به عليكم » . قالت : « هو فى قُدرتك ! »  
قلت : « ما هو ؟ » ، قالت : « تمسكتنى من هذه الوديعة ، ونحتاط  
فيما نبتاعه من الجهاز حتى يصل إلينا ثَمَنُهُ فى أىِّ وقتٍ أردناه ،  
ونُدْخِلُ هذه الصبيَّةَ على زَوْجِها . فإن جاء صاحبُ الوديعة بِعُنا

(١) فى الاصل : « ابن علان بن المغيرة » ، ثم ذكره فقال . « علان » ،

(٢) الحدث : الحديث السن الصغير

(٣) الموجدة : الغضب المكتوم

(٤) التجوز : التساهل

ما أَشْرَيْنَاهُ وَلَمْ نُوضَعْ فِيهِ <sup>(١)</sup> إِلَّا مَا يَسْهُلُ عَلَيْنَا غُرْمَهُ ، قُلْتُ :  
« هَذَا قَبِيحٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ » . فَلَمْ يَزَلْ يُتْلِحُ بِي وَتَحْتَالُ  
عَلَيَّ ، حَتَّى أَجْبَتَهَا . فَجَهِزَتْ ابْنَتَهَا بِجَمِيعِ الْمَالِ ، وَأَدْخَلَتْهَا  
عَلَى زَوْجِهَا

فَلَمْ يَمُضْ بَنَاءُ ذَلِكَ إِلَّا شَهْرَانِ حَتَّى وَافَى صَاحِبُ الْوَدِيعَةِ  
يَطْلُبُهَا ، فَقُلْتُ لَهَا « مَا تَفْعَلِينَ ؟ » ، فَقَالَتْ : « أَهْضِي فَأَحِلِّ الْمَتَاعَ  
وَأَبِيعُهُ » . فَخَضْتُ إِلَى ابْنَتِهَا وَرَجَعْتُ إِلَيَّ ، فَقَالَتْ : « لَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ  
بِهَذَا الْمَتَاعِ ، فَقَدْ حَلَفَ زَوْجُهَا بِطَلَا فِيهَا أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ  
عَنْ مَنْزِلِهِ » ، فَسَقِطَ فِي يَدَيَّ <sup>(٢)</sup> ، وَرَأَيْتُ الْفَضِيحَةَ فِي الدَّارَيْنِ  
مَتَصَدِّقَةً لِي : فَوَضَعَ لِفِطَارِي بَيْنَ يَدَيَّ فَلَمْ أَطْعَمْ ، وَأَعْتَرَانِي  
مَآخِضٌ مِنْهُ عَلَى عَقْلِي ، وَبُثُّ بَلِيلَةٍ مَا بُثُّ بِمِثْلِهَا ، وَأَنَا أَتَبِينَ سَهْوَةَ  
ذَلِكَ عَلَى زَوْجَتِي فِي جَنْبِ مَا أَحْرَزَتْهُ لِنَفْسِهَا . ثُمَّ أَنْتَبَهْتُ قَبْلَ  
الْفَجْرِ بِمَنَازِلٍ ، فَصَحْتُ بِالْغَلَامِ « أَسْرِجْ لِي » ، فَصَافَ <sup>(٣)</sup>  
وَأَسْرِجَ ، وَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! أَيْنَ تَمْضِي ؟ » ، فَقُلْتُ : « لَيْسَ  
لَكَ الْإِعْتَرَاضُ عَلَيَّ »

وَرَكِبْتُ وَسِرْتُ بِطُورِ عِنَانِي ، فَلَمْ يَزَلْ يَغْلِي بِسِرِّحِي دَخَلْتُ

(١) أَوْضَعَ فِي الْمَالِ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) : وَكَسَ وَغَنَ وَخَسَرَ

(٢) سَقَطَ فِي يَدَيَّ : (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) : إِذَا زَلَّ الرَّجُلُ وَأَخْطَأَ فَتَدُمَّ

عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ

(٣) أَسْرِجَ لَهُ : أَيَّ وَضَعَ عَلَى الدَّابَّةِ سَرَجَهَا



زُقَاقَ عَلَّانِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، وَصَاحَ الْغَلَامُ  
بِالْبُؤَابِ وَعَرَّفَهُ بِمَوْضِعِي . فَسَمِعْتُ حَرَكَهَ فِي دَارِهِ ، ثُمَّ فُتِحَ الْبَابُ  
وَأُذِنَ لِي بِالدُّخُولِ . فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ شِمْعَةً وَهُوَ  
يَكْتُبُ جَوَابَاتِ كُتُبٍ وَكَلَّاهُ . فَلَمَّا رَأَى أَنِّي قَامٌ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لِمَنْ  
حَضَرَهُ مِنَ الْغُلَّامَانِ ، « تَنَحَّوْا ! » ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَوْ  
بَعَثْتُ إِلَى أَسْرَتِكَ إِلَيْكَ وَلَمْ أُجَشِّمْكَ السَّعْيَ إِلَيْهِ ، فَأَمْرُحَ لِي أَمْرَكَ » ،  
فَغَلَبَنِي الْعَبْرَةُ وَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، فَسَا زَالَ يُسَكِّنُنِي حَتَّى  
أَنْصَصْتُ لَهُ إِنْفَاقَ الْوَدِيعَةِ <sup>(١)</sup> ، وَهُوَ مَغْمُومٌ بِأَمْرِي . ثُمَّ قَالَ :  
« فَكَمْ هَذِهِ الْوَدِيعَةُ ؟ » ، فَقُلْتُ « أَلْفُ دِينَارٍ ! » ، فَضَحِكَ ، وَقَالَ :  
« فَرَجَّتْ وَاللَّهِ عَنِّي ! مَا تَوَسَّيْتُ أَنْيَ أُمْلِكُهَا <sup>(٢)</sup> » ، فَكَانَ الْغَمُّ يَقَعُ  
بِهَا ، فَأَمَّا وَهِيَ فِي الْقُدْرَةِ فَمَا أَسْهَلَهَا عَلَيَّ ، وَأَخَفَّهَا لَدِي ! » ، ثُمَّ قَالَ  
لِغُلَامِهِ : « جِئْنِي بِتِلْكَ الصَّرَارِ <sup>(٣)</sup> الَّتِي وَرَدَتْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَغْرِبِ فِي  
هَذَا الشَّهْرِ » ، فَجَاءَ بِأَرْبَعِ صِرَارٍ فَنَظَرَ فِيهَا عَلَيْهَا وَجَمَعَهُ وَقَالَ :  
« هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ وَخَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ ، أَلْفٌ لِلْوَدِيعَةِ ، وَخَمْسُ مِائَةِ  
تَصْلُحُ بِهَا مَا يَبْنِيكَ وَبَيْنَ مِنْ عِنْدِكَ » ، ثُمَّ قَالَ لِي : « مَتَى أَشْكُرُ  
إِفْرَادَكَ إِيَّايَ - بَعْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَهُ - بِتَأْمِيلِي فِي حَادِثَةٍ  
حَدَّثْتَ عَلَيْكَ ، فَأَعَانَنِي اللَّهُ عَلَى مَكَافَأَتِكَ ؟ » . وَأَضَافَ إِلَيَّ مَنْ  
خَفَرَنِي إِلَى مَنْزِلِي ،

(١) نص الحديث إلى فلان : رفعه إليه وأظهره

(٢) توسم الشيء : توهمه وتخيله

(٣) الصرار : جمع صرة ، وهي التي تصرفها الدراهم

فَقَالَتِ الْجَمَاعَةُ : « قَدْ سَمِعْنَا عُذْرَكَ ، وَعَلَيْنَا عَهْدُ اللَّهِ أَنْ لَقِينَاهُ .  
أَبْدَأْ إِلَّا قِيَامًا »

\*\*\*

الطالبي ووالد  
المؤلف

٢٦ - وَبَعَثَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ - فِي السَّاعَةِ الَّتِي تُؤَوَّفُ فِيهَا  
يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي - بِخَدَمٍ فَهَجَمُوا الدَّارَ <sup>(١)</sup> ، وَطَالَبُوا  
بِكُتُبِهِ : مُقَدِّرِينَ أَنْ يَجِدُوا فِيهَا كِتَابًا مِمَّنْ يَبْغِ دَاذَ . خَمَلُوا صَنْدُوقَيْنِ  
وَقَبَضُوا عَلَى وَعَلَى أَخِي ، وَصَارُوا بَنَاءً إِلَى دَارِهِ . وَأَدْخَلْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ  
فِيهَا جَالِسٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ الطَّالِبِينَ . فَأَمَرَ بِفَتْحِ  
أَحَدِ الصَّنَدُوقَيْنِ ، وَأَدْخَلَ خَادِمٌ <sup>[يَدُهُ]</sup> ، فَوَقَعَ دَفْتَرُ جَرَايِمِهِ  
عَلَى الْأَشْرَافِ وَغَيْرِهِمْ . فَأَخَذَ الدَّفْتَرَ بِيَدِهِ وَتَصَفَّحَهُ - وَكَانَ جَيِّدَ  
الِاسْتِخْرَاجِ - فَوَجَدَ أَسْمَ الطَّالِبِيَّ فِي الْجَرَايِمِ ، فَقَالَ لَهُ وَأَنَا أَسْمَعُ :  
« كَانَتْ عَلَيْكَ جَرَايِمٌ لِيُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؟ » ، فَقَالَ <sup>[لَهُ]</sup> : « نَعَمْ !  
أُثِمَّا الْأَمِيرُ ! » ، دَخَلْتُ هَذَا الْبَلَدَ وَأَنَا مُمْلِقٌ <sup>(٢)</sup> ، فَأَجْرَى عَلَيَّ فِي  
كُلِّ سَنَةٍ مَائَتِي دِينَارٍ وَمَائَتِي إِرْدَبَ قَحٍّ ، أَسْوَدَ بَابِي الْأَرْقُطِ  
وَالْعَقِيقِ وَغَيْرِهِمَا . ثُمَّ أَمْتَنَتْ يَدَايَ بِطُولِ الْأَمِيرِ <sup>(٣)</sup> فَاسْتَعْفَيْتُهُ  
مِنْهَا ، فَقَالَ لِي : « نَشَدْتُكَ اللَّهَ أَنْ قَطَعْتَ سَبِيلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ! » ، وَتَدَمَّعَ الطَّالِبِيَّ <sup>(٤)</sup> ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ

(١) هجم الدار : دخلها بغتة بغير إذن

(٢) أُمْلِقُ الرَّجُلُ فَهُوَ مُمْلِقٌ : نَفَذَ مَالَهُ فَهُوَ فَقِيرٌ

(٣) أَمْتَنَتْ يَدَهُ بِكَذَا : أَتَصَلَّتْ . وَالطُّولُ : الْفَضْلُ وَالْإِحْسَانُ

(٤) تَدَمَّعَ : أَيُ سَالَتْ دَمْعَتَهُ وَبَكَى ، وَلَمْ يَوْجِدْ فِي اللُّغَةِ ، وَلَكِنَّهُ

كَثِيرٌ فِي كُتُبِ عَصْرِ ابْنِ طُولُونٍ

طولون : « يرحمُ الله يوسف بن إبراهيم ! » . ثم قال لنا : « انصرفوا إلى منازلكم ، لا بأس عليكم » .

فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا ، وحضرنا العلوىُّ وقد أحسن مكافأة والدنا في مُخالفته



٢٧ - وحدثني موسى بن مصلح ، قال :

موسى بن  
مصلح ورجال  
من التجار

أنفذ إلى حسن بن مهاجر - كاتب أحمد بن طولون - عشرة رجال

من التجار ، وقال : « آتَيْتُكُمْ بِمُعْزِلٍ عَنِ الْمَسْجُورِينَ ، حتى أَعْرِضَهُمْ

فِي عَدٍ عَلَى الْأَمِيرِ » . فَتَسَلَّمْتُ مِنْهُ قَوْمًا تَشْهَدُ لَهُمُ الْقُلُوبُ بِالْفَضْلِ ،

فَأَنْتَسْتُ وَحَشَشْتُهُمْ ، وَفَسَّحْتُ رِجَاءَهُمْ . فَقَالُوا لِي : « قَدْ شَكَرْنَا جَمِيلَ

صَدِيقِكَ ، وَلَنَا إِلَيْكَ حَاجَةٌ » ، قُلْتُ : « مَا هِيَ ؟ » ، قَالُوا : « فِينَا

فَتًى يَضْعُفُ قَلْبُهُ عَنْ لِقَاءِ الْأَمِيرِ ، فَتَقَبَّلْ مِنَّا بَدَلًا بِهِ ، وَلَكَ عَلَيْنَا

مِائَةُ دِينَارٍ » ، قُلْتُ : « أَنَا أَفْعَلُ ، إِنْ وَجَدْتُمْ مِنْ يُجِيبُ إِلَى هَذَا ! » .

- وَكَانَ عِنْدِي أَنَّهُ كَالْمُتَمَتِّعِ - : فَأَخَذْتُ شَيْخَ مِنْهُمْ رُقْعَةً وَكُتِبَ فِيهَا إِلَى

رَجُلٍ كَانَ قَدْ أَوْلَاهُ عَارِفَةً ، فَسَأَلَهُ ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ الرَّجُلُ : « إِنِّي

يَاثِرٌ رُقْعَتِي » .

قال موسى : « فَتَوَهَّمْتُ أَنْ هَذَا قَوْلُ لَأِثْمَرَةٍ لَهُ ، فَلَمْ أَشْعُرْ بِهِ حَتَّى

وَأَقَى فَقَالَ : « مَا أَخْرَنِي عَنْكَ إِلَّا أَنِّي جَدَّدْتُ وَصِيَّةً ، وَأَحْكَمْتُ

مَا خِفْتُ أَنْ يَقْطَعَنِي عَنْهُ مَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ » ، وَقَالَ : « لَسْتُ أَجِيبُكَ

إِلَى مَا التَّمَسْتُ ، حَتَّى تَكُونَ الْمَسَائَةُ الدِّينَارُ مِنْ عِنْدِي دُونَ جَمَاعَتِكُمْ » ،

وأخرجها من كُفِّهِ ودفعها إلى ، وصرفتُ الرجل . وأقامَ هذا مكانه ، فلم أبتين منه غمًّا بهذا ولا قلقًا له . وظلُّوا ليلتهم يتحدثون ويتناشدون ، والسلامةُ غالبَةٌ على خواطرم ، حتى أصبحوا . وأخرجهم حسن بن مُهاجر فعرضهم على أحمد بن طولون ، فتبينَ تحامُّله عليهم ، فأمره بترك التعرُّض لهم . فأنصرفوا . وكانت أُلطافهم تَرِدُ عَلَيَّ حتى فَقَدْتهم ،<sup>(١)</sup>

\*\*\*

٢٨ - وحدثني أحمد بن أيمن كاتبُ أحمد بن طولون ، قال :  
« دخلتُ بالبصرة إلى تاجر ذَهَبَ عَنِّي اسمُهُ ، فرأيتُ بين يديه ابنين له في نهاية من النظافة ، فلما رآني أَقْبِلَ بنظرى إليهما ، قال لى :  
« أَحِبَّ أَنْ تُعَوِّذَهُمَا »<sup>(٢)</sup> ، ففعلتُ ، وقلتُ له : « استجذتِ الأُمُّ خَسَنَ نَسْلِكَ ! » ، فقال : « ما بالبصرة أَقْبَحُ من أُهْمَا ، ولا أَحَبُّ إلى مِنها . ولها معي خبر عجيب » ، فسألته أَنْ يُحَدِّثَنِي ، فقال :

« كنتُ أنزل الأَبْلَةَ وَأَنَا مُتَعَشِّشٌ »<sup>(٣)</sup> ، فحملتُ منها تجارةً إلى البصرة فربحتُ ، وحمَلْتُ من البصرة إلى الأَبْلَةِ فربحتُ ولم أزلُ أحمل من هذه إلى هذه فأربح ولا أخسر ، حتى كُتِرَ مَالِي ، وتَعَالَمَ الناس إقبالي ، وآثَرَتِ السُّكْنَى بالبصرة ، وعلمتُ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِي

تاجر  
وزوجته

- 
- (١) الأُلطاف : جمع لطف ، وهى الهدية والتحفة  
(٢) عَوَّذَهُ من العين والحسد ، قال : « أَعِيذُكَ بِاللَّهِ وَأَسْمَاءَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَرٍّ وَكُلِّ دَاءٍ وَحَاسِدٍ وَعَيْنٍ »  
(٣) المتعشيش : الذى يتكلف أسباب المعيشة بالقليل من العمل والتجارة

المقام بها بغير زوجة ، ولم يكن بها أجلٌ قدراً من جدِّ هذين الغلامين . وكانت له بنت قد عَصَلَهَا ، <sup>(١)</sup> وتعرَّض لعداوة خُطَّابِهَا . فخذنتى نفسى بلقائه فيها ، فحُتته على حُلوة ، وقلت له : « يا عم ! أنا فلان بن فلان التاجر » ، فقال : « ما خفى عني محلك ومحل أهلك ! » ، فقلت : « قد جئتكَ خاطباً لا بنتك » ، فقال : « والله ما بي عنك رغبة ، ولقد خطبتها إلى جماعة من وجوه البصرة وما أجبتهم ، وإلى لكاره من إخراجها عن حصنى إلى من يُقوِّمها تقويم العبيد » ، <sup>(٢)</sup> فقلت : « قد رفعها الله عن هذا الموضع ، وأنا أسألك أن تُدخلنى في عَدَدِكَ ، وتخلِطَنى بِشَمْلِكَ » ، فقال : « ولا بُدَّ من هذا ! » ، قلت : « لا بُدَّ ، وهو زائدٌ في فضلك على ، واصطناعك ليَّاي » ، فقال : « اغدُ على بِرجالك »

فانصرف عنه إلى ملاٍّ من التجار ذوى أخطارٍ ، <sup>(٣)</sup> فسألهم الحضور معى في غدٍ ، فقالوا : « إِنَّكَ لَتُحَرِّكُنَا إِلَى سَعْيِ ضَائِعٍ » ، قلت : « لا بُدَّ من ركوبكم معى » . فركبوا على رِقَّةٍ من أنه يرُدُّهم ، وغدونا عليه فأحسنَ الإجابةَ وزوجنى ، وأطعمَ القومَ وأحرَّهم ، وانصرفوا

ثم قال لى : « إن شئتَ أن تَبَيِّتَ بأهلك فافعل ، فليس لها

(١) عضل المرأة : حبسها ومنعها الزوج

(٢) قوم السلعة والعبد : قدر قيمتهما فى الشراء والبيع

(٣) الملا : الرؤساء وأشراف القوم ووجوههم . والاختار : جمع

خطر ، وهو القدر والمنزلة الرفيعة

ما يحتاج إلى التألم عليه<sup>(١)</sup> ، فقلت : « هذا ياسيدي ما أحبه » . فلم يزل يحدثني بكل حسن حتى كانت المغرب ، فصلاها بي ، ثم سبّح وسبّحت ، ودعا ودعوت ، إلى أن كانت العتمة فصلاها<sup>(٢)</sup> بي ، وأخذ بيدي . فأدخلني إلى دار قد فُرِشت بأحسن قَرَشَةٍ ، بها خدَم وجوّار في نهاية من النظافة ، فما استقرّ بي الجُلوس حتى نهَض ، وقال : « أستودعك الله ، وقدم الله لكما الحيرة ، وأحرز التوفيق » . واكتشفني عجائز من شمله ، فجُلُون ابنته علي<sup>(٣)</sup> . فما تأملت طائلا وأرأحت الستور علينا ، فقالت : « ياسيدي ! إني سرُّ من أسرار والدي ، كتمه عن سائر الناس وأفضى به إليك ، وراك أملا لسرته عليه ، فلا تُخفِر ظنّه فيه . ولو كان الذي يُطلَب من الزوجة حُسن صورتها دون حسن تدبيرها وعفافها ، لعظمت مخنّتي . وأرجو أن يكون معي منهما أكثر بما قصر بي في حُسن الصورة ، ثم وثبت فجاءت بمال في كيس ، فقالت : « يا سيدي ! قد أحلّ الله لك معي ثلاث حرائر وما آثرته من الإماء<sup>(٤)</sup> ، وقد سوّغتك تزوّج الثلاث وابتاع الجوارى من مال هذا الكيس ، فقد أوقفته

(١) تلوم على الشيء : انتظر وتلبّث

(٢) العتمة : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق ، وهو وقت صلاة العشاء . وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تسمية صلاة العشاء « العتمة » ،  
(٣) جلا العروس على بعلها يحلوها : زينها وصقلها وأدخلها عليه ، وذلك « جلوة العروس » ،

(٤) الحرائر : جمع حرة ، وهي المرأة التي لم يجر عليها الرق ، فتكون أمة ، وهي المملوكة ، وجمعها إماء

على شهواتك ، ولست أطلب منك إلا سترى فقط ،

فقال لى أحمد : خلف لى التاجر : « إنها ملكت قلبى ملكاً لم  
تصل إليه حسنة بحسنها ، فقلت لها : جزاء ما قدمته ما تسمعه <sup>(١)</sup>  
هنى : « والله لا أصبت من غيرك أبداً ، ولا جعلتك حظى من دنياى  
فيما يؤثره الرجل من المرأة ، وكانت أشفق النساء ، وأضبطهم ،  
وأحسنهم تدبيراً فيما تتولاه بمنزلى ، فتبينت وقوع الخيرة فى ذلك  
ولحقنى السن ، <sup>(٢)</sup> فصارت حاجتى إلى الصواب أكثر منها إلى  
الجماع . وشكر الله لى ما تلقيت به جميل قولها ، وحسن فعلها ، فرزقنى  
منها هذين الابن الراعين لك ، ونحن منقطعون إلى جوده فينا ،  
وإحسانه إلينا »

\*\*\*

هرثمة بن أعين  
والرشيد

٢٩ - حدثنى أحمد بن أبى يعقوب قال :

« أنكر المهدى على هرثمة بن أعين تحككه بمعن بن زائدة ، وأمر  
بتفنيه إلى المغرب الأقصى ، فكلّمه الرشيد فيه ، وأستل سخيمته  
عليه <sup>(٣)</sup> . ومات معن ، وزادت حال هرثمة ، وشكر للرشيد ما كان  
منه ، وأفضت الخلافة إلى موسى الهادى ، فتمكّن منه هرثمة .

(١) هذا حكاية قول التاجر ولذلك لم يبدل ما فيه من اللحن والخطأ ،  
وسيمر كثير من ذلك فى الكتاب

(٢) لحقته السن : أدركه الكبر فى السن العالية

(٣) السخيمة : الغضب والموجدة فى النفس . واستلها وسلاها :

أخرجها بتأن ورفق

وحدثت الهادي نفسه بخلع الرشيد، وجمع الناس على تقليد أبنه  
 العهد بعده، وعلم بهذا هرثمة، وتذكر عارفة الرشيد، فتمارض  
 وجمع الهادي الناس ودعاهم إلى خلع الرشيد ونصب أبنه مكانه،  
 فأجابوه وحافوا له. وأحصر هرثمة، فقال له: «تبايع يا هرثمة؟»  
 فقال: «يا أمير المؤمنين! يميني مشغولة ببيعتك، ويساري مشغولة ببيعة  
 أخيك! فباي بد أبايع؟ والله يا أمير المؤمنين لا أكذت في الرقاب  
 من بيعة أبنيك، أكثر مما أكده أبوك لأخيك في بيعته، ومن  
 حيث في الأولى حيث في الأخرى<sup>(١)</sup>. ولولا تأول هذه الجماعة  
 بأنها مكروهة، وإسراؤها فيك خلاف ما أظهرت، لأمسكت  
 عن هذا». فقال لجماعة من حضر: «شاهت وجوهكم! والله لقد  
 صدقني مولاي وكذبتموني، ونصحتني وغششتموني»  
 وسلم إلى الرشيد ما قدره الهادي فيه،

\*\*\*

٣٠ - وسمعت يوسف بن إبراهيم والدي يقول :  
 «لم يتمكن أحد من أحد تمكن أبي يوسف القاضي من  
 الرشيد . ولقد سألت إبراهيم بن المهدي عن السبب في ذلك ، فقال :  
 «كان يستحق هذا منه لما حدثني به مسرور الكبير ، قال :  
 «كنت في خدمة المهدي ، وكان الرشيد حفيبا بي<sup>(٢)</sup> ، محسنا  
 إلي ، فلما انتقل أمر الخلافة إلى الهادي ، قال لي الرشيد : «إن

(١) حدث في اليمين : نقضها بعد توكيدها

(٢) يقال : هوحنى به ، أى : مبالغ في الكرامة والبر



أخى قوى الشراسة ، وأنا أخاف إيقاعه بى وجمع الناس على بيعة  
 آبه بعده . وأنا على غاية من الثقة بك ، فأعدل إليه وكن لى عينا  
 عليه <sup>(١)</sup> . فتقدمت عند الهادى حتى توليت ستر بيت خلوته .  
 وكان المهدي قد قرن أبى يوسف بالهادى فتمكن منه ، وقيل  
 فى مهماته مشورته ، فلما خلا بقلبه شاوره فى ذلك ، فقال :  
 « يا أمير المؤمنين ! لا تحمل نفسك على قطيعة رحلك ، وأولياءك  
 على الخنز بأيمانهم ، وأستدع من الله زياذته بما يرضيه عنك ،  
 فتوقف بعض التوقف . وسعى إليه بالرشيد ، وقيل له : « إنه [عامل] »  
 على أن يفتاك . فدعا أبى يوسف وأخبره بما تأدى إليه ، فقال :  
 « يا أمير المؤمنين ! لا تسمع هذا ، وأنا الضامن لك حسن طاعته  
 ووكيد موالاته . فكنت أنهى جميع ذلك إلى الرشيد فيستد  
 مسروره به ، ويرغب إلى الله فى معاونته على مكافأته

فلما أنضت الخلافة إليه ، دعا به وقال له : « يا يعقوب الوجيه  
 لى إدخالك فى نسبي ، ومشاركتك فى الخلافة المفضية إلى ،  
 لكنت حقيقا به ! ألسنت القاتل لأخى وقت كذا : كذا ؟ وفى وقت  
 كذا : كذا ؟ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! من أنباك بهذا ؟ فوالله  
 ما كان معنا ثالث ! » . فضحك الرشيد وقال : « مسرور كان يتولى  
 ستر بيت خلوته ، وكان ينهى إلى جميع ماصدر عنه ،

قال مسرور : « فوالله ما برحت بى عناية أبى يوسف حتى

بَلَغْتُ مع الرشيدِ هذا المبلغ ! »

\*\*\*

أبو يوسف  
وبذل

٣١ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْقَفَّيِّ ، أَنَّ ابْنَ الثَّلَاجِيِّ حَدَّثَهُ ، أَنَّ بَشْرًا الْمُرَيْسِيَّ - وَكَانَ مَتَزَهَّدًا - قَالَ :

« مَا أَشْتَهَيْتُ مِنْ مَرَاتِبِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَرْتَبَةً رَأَيْتُ أَبَا يَوْسُفَ بَلَغَهَا فِي عَشِيَةِ مِنَ الْعَشَايَا . كُنْتُ أَجِزْتُ بِهِ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : « تُقِيمُ عِنْدِي الْعَشِيَةَ لِنَتَازُلَ فِي طَائِفَةِ مِنَ الْعِلْمِ ؟ » . فَأَتَيْتُ لَجَالِسٍ عِنْدَهُ - وَقَدْ أَبْتَدَأَ فِيهَا أَثَرُنَاهُ - حَتَّى وَافَى إِلَيْهِ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ ، فَقَالَ لِي : « انتظرني » ، وَمَضَى . فغَاب عَنِّي مَقْدَارَ سَاعَتَيْنِ ، وَرَجَعُ ، وَخَلْفَهُ غُلَامَانِ يَحْمِلُونَ مَالًا ، فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْصَرَفُوا فَقَالَ : « دُفِعَتْ اللَّيْلَةُ إِلَى عَجَائِبِ ! » ، قُلْتُ : « مَا هِيَ ؟ » ، قَالَ : « دَخَلْتُ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَنِي بَنِي رَسُولِهِ إِلَى سِتْرِ مُسَبِّلٍ عَلَى بَابٍ <sup>(١)</sup> ، مَسْرُورٌ الْكَبِيرُ يُمَسِّكُهُ ، فَقَالَ لِي : « سَلِّمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! » ، فَسَلَّمْتُ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ [السَّلَام] يَا يَعْقُوبُ ! أَدْخُلْ وَحَدِّثْ » ، فَرَفَعَ السِّتْرَ حَتَّى دَخَلْتُ ، فَأَلْفَيْتُ عِنْدَهُ مُحَمَّدَ ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ - مَوْلَى الْجَارِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِبِذْلِ - وَوَجْهُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَحُولٌ عَنْ صَاحِبِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ سَيْفٌ مُشْهُورٌ

فَقَالَ لِي : « يَا يَعْقُوبُ ! هَذَا الرَّجُلُ يُدِيرُنِي مِذَّ الظُّهْرِ عَلَى قَتْلِهِ ! » ،

فقال له : « ترضى به حكماً بيننا ؟ » ، قال : « نعم ! » ، قال : « ألقى هذا السيف من يديك ، وأَرْضْ بالحقِّ لكَّ وعليك » . وأستدارا جميعاً حتى جلسا مجلسَ الخصوم بين يديَّ

ثم قال الرجل : « سألتني أمير المؤمنين أن أبيعَه جاريةً علىَّ فيها أيمانٌ محرَّجة لا كفَّارة لها ، ألا أبيعها ولا أهبها » ، قال فقلت له : « قد سمع بها لأمير المؤمنين إن أخرجتُك من يمينك ؟ » ، قال : « إني والله ! وإنَّ ذلك لسهلٌ علىَّ » ، فقلت : « هبْ لي نصفها ، وبعهْ نصفها » . فقال : « قد أجبْتُ ، وجعلتُ ثمنَ النصف هديةً لك » . وتعاثفا جميعاً ، وأنصرفتُ إليك ، ولحقني هذا المال » . فوجدنا المال المحمولَ خمسة وعشرين ألفاً ، فقلت في نفسي : « أخني نفساً ، وأصلح بين خليفةٍ وأبنِ نعمة في مقدارِ ساعتين من النهار ! »

قال بشر : « فوالله ما فرَغنا من صلاةِ المغرب حتى أتَدْرنا الغلبان يحملون مالا وبزاً وطيباً <sup>(١)</sup> ، ومعهم جارية حَصيفةٌ <sup>(٢)</sup> » ، فقالت : « تقرأ عليك السلام سيدي وتقول لك : « أجازني سيدي أمير المؤمنين بما حملته إليك ، فجعلته ثواب الفُتيا التي كانت سببَ وصولي إليه »

فكان المال منه خمسة وعشرين ألفاً ،



(١) البز : الثياب

(٢) حَصيفة : جيدة الرأي محكمة العقل

بَلَّغْتُ مع الرشيد هذا المبلغ ! »

\*\*\*

أبو يوسف  
وبذل

٣١ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْقَقِّيَّةُ ، أَنَّ ابْنَ الثَّلَاجِيِّ حَدَّثَهُ ، أَنَّ بَشْرًا الْمُرَيْسِيَّ - وَكَانَ مَتَزَهَّدًا - قَالَ :

« مَا أَشْتَهَيْتُ مِنْ مَرَاتِبِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَرْتَبَةً رَأَيْتُ أَبَا يَوْسُفَ بَلَغَهَا فِي عَشِيَةِ مِنَ الْعَشَايَا . كُنْتُ آجِزْتُ بِهِ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : « تُقِيمُ عِنْدِي الْعَشِيَّةَ لِنَتَازُلَ فِي طَائِفَةِ مِنَ الْعِلْمِ ؟ » . فَأَنَّى لَجَأْتُ عَنْده - وَقَدْ أَبْتَدَأُ فِيهَا أَثَرَنَا - حَتَّى وَافَى إِلَيْهِ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ ، فَقَالَ لِي : « انتظرني » ، وَمَضَى . فَذَابَ عَنِّي مَقْدَارُ سَاعَتَيْنِ ، وَرَجَعُ ، وَخَلَفَهُ غُلَامَانِ يَحْمِلُونَ مَالًا ، فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَانْصَرَفُوا فَقَالَ : « دُفِعْتُ اللَّيْلَةَ إِلَى عَجَائِبِ ! » ، قُلْتُ : « مَا هِيَ ؟ » ، قَالَ : « دَخَلْتُ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَنِي بِنِيسْوَانِهِ إِلَى سِتْرِ مُسَبِّلٍ عَلَى بَابٍ <sup>(١)</sup> ، مَسْرُورٍ الْكَبِيرِ يُمَسِّكُهُ ، فَقَالَ لِي : « سَلِّمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! » ، فَسَلَّمْتُ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ [السلام] يَا يَعْقُوبُ ! ادْخُلْ وَحَدِّثْ » ، فَرَفَعَ السِّتْرَ حَتَّى دَخَلْتُ ، فَأَلْفَيْتُ عَنْده مُحَمَّدَ ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ - هُوَ الْجَارِيَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِبَذَلٍ - وَوَجْهُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَحْمُولٌ عَنْ صَاحِبِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ سَيْفٌ مشهور

فَقَالَ لِي : « يَا يَعْقُوبُ ! هَذَا الرَّجُلُ يُدِيرُنِي مِنْ الظُّهْرِ عَلَى قَتْلِهِ ! » ،

فقال له : « ترضى به حكماً بيننا ؟ » ، قال : « نعم ! » ، قال : « أُنقِ هذا السيف من يديك ، وَاَرْضَ بِالْحَقِّ لَكَ وَعَالِيكَ . وَاسْتَدَارَا جَمِيعاً حَتَّى جَلَسَا مَجْلِسَ الْخُصُومِ بَيْنَ يَدَيَّ

ثم قال الرجل : « سألني أمير المؤمنين أن أبيعَه جاريةً علىَ فيمها أيمانٌ مُحرَّجَةٌ لا كُفَّارَةَ لها ، ألا أبيعُها ولا أهبُها » ، قال فقالت له : « قد سمع بها لأمير المؤمنين إن أخرجتُك من يمينك ؟ » ، قال : « إني والله ! وإنَّ ذلك لسهلٌ عليَّ » ، فقالت : « هَبْ لي نصفها ، وبعه نصفها » . فقال : « قد أجبْتُ ، وجعلتُ ثمنَ النصف هديةً لك » . وتعاثقا جميعاً ، وأنصرفتُ إليك ، ولحقني هذا المال » . فوجدنا المالَ المحمولَ خمسة وعشرين ألفاً ، فقالت في نفسها : « أحبي نفساً ، وأصلحَ بين خليفةٍ وأبنِ عمِّه في مقدارِ ساعتين من النهار ! »

قال بشر : « فوالله ما فرغنا من صلاةِ المغرب حتى أبتدَرنا الغلمانَ يحملون مالا وبزاً وطيباً <sup>(١)</sup> ، ومعهم جاريةٌ حَصِيْفَةٌ <sup>(٢)</sup> ، فقالت : « تقرأ عليك السلام سيدي وتقول لك : « أجازني سيدي أمير المؤمنين بما حملته إليك ، فجعلته ثوابَ الفُتَيَّا التي كانت سببَ وصولي إليه »

فكان المال منه خمسة وعشرين ألفاً



(١) البز : الثياب

(٢) حَصِيْفَةٌ : جيدة الرأي محكمة العقل

رجل من  
صنائع  
الأمويين  
والمنصور

٣٢ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال : حدثني أبي أبو يعقوب ،  
عن جدّي واضح مولى المنصور ، قال :

« كنتُ بين يدي المنصور ، وقد أحضر رجلاً كان من رجال  
هشام بن عبد الملك ، وهو يُسألُه عن سيرة هشام لأنها كانت تُعجب  
المنصور . فكان الرجل يترحم عند كل جارية من ذكره ، فأحفظ ذلك  
جماعتنا <sup>(١)</sup> ، فقال له الربيع : « كم تترحم على عدو أمير المؤمنين ؟ » ،  
فقال الرجل للربيع : « مجلس أمير المؤمنين - أيده الله - أحقُّ  
المجالس بشكر المحسن ، ومجازاة المجمل ، وهشام في عُنق قلادة  
لا يُنزعها إلا غاسلي » ، فقال له المنصور : « وما هذه القلادة ؟ » ،  
قال : « قلدي في حياتي <sup>(٢)</sup> ، وأغتنى عن غيره بعد وفاته ! » ، فقال له  
المنصور : « أحسنت بارك الله عليك ! وبحسن المكافأة تستحق  
الصنائع » ، وتركوا العوارف <sup>(٣)</sup> ، ثم أدخله في خاصته ،

\*\*\*

بعض أقوال  
الفلاسفة  
في حسن  
المكافأة

وقد مثل بعضُ الفلاسفة لحسن المكافأة ، بالحسام الصقيل  
الذي يُحدث له وقوع الشمس عليه : أتبعث شعاع منه يجلو غيابه

(١) أحفظه : أغضبه

(٢) قلدي : يريد قلده عملاً من أعمال السلطان

(٣) استحث الصنائع : جعلها سريعة متتابعة متصلة ، والصنعة :

الجميل والإحسان ، والعوارف : جمع ، عارفة ، وهي المعروف . زكا  
المعروف يزكو : نما وازداد

الامكنة المظلمة ، ويكون وفور شعاعه على حسب صقاله  
وقال أفلاطون : « من حُسن مكافأته ، لم تُغضبه خيبته فيما  
أتمسه ؛ لأنه يُقيم العوارف مقام دُيونٍ يتحملها لا يسعه إغفال  
قضائها . وإنما يغضب من المنع : مَنْ آثرَ تحصيل العارِفة وإغفال  
المكافأةِ عليها »

\*\*\*

ولأنَّ المرغوبَ إليه إذا كان يحتاج إلى مُطالعة حُسنِ المكافأة  
للإحسان فيثابر عليه ، وسوء المكافأة على الإساءة فيتأخر عنه ، كان  
الراغب محتاجاً إلى أن يكونَ في خَلده من أخبار من أساء الصنيع  
فساءت مكافأته ، ما يوازي ما أثبتاه من حُسن المكافأة للإحسان

\*\*\*\*\*

خاتمة المؤلف  
لهذا الباب

## ٢ - المكافأة على القبيح

ملك الهياطلة  
وفيروز

٣٣ - حدثني أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، عن أبيه ، عن جده مولى عبد الله بن المقفع - أن عبد الله حدثه ، قال

« كان فيما ترجمته من سِيرِ الفرس : أن فيروزاً لما تقلد مملكة فارس حدثته نفسه باجتياز بلد الهياطلة . وكان به للهياطلة ملك صحيح الرأي حسن الجوار ، فجمع ذوى الرأي في بلده وسألهم عما يرون ، فعرضوا عليه أموالهم والخروج معه ، فجزأهم خيراً وأنصرفوا . وخلا به وزيره - وكان عالي السن <sup>(١)</sup> - فقال له : « أيها الملك إن يسير الحيلة ربما بلغ أوفى منازل المكافأة والذي عندي من الرأي أن تظهر الشُّخْطَ على قِطْطِ يدي ورجلي ، وتنفيني إلى أقاصي عمَلِك ، وتكتب إلي عاملك هناك في حبسى ، وتظهر أنك تبيدنى منى ميلاً إلى فيروز » ، فقال له : « إن حسن الحيلة إنما يقع بغير إضرار يلحق صاحبها ، وإذا بلغنا بك هذا ، فقد جاوزنا بك ما تخافه من فيروز لو حصلت في يده »

فقال : « أنا مُذْ تَكَمَل تمييزي أحسب ما لي وعلي ، فإذا وُهِبَتْ لي نعمة علمت أن علي فيها منحة ، وأن الرغائب بالنوائب <sup>(٢)</sup> . وقد

(١) عالي السن : كبيراً مسناً

(٢) الرغبة : الشيء العظيم المرغوب فيه



عشتُ في سلطانك - أيها الملك - في هذه السن العالية ، عزيزَ الجانب ، خصيبَ الأفنية ، وشَملي في نهاية من رفاغة العيش .<sup>(١)</sup> وليس من الجليل أن أُمسك عن قضاء حق النعمة على لسلطاني وشَملي وأهلي وولدي ، وصيانتهم ، مما عَراهم بنفسى<sup>(٢)</sup> . وأعلم أنني لو خدمتُ السلامةَ أنفسي ، لمات ذِكرى بموتى ، ولم أبق شرفاً لأهلى ! ولعلَّ أجلى قريب ، فأفوز بحسن الذكر فيما أتيتُه وقضيتُ به حقَّ سِوالف الإناعام على ، والإحسان إلى . وإِنما آعتمدتُ هذا الأمرَ الفظيخَ لأعدلَ بفكر فيروز عن الحيلة ، وأضطرُّه إلى السكون إلى »

« فلما رأى أنه لا يرجع عما أشار به عليه ، دعا به وقطع يديه ورجليه ، ونفاه إلى آخر مسالحه<sup>(٣)</sup> ، فكان محبوساً هناك

« ووجد فيروز في سفره ، فوافى الموضع الذى فيه الوزير ، فوجده خالياً من كان فيه ، ولم ير به غير رجلٍ مقطوعِ اليدين والرجلين ، فسأله عن حاله فقال : « كنت وزيراً لهذا الخائن فاستشارنى ، فأشرتُ عليه أن لا يباهضك ، وأن يسألك إقراره في البلد ، وحملَ خراجَه

(١) رفاغة العيش : سَعته وخصبه

(٢) عراه الأمر الشديد : أصابه وغشيه

(٣) المسالخ : جمع مسلحة ، وهو الموضع المخوف يكون فيه جماعة بسلاحهم يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة ، فإذا رأوه أعلبوا أصحابهم ليتأهبوا له

إليك . فاستشاط ، وسوّلت له نفسه مُناوأتك ، وقد جمع جيشاً له كبير  
العَدَد قوى النّسكاية ، وقدّر أن يلقاك في هذه الطريق . وعندى حيلة  
أجازيه بها على سوءِ صنيعه »

« واستجلى فيروزُ الوزير<sup>(١)</sup> فقال له : « إن عدّلتَ عن هذه  
الطريق وتجنّست قطعَ بريةٍ يُقيم السائرُ فيها يومين ، تحتاج إلى حمل  
الماء إلى مسيرة يوم منها ، ثم تُفَضّي إلى مياهٍ متدفّقة . فإذا قطعَها  
وصلت إلى بلد الهَياطلة ، وهو وجمعه في الطريق الذى آثرت سلوكها ،  
فتدخل البلدَ بغير حربٍ »

« فخلته الاستنامةُ إليه - لما رآه به - على تصديقه<sup>(٢)</sup> ، ولحج  
في البريةِ بجميع جيشه<sup>(٣)</sup> ، - وقد كان واطاً [الوزيرُ] الملكَ على  
تكمين جمعٍ له آخر في البرية<sup>(٤)</sup> ، - فسار يومه وبعضَ غده في قفرٍ  
لا يوجد به ماء ولا تَبْتٌ ، فتساقطت الدوابُّ من العطش ، وأفترق  
الجيش لطأب الخلاص ، وخرّج عليه منسراً جيش الهياطلة  
فأمروا عليهم<sup>(٥)</sup> ، وأخذوا فيروزاً أسيراً - فنّ عليه ملكُ الهياطلة

(١) فى الاصل : « واستخلى فيروز الملك ، . واستجلى صاحبه  
الامر : طلب أن يحلوه له ويكشفه

(٢) استنام إليه : اطمأن وسكن ، حتى كأنه فى نوم وغفلة

(٣) لحج فى البرية : مال إليها ، ودخل فيها

(٤) واطأه على الامر : وافقه عليه اتفاقاً . كن الجمع تكميناً : جعله  
كميناً مختفياً فى مكان لا يقطن له العدو

(٥) المنسر : جماعة الخيل مابين المائة إلى المائتين تنقض على العدو .  
أمروا عليهم : كثروا عليهم فغلبوهم

بِالْمَسَاكِ عَنْ قَتْلِهِ <sup>(١)</sup> ، وَجَمَعَ وَجُوهَ بَلَدِهِ وَأَضَافَ إِلَيْهِمْ وَجُوهًا  
مِنْ عَسْكَرِ فِيرُوزَ ، وَاسْتَحْلَفَ فِيرُوزًا بِحَضْرَتِهِمْ أَنَّهُ لَا يَجَاوِزُ حَجَرًا  
جَعَلَهُ فُضْلًا مَشْتَرَكًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ . وَأَثْبَتَ الْمَفَارِقَةَ فِي صَحِيفَةٍ بِخَطِّ  
فِيرُوزَ <sup>(٢)</sup> ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةَ ، وَأَطْلَقَهُ عَلَى غَايَةِ مِنَ التَّنْجِيلِ  
وَالْإِكْرَامِ

« فَدَخَلَ فِيرُوزًا خَجَلَةً مِنْ رُجُوعِهِ إِلَى مَمْلَكَتِهِ بَعْدَ اسْرِي مَلِكِ الْهِيَاطِلَةِ  
لَهُ وَتَعْفِيرِهِ بِهِ <sup>(٣)</sup> ، وَحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِمَعَاوِدَةِ قِتَالِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ . وَسَوَّلَتْ لَهُ  
نَفْسُهُ أَنَّهُ إِنْ حَمَلَ الْحَبْرَ حَتَّى يَدْخُلَ بِهِ بَلَدَ الْهِيَاطِلَةِ لَمْ يَخْشَفْ فِي يَمِينِهِ ،  
فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَارَ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ . وَخَرَجَ إِلَيْهِ مَلِكُ الْهِيَاطِلَةِ ، فَالْتَقِيَا  
فِي مُنْتَصَفِ طَرِيقَيْهِمَا

« فَلَمَّا تَرَا آيَ الْجَمْعَانِ ، أَنْفَرَدَ مَلِكُ الْهِيَاطِلَةِ عَنْ جَمْعِهِ ، وَسَأَلَ  
فِيرُوزًا مُوَازَاتِهِ لِيَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا . فَبَرَزَ فِيرُوزَ . فَقَالَ لَهُ : « أَنَا وَإِيَّاكَ  
فِي قَبْضَةٍ مِنْ خَشْيَتِكَ فِي الْيَمِينِ بِهِ ، وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يَشْكُرُ لِلْحَسَنِ  
إِحْسَانِهِ ، وَيُعَاقِبُ الْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ . وَقَدْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنْتُ إِلَيْكَ ،  
وَأَنَا أَخَوْفُكَ اللَّهُ وَأَحْذَرُكَ سَطْوَاتِهِ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ حَيَاةَكَ بِمَا جَرَى عَلَيْكَ  
هُوَ الَّذِي رَدَّكَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اسْتِحْيَاؤُكَ مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ أَشَدَّ مِنْ

(١) مَنْ عَلَى الْأَسِيرِ : أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِطْلَاقِهِ بَعْدَ الظُّفْرِ بِهِ

(٢) الْمَفَارِقَةُ : الْعَهْدُ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتْفَاقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يَفْتَرِقَانِ

عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَتَعْفِيرِهِ بِهِ » ، وَهِيَ مُحَرَّفَةٌ . عَفَرَهُ وَغَفَرَ بِهِ :

أَلْصَقَهُ بِالْعَفْرِ وَهُوَ التُّرَابُ ، يُرِيدُ : أَذَلَّهُ وَحَقَرَهُ

استحيائك من خلقه . وليس يُخْرِجَكَ من يمينك حَمْلُ هذا الحجر بين يديك ، لأنَّ اليمين إنما تكون على نية المستحلف لا على نية المستحلف . فذِبرُ قولِي ، واعلم أن من سمعك من أصحابي على غاية من الثقة بالله في نصره ، ومن سمعك من أصحابك على ذُعر من أن تهلك بحَوْبِكَ <sup>(١)</sup> . فقال له : « لست أرجع عن قتالك »

« فأمر أن تُركَّبَ الصحيفة على أطول رمح في العسكر وتحمل عليه ، فهُزِمَ جيشُ فيروز ، وقُتِلَ فيروز في المعركة »

\*\*\*

٣٤ - وسمعتُ أبا جعفر محمد بن هُرْمَةَ يقول :

ابن الزيات  
والمتوكل

« كان محمد بن عبد الملك الزيات يسعى على المتوكل - في أيام الواثق - ويحرِّضه عليه ، فتغيَّرت عليه نيَّته ، حتى أدَّاه ذلك إلى حبسه عند محمد بن عبد الملك

» فسمعت المتوكل يقول - في اليوم الذي تقدَّم في إدخاله إلى الثَّنُور الحديد <sup>(٢)</sup> - : « لم يُمنَّ أحدٌ بمثل ما مُنيتُ به من ابن الزيات ! ضيقٌ على محبسي ، ومنَعْنِي مما اقتضَيْتُهِ عَادِي . وكنتُ قد رَئيتُ

(١) الحوب : الإثم العظيم

(٢) كان محمد بن عبد الملك الزيات الوزير قد اتخذ ثنوراً ( موقداً ) يعذب فيه من يعتمد عقوبتهم . فإذا بلغ بأحد العذاب وقال له : « ارحمني أيها الوزير » يقول له : « الرحمة خور في الطبيعة » ، فلما أدخله المتوكل في ثنوره ، استعاذ به وقال ما كان يقال له : « ارحمني يا أمير المؤمنين » ، فقال له : « الرحمة خور في الطبيعة »

وَفَرَّةٌ فَلَمْ يُطْلَقْ [لِى] تَنْظِيفُهَا <sup>(١)</sup>، فَكَثُرَتِ الدَّوَابُّ فِيهَا. وَتَأْدَى ذَلِكَ إِلَى وَالدَّتِى، فَكَتَبْتُ إِلَى الْوَائِقِ رُقْعَةً، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: «أَطَابُ الْجَعْفَرِ طَمَّ شَعْرِهِ» <sup>(٢)</sup>، وَتَنْظِيفُ قُوبِهِ وَتَطْيِيبُهُ!». فَأَنْصَرَفَ كَأَلْمِغِظٍ وَضَرْبِ الْمُوَكَّلِ بِنِى، وَقَالَ: «تَرَكْتُ تَحْيِيسَ جَعْفَرٍ شَارِعًا مِنْ الشَّوَارِعِ حَتَّى يَهْلُ شَكْوَى أُمِّهِ!». ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِى، فَخَرَجْتُ، فَوَجَدْتُ أَمَارَاتِ الْغَضَبِ فِي وَجْهِهِ، فَوَقَفْتُ سَاعَةً لَا يَرْفَعُ فِيهَا وَجْهَهُ إِلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «نَطْعٌ» <sup>(٣)</sup>، - فَأَوْهَمَنِي أَنَّ الْوَائِقِ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِى - فَبَسِطَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَوْمَى إِلَى الْغُلَامَانِ بِإِدْخَالِى فِيهِ، وَلَمْ أَشْكُ فِي الْقَتْلِ، ثُمَّ قَالَ: «الْحَجَّامُ» <sup>(٤)</sup>، فَقُلْتُ: «أَظَنَّهُ يَخَافُ أَضْرَاسِى قَبْلَ قَتْلِى»، وَأَنَا فِي سَائِرِ هَذَا قَائِمٌ. فَلَمَّا وَاقَى الْحَجَّامُ قَالَ: «أَحْلِقُ شَعْرَهُ»، فَأَجْلَسَنِى بِحَاقِ شَعْرِى. فَأَلَيْتُ عَلَى نَفْسِى أَنِّى لَا أَسْتَبْقِيهِ لَحْظَةً إِنْ ظَفِرْتُ بِالْخَلَاقَةِ. فَاتَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالنُّورِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ،



- 
- (١) الوفرة: شعر الرأس إذا بلغ إلى شحمة الاذن. أطلق له أن يفعل كذا: أذن له
- (٢) طمَّ شعره: جزَّه، أو عض منه ولم يأخذه كله
- (٣) النطع: فراش من جلد، وأكثر ما يوضع عند القتل ليكون فيه الدم لئلا يفسد البساط
- (٤) الحجَّام: هو الذى يخرج الدم الفاسد بالمحاجم التى تمصه، وكان الحجَّام فى زمانهم يتولى بعض الطب يخلع الاضراس وعلاجها وما إلى ذلك

٣٥ - وحدثنى نسيمٌ خادُمُ أحمد بن طولون، قال :

« صار إلى ابن سليمان بن ثابت - وكان ابنُ سليمان هذا يكتب  
لخادِمٍ يعرف بِشَقِيرٍ ، يتقلدُ الطَّراز من خِدمِ السلطان <sup>(١)</sup> ، ثم عمل  
سليمانُ بعد ذلك لأحمد بن طولون على أملاكه - ومعه رُقعةٌ ، فقال :  
« توصلها لي إلى الأمير ؟ » . فقرأتها ، فكان يذكر فيها أن شَقِيرًا أودع  
أباه أربع مائة ألف دينار . فلما قرأها الأمير قال : « انظر ما تقول  
وأصدُقني عنه ! » ، فقال : « الأمرُ والله على ما وصفته للأمير » ، فقال :  
أُمِسْك عن هذا ، وأطوِّح بِحَيِّكَ إلى عن أبيك وعن سائر الناس ،  
وانصرف مَكُوءًا <sup>(٢)</sup> .

فقال : « فكُنتُ تعجُّبي من إمساكه عن ذكر هذا لأبيه . فلم يمض  
حولٌ حتى مات سليمان بن ثابت ، فأظهر غمًّا به وتفجعاً عليه . ثم  
دعا بابنه الراحل للرقعة ، فردَّ إليه ما كان بيد أبيه من أملاكه ، وضمَّ  
إليه من الرجال مَنْ تَقَوَّى به يَدُهُ . وأقام به شهوراً ثم دعاه وأنا قائم  
بين يديه ، فقال له : « كيف حالك مع مُحَلِّفِي أبيك ؟ وهل أنكرت  
شيئاً منهم ؟ » ، فقال : « قد أعزَّ الله جانبي بالأمير ومَنَعَ مِنِّي » ، فقال  
له : « أحمل إلى الأربعمائة ألف التي عندكم لشَقِيرِ الخادِم » ، فَلَجَّجَ ،  
فردَّ أمره إلى أحمد بن إسماعيل بن عمار ، وأمره بِمُطالَبته بالسَّوط .

(١) الطراز : هو الموضع الذي تنسج فيه الثياب - معامل الثياب  
(٢) كَلَاه : حفظه وحرسه ، ومكُوءاً محفوفاً محروساً ، وترك  
الهمزة فصارت ( مكُوءاً )

فَضْرِبْهُ خَمْسِينَ سَوْطًا، وَأَصْطَفَى مَا كَانَ لَهُ <sup>(١)</sup>، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ مَا تَقَوُّلُهُ عَلَى أَبِيهِ. وَعَاوَدَ مَطَالِبَتَهُ، فَضْرِبْهُ مَرَّةً أُخْرَى فَمَاتَ. فَقَالَ لِي: «فَعَجِبْتُ مِنْ هَلَاكِهِ بِهَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ الضَّرْبِ. فَأُخْبِرْتُ أَنَّ هَذَا الْمَضْرُوبَ كَانَ يَسْتِزِيرُ الْفَوَاسِدَ مِنَ النِّسَاءِ فِي وَفُورِ حَالِهِ <sup>(٢)</sup>، فَوَارَتْهُ امْرَأَةٌ كَانَتْ رَيبِطَةً لِلْجَلَادِ بِالسَّوْطِ <sup>(٣)</sup>، وَعَلِمَ الْجَلَادُ بِذَلِكَ فَبَكَرَ إِلَيْهِ وَوَقَفَ لَهُ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ، أُنْكَبَّ عَلَى تَحْنِيذِهِ وَقَبْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا سَيِّدِي! قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ مَسَاءَتِي بِمَا بَسَطَهُ مِنَ الرِّزْقِ عَلَيْكَ. وَظَاهَرَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ لَدَيْكَ <sup>(٤)</sup>، وَكَانَتْ مُهْجَتِي عِنْدَكَ الْبَارِحَةَ. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَهَبَّيْهَا لِي أَفَلَكَ مِنْهَا عَوَظٌ، وَلَيْسَ لِي عَنْهَا مَعْدِلٌ!»، فَصَاحَ فِي وَجْهِهِ وَأَمَرَ بِإِبْعَادِهِ. فَلَبَّأَ شَدَّ بِالْعُقَابَيْنِ <sup>(٥)</sup>، تَقَدَّمَ الْجَلَادُ فَضْرِبْهُ ضَرْبَ الْقَتْلِ فَأَتَى عَلَى نَفْسِهِ،



العمري  
وغلبانه

٣٦ — وَحَدَّثَنِي نَسِيمُ الْخَادِمِ أَيْضًا:

«أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ طَوْلُونَ كَانَ مَذْعُورًا مِنْ خُرُوجِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١) اصطفى واستصطفى: استخرج أكثر ماله وخياره

(٢) استزاره: طلب زيارته. وفور الحال: سعته ووفرة

(٣) الريبطة: هي في اللغة الدابة ترتبط للخدمة، وأراد بها هنا المرأة ترتبط في المنزل وتبقى لحاجة سيدها وخدمته ومتاعه وتكون من سواقط النساء

(٤) ظاهر الإحسان: ضاعفه وأكثره

(٥) العقابان: خشبتان يشيح الرجل بينهما مشدوداً فيجلد، وهي

العُمَرَى<sup>(١)</sup>، فوافاه الخبرُ بقتلِ غلبان أبي عبد الرحمن إياه وانتشارِ أمره . ثم صار إليه جماعةٌ تقارب العشرة ومعهم رأس فقالوا : نحن غلبان العُمَرَى ، وهذا رأسه ! . فجمع الخاص والعام وأدخلهم إليه ، وآستحضر قوماً آستأثروا إليه ، فسألهم عن الرأس ، فأجمعوا على أنه رأس أبي عبد الرحمن ، وأن الغلبان من خاصته

« فقال أحمد بن طولون لهم : « هل كان سيثاً إليكم ؟ » . قالوا : لا والله ، ولقد كان مُحْسِناً إلينا ، ومُفَضِّلاً علينا » . قال : « فما حَكَمَ على قَتْلِهِ ؟ » ، قالوا : « طلبنا الحُظْوَةَ عندك ، والمكانةَ منك ! » ، فقال : « قتلتهم مَوْلَاكم المُحْسِنَ إليكم بالطَّرَبِ<sup>(٢)</sup> إلى المزيد ؟ »

ثم أمرهم فُشِقَ عن جماعتهم<sup>(٣)</sup> ، وأخذتهم السَّيَاطُ حتى سَقَطُوا وضربوا على رؤوسهم بالشُدُوخِ حتى ماتوا جميعاً<sup>(٤)</sup> . وأمر بدفن رأس أبي عبد الرحمن ،



متسلط عامل ٣٧ — وممعتُ أبا عبيد علي بن الحسين القاضي يحدث قال :

(١) انظر ص (٧)

(٢) تطرب : أخذته الطرب والفرح ، وتطرب إليه : اهتز له وطمع فيه

(٣) شق عنهم : أى شقوا عنهم ثيابهم يهيمونهم للجلد بالسياط

(٤) الشدوخ : جمع شدخ ، وهو الرخص الطرى من الشجر ، يضرب به حتى يشدخ رأس المضروب



« كانت لي بواسطة حصّة أودّى عنها إلى السلطان خرجاً <sup>(١)</sup> فقديماً علينا عاملٌ قد جُمع من الظلم ، وسوء التسلّط ، وفظاظة الطبع . جُمع المعاملين بأنسهم على التحجّل له بما لا يؤصل إليه من أملاّ كههم ، ولا يستحقّه عليهم ، فضرب قوماً ، وآستخفّ بآخرين ، فقال له رجل من حضر : « إن رأيت أن تؤخّرني إلى نصف النهار ! » ، فقال له : « لعلك من يقول : إن من عمود إلى عمود فرجاً ! » فقال له الرجل : « أنا والله أعتقد من لحظة إلى لحظة فرجاً يُرجى من الله » ، فتضاحك من كلامه . فوالله ما مضت ساعة حتّى دخلت إلينا - في الموضع الذي كان فيه - رُعلّة من الخوارج وهي تقول : « السليطين السليطين ! » <sup>(٢)</sup> ، فقطّعتهُ بأسيا فها وخرجت ، ولم تقتل غيره ، ولا طلبت شيئاً لأحد . فعلمت أنهم عقوبة آعتمدته ،

\*\*\*

٣٨ — وحدّثني عمر بن يزيد البرقي - وكان جميل المذهب - عامل الصدقة ومتظلم

قال :

« حضرت مُصدّقاً شديداً الاستحلال <sup>(٣)</sup> ، بعيداً من الرأفة ، وهو جالس على رابية ، وبين يديه حِواءٌ يحْتَازُ به ما يُحصّل له من

(١) الحصة : النصيب الموروث من الأرض ، والخرج : المال الذي

يؤدّى على الأرض

(٢) تصغير سلطان

(٣) المصدق : هو الذي يأخذ حقوق الصدقة من الإبل والغنم

الإبل<sup>(١)</sup>. قال : « فَعَرَضْتُ نَعْمَ رَجُلٍ حَسَنِ الطَّرِيقَةِ ، مُتَعَامِلٌ بِعِفَافِ الطَّعْمَةِ<sup>(٢)</sup> . فَتَخَيَّرْتُ عَلَيْهِ الْمَصْدُقَ مَا احْتَازَهُ مِنْ إِبِلِهِ ، وَاسْتَعْمَلْتُ مِنْ سُوءِ التَّحَكُّمِ عَلَيْهِ مَا لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . فَأَمْسَكَ ، ثُمَّ نَظَرَ بَعْدَ انفصال ما بينهما إِلَى فَصِيلِ سَمِينٍ كَانَ فِي إِبِلِهِ ؛ فَقَالَ لَغُلَامِهِ : « خُذُوا هَذَا الْفَصِيلَ حَتَّى يُصْلَحَ لَنَا غَدَاءً » ، فَقَالَ صَاحِبُ الْإِبِلِ لَهُ : « قَدْ أَخَذْتُ زِيَادَةً عَلَى حَقِّكَ ، فَمَا هَذَا ؟ » ، قَالَ : « لَا بَدَّ لِي مِنْ أَخْذِهِ » ، قَالَ : « فَإِنِّي لَا أَسْأَلُهُ »

فَأَمَرَ بَوَّاجِيَّ عَنْقَهُ<sup>(٣)</sup> ، وَأَخَذْتُ مَقَادَتَهُ مِنْ يَدِهِ ، فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : « كُلُّ هَذَا بِحَيِّثُكَ يَا جَبَّارُ<sup>(٤)</sup> ! » . فَخَافَ لِي عُمرُ أَنَّهُ جَاءَ مِنَ الْحَوَاءِ فُخِّلٌ - وَخَرَجَ مِنْهُ وَهُوَ يَرْغُو - ، فَأَخَذَ بَعْضُدهُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ بِهِ الْأَرْضَ حَتَّى قَتَلَهُ . وَانْصَرَفَ الرَّجُلُ بِفَصِيلِهِ »



٣٩ - وفيما أخبر به الهيثم بن عدى قال :  
عدى بن زيد  
والنعمان

« كَانَ عَدَى بْنُ زَيْدٍ قَدْ تَقَدَّمَ عِنْدَ كَسْرَى أَرْوَيْزَ فِي تَرْجَمَةٍ

(١) الحوَاء : المسكان الذي يحوى الإبل وغيرها من الأشياء ، أى : يضمها ويجمعها

(٢) الطعْمة : وجه الارتفاق والاكتساب

(٣) الوجْه : اللكز ، أو ضرب العنق بالأيدي أو بالحديد

(٤) فى الأصل : « بعينك ، وقوله « كله بحيثك » ، أى : كله ومعه حيثك والحين : المرات

العربيّ إلى الفارسيّ ، وكان رجلاً جاراً للنعمان بن المنذر ، فرام منه النعمان أن يكون عيناً له على كسرى ، فامتنع من ذلك ، ولم يرض بهذه السجّية <sup>(١)</sup> . فتركه النعمان حتى أطمأنّ إليه ، ثم سألّه أن يزوره . فكلّم كسرى ، وسألّه أن يأذن له في زيارته شهراً واحداً ، ونصّب عدِيّ ابنه مكانه - وكان حُلُوّ الشاهد <sup>(٢)</sup> مضطرباً بما يُستند إليه - ، فأذن له . فلما حصل في يد النعمان قتله ، وكتب إلى ابنه يُخبره بأنّه مات حتف أنفه <sup>(٣)</sup> ، وأنّه على غاية من الآسى عليه <sup>(٤)</sup> . وتأدّى خبر عدِيّ إلى ابنه على الصّحة ، فلم يخزّ فيه <sup>(٥)</sup> . وأقام يتتبع عوائله ، ويعمل الحيلة في آفتراص وثره <sup>(٦)</sup>

جفري في يوم من الأيام ذكر الجوارى بين كسرى وبين ابن عدِيّ - وكان أبرويز مُستَهْشَراً بهنّ - ، فقال ابن عدِيّ : « أحسنُ

(١) السجّية : الطبيعة والخلق والخصلة

(٢) حُلُوّ الشاهد : حلّ العبارة واللفظ جليهما . يقال : ماله رواء

ولا شاهد ، أى : ماله منظر ولا لسان يشهد له

(٣) الحذف : الموت نفسه ، وحتف أنفه : أى أن موته كان بخروج

روحه مع تنفسه من أنفه وهو على فراشه ، لم يقتل في حرب

(٤) الآسى : الحزن

(٥) خرق في الشيء : دهش ثم تعجل فلم يحكم عمله . يقول : لم

يتعجل

(٦) الوتر : الثأر . اقترص الشيء : اغتنمه وانهزه عند سئو

الفرصة

النساء حُرِّفَ بنت النعمان . فكتب أبرويز إلى النعمان كتاباً يأمره فيه بحمل حُرِّفَ ابنته إليه . فعظم هذا على النعمان ، وكتب إليه كتاباً يذكر فيه قَشْفَ <sup>(١)</sup> تربية العرب لأولادها ، وتقصيرهم ببِذَاذَةِ الهيئَةِ وَسَخِ الْمِهْنَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَنَّ فِي عَيْنِ الْعِرَاقِ لِلْبَلَدِ عَوَضاً مِنْهُنَّ <sup>(٣)</sup> ؛ وَأَنْفَذَ الْكِتَابَ إِلَى كَسْرَى . فَأَمَرَ كَسْرَى ابْنَ عَدَى أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَهُ عَلَى طَرَفِهِ ثُمَّ أَلْقَاهُ ، <sup>(٤)</sup> وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبِينِهِ ، وَقَالَ : « لَا يَسْتَطِيعُ لِسَانِي مُوَاجَهَةَ الْمَلِكِ بِمَا فِيهِ ! » ، فَغَزَمَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ لِيُخْبِرَنَّهُ . فَقَالَ : « ابْنَتِي لَا تَصْلُحُ لَكَ ، فَإِذَا قَرِمَتْ إِلَى الْجَمَاعِ فَعَلَيْكَ بِالْبَقَرِ » <sup>(٥)</sup> . فَغَضِبَ كَسْرَى ، وَأَنْفَذَ رُسُلًا إِلَيْهِ فَأُشْخِصَ . فَلَمَّا قَرِبَ مِنْ مَقَرِّ كَسْرَى ، أَخْرَجَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ جَارِيَةٍ بِالْحُلِيِّ وَفَاخِرِ الْكُسُوفَةِ ، وَأَذِنَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ بِالْفَارَسِيَّةِ : « يَا كَلْبُ ! مَنْ كَانَ لَهُ هَؤُلَاءِ يَصْلُحُ لَهُ بِجَامِعَةِ الْبَقَرِ ؟ ! » ، وَأَمَرَ بِشَدِّ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَأَلْقَاهُ فِي الْأَرْضِ ، وَأَطْلَقَ الْفَيْسَلَةَ عَلَيْهِ فَوَطِئَتْهُ ، حَتَّى مَاتَ تَحْتَ قَوَائِمِهَا .

---

(١) القشف : رثاء الهيئة وسوء الحال وضيق العيش . ومنه المتكشف : الذي يتبلغ بالقوت وبالمرقع  
(٢) البذاذة : رثاء الحياة وترك الزينة . والمهنة : الخدمة والعمل والامتنان

(٣) العين : جمع عيناء ، وهي المرأة الواسعة العينين الجميلتين والعيناء أيضاً : البقرة لأنساع عينها  
(٤) أمره على طرفه : أى جعله أمام عينيه وأسرع القراءة  
(٥) قرم إلى الشيء : اشتهاه وهم به

شريف  
ومريض

٤- وفيما جاء به الزبير بن بكار، قال :

« اجتاز رجل من أشرف المدينة بمريض مُلقَى على كُناسةٍ قريبة من منزل رجل من الأولياء اختلَّت حاله <sup>(١)</sup> ، ومَرَضَ ولا قَسِيمَ عليه <sup>(٢)</sup> وتبرَّم به رُفقاؤه فأخرجوه من منزلهم ، وهو مُلقَى في الطريق . فأمر الشريف بحمله إلى منزله ، وتقدَّم إلى ابنة عمه في حُسن القيام عليه بحسَمِها ، وأن تُرقِّه عيشه إلى أن تقضى عِلته . فابتدره كُلٌّ من في منزل الشريف بالخدمة حتى تكاملت صحته ، وصار في منزلهم كأحدهم ، وقفلَ إلى دِمَشق <sup>(٣)</sup> »

فلما كان في الوقت الذي توجه جيشُ يزيد للحرَّة <sup>(٤)</sup> ، وآفَى فُرُوقَ على باب دارِهِم ، فظنُّوا به أَنَّهُ وآفَى لحمايتهم ، وحُسن المدافعة عنهم ، ليقضيهم سِوَالِفَهُمْ لديه <sup>(٥)</sup> . فدخلَ الدارَ ومعه ثلاثة غلمان ، فلما تمكَّن منها أخذوا في جمعِ الأثاث ، فقال لهم الشريف : « ما هذا؟ » ، فقال : « إني استوهبتُ دارَكَ بما فيها من الأمير ووهبها لي ،

(١) الأولياء : جمع ولي ، يريد عمال الدولة . واختلَّت حاله : افتقر

(٢) القِيم : المدبر الذي يقوم على أمره

(٣) قفل : رجع

(٤) وقعة الحرَّة : هي الوقعة التي انتهكت فيها حرمة مدينة رسول الله فأبيحت ثلاثاً لجند يزيد بن معاوية ، يقتلون الناس يأخذون المتاع والاموال

(٥) السِوَالِف : جمع سالفة ، وهي الإحسان السابق ، أو الإساءة السابقة

وَكُنْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا ، إِذْ كَانَتْ الْأَحْوَالُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَكِيدَةً ، «  
فَقَالَ لَهُ الشَّرِيفُ : « رَجَعْتَ يَا ابْنَ الْأَخْنَاءِ إِلَى أُلُومِ أَصْلَاكَ ، وَفَسَادِ  
مُرَكَّبِكَ ، ثُمَّ عَلاَهُ بِسَيْفِهِ . وَفَرَّ الْغُلَبَانُ ، وَهَدَأَتْ وَقْدَةُ الْفِتْنَةِ ،  
وَطَلَّ دَمُهُ <sup>(١)</sup> ،

\*\*\*

مولى للعباسيين  
وأموى  
٤١ - وَحَدَّثَنِي نَافِعُ بْنُ مَصْقَلَةَ الْجَمْعِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ،  
يَقُولُ :

« رَأَيْتُ مَشَايِخَنَا بِجَمْعَيْنِ أَعْلَى أَمْرِ لِحَقِّهِ أُسْلَافُهُمْ : أَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ  
بِحِمُصٍ شَابٌّ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، حَسَنِ الصُّورَةِ ، لَبِنِ الْعَرَبِيَّةِ ، «  
فَأَقَامَ مَعَهُمْ مَدَّةً . ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَتَقَلَّدَ ذَلِكَ  
الْفَتَى حِمُصَ ، وَكَانَ مَوْلًى مِنْ مَوَالِي أَبِي الْعَبَّاسِ . فَلَمَّا دَخَلَهَا قَصْدًا إِلَى  
دَارِ رَئِيسٍ كَانَ بِهَا - مِنْ أَصْحَابِ بَنِي أُمَيَّةَ - فَذَبَحَهُ فِيهَا وَجَمَاعَةً مِنْ  
غُلَبَانِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ

فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَأَلَانَ الْجَانِبَ ، فَقِيلَ لَهُ : « لَيْسَ يُشَبَّهُ مَا أَنْتَ .  
عَلَيْهِ ، مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي ذَبَحْتَهُ وَشَمَلَهُ ، « ، فَقَالَ :  
« اسْمَعُوا مِنِّي مَا جَرَى عَلَى عَائَتِهِ

« اجْتَرَزْتُ بِهِ - وَقَدْ نَظَفْتُ أُنُوبًا إِلَى لَا أَمْلِكُ غَيْرَهَا ، وَقَدْ دُعِيتُ  
إِلَى أَمْرِ لَا يَسْعُنِي التَّأَخُّرُ عَنْهُ ، أَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَإِظْهَارِ  
التَّجَمُّلِ ، وَمَعِيَ رَسُولٌ مِّنْ اسْتَحْضَرَنِي - وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى الْبَابِ «

(١) طَلَّ دَمُهُ : أَهْدَرَ وَأَضْيَعَ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ دِيَةٌ وَلَا نَارٌ

فرائث دأبني<sup>(١)</sup> بحيث تقع عليه من رَحْبَةٍ مَبْلَطة لداره . فأمصني<sup>(٢)</sup> ،  
وأمر الغلمان بترجيلي وضربي ، فركبني أيديهم . ثم حلف ألا أبرح  
حتى أكدر روث دوابي يدي في كُمي ، وأحمله في ثوبي وحجري ،  
وأخذتُ فجُرت إلى ذلك ، ولم تزل حاشيته تضحك مما نزل بي ،  
فحدثت مولاي ، فاستحلفني بحقه على غليظ ما أتيتُهُ إليه ،

\*\*\*

أحد الأكاكسة  
ورلده

٤٢ - وما قرأته من سير العجم :

أن جماعة المنجمين حكموا لبعض الأكاكسة أن ابنه يقتله ويتولى  
ملكه ، فعقد كسرى إلى سُمويم وَحِيَّةً فجعلها في قوارير<sup>(٣)</sup> ، وختمها  
وكتب عليها : « دواءٌ للجماع ، الشربة مثقال » ، وكانت وزنة  
قيراط تقتل من تلك السموم . وقال : « إن كان الأمر كما حكاه  
المنجمون فساخذ بطائفتي منه »<sup>(٤)</sup> . فعدا عليه ولده وقتله ،  
وكان شديد المحبة للجماع ، ورأى تلك القوارير ، فشرب  
مثقالات

\*\*\*

مروان  
الجمعدى وخالد  
بن سهم

٤٣ - وحدثني أحمد بن أبي يعقوب ، قال حدثني أبي ، عن جدِّي

- (١) راث الفرس وغيره من الحيوان : أرسل روثه ورجيعه  
(٢) أمص الرجل : إذا شتمه فقال « يامصان » ، وهو اللئيم الراضع .  
يريد سبه سباً قبيحاً  
(٣) سم وحى ، وموت وحى : سريع  
(٤) الطائفة : الثأر

واضح ، قال :

« سمعت خالد بن سهم ، يحدث المنصور - وكان هذا الرجل خاصاً بمروان بن محمد الجعدي <sup>(١)</sup> - فطلب منه مروان جارية له كان يحبها ، وتجزم عليه <sup>(٢)</sup> ، فأطال حبسه ، وأخذ الجارية منه . وكان ذارأي وتجدة <sup>(٣)</sup> . فلما استفحل أمر أبي مسلم وكسر عساكر مروان ، أخرجه من الحبس وعده جميلاً - ، قال خالد :

« كان مروان يضحك من زى المسودة <sup>(٤)</sup> ويقول : « لو أسرناهم ما بلغنا بهم ما بلغوا بأنفسهم من التشويه والشهرة <sup>(٥)</sup> » . فلما اضطُرَّ إلى مكافئتهم وواقعهم ، رأيت قد تهيب معاركهم ، فقال لي : « يا أبا يزيد ! - وما كنا في قبل ذلك اليوم - ، إنني قد ارتعت ، فهل ذلك بيني وبينك ؟ » ، قلت : « بلى يا أمير المؤمنين ! » - وكنت أداجنه <sup>(٦)</sup> ، ويسرني حوول أمره <sup>(٧)</sup> ، فقال : « ما أجد قلبي يطيق موافقتهم ! » ، فقلت : « إن كان هذا ، فتنحس منهم بالانزاع ، فإن خيلك أنجى من خيلهم <sup>(٨)</sup> » .

- 
- (١) هو آخر خلفاء بني أمية المسمى « مروان الحمار » .
  - (٢) تجزم عليه : تجنى عليه مالم يجنه من الذنوب والجرائم
  - (٣) النجدة : الشجاعة والمضاء والبأس الشديد
  - (٤) المسودة : هم العباسيون ، فقد جعلوا شعارهم السواد
  - (٥) الشهرة : الفضيحة والشنة الظاهرة
  - (٦) داجنه : لازمه وأحسن مخابراته بالرياء والمداينة
  - (٧) حال الأمر يحول حوولا : تغير وتبدل وتحول فرال
  - (٨) أنجى من خيلهم : أسرع نجا ، والنجاء : العدو السريع



فأنهزم ، وتوقف أصحابُ أبي مسلم عن طلبه ، فلما باغ إلى سواده<sup>(١)</sup> قال لي : « قد عزمْتُ على الدخول إلى بلد الروم ، . . وكان من أصوب تدبيرٍ له . . فنَفِضْتُ عليه بالرأى<sup>(٢)</sup> ، واستعملتُ مغالطته فقلت : « تدخلُ بأحداثٍ من وَلَدِكَ وَشَمْلِكَ<sup>(٣)</sup> مستجيرين بكافِرٍ قد آمِنَ سِرُّهُ<sup>(٤)</sup> ، واستقام أمره ؛ ولعلَّ وَلَدَكَ يروقهُم ما يرويه في ملكته ، فيحملُهُم ذلك على التَّصَرُّعِ وَلأنَّ تَمَادَى في مسيرِكَ حتى تدخل مصر فتجد فيها الرجال والكُرَاعَ والمالَ<sup>(٥)</sup> ، تملك بها اختيارك . . فركنَ إلى قولي ، فسرنا . فلما دَخَلْنَا مصرَ خَرَجَ إلى صعيدها ، واستأمنتُ إلى عامٍ - لحالٍ كانت يَبْنِي وَيَبْنِي - ، وقُتِلَ بِيُوصِيرِ الْأَشْمُونِينَ »

\*\*\*

أحمد بن طولون  
وابن المدبر

٤٤ - ولما قَدِمَ أحمد بن طولون إلى مصر متعلِّداً بها عمل المعونة ، أهدى إليه أحمد بن مدبر من دِقِّ مصر<sup>(٦)</sup> ، ودوابها ، والريقِ المجلوب إليها ، ما مقداره عشرة آلاف دينار . فردَّ ذلك

(١) سواد العسكر من الجيش : ما يشتمل عليه من الآلات والدواب ، ويكون مجتمع سواد الجيش (المعسكر)

(٢) نفس عليه الشئ : حسده عليه وضمَّن عليه به

(٣) الأحداث : الصغار ، جمع حدث

(٤) آمِنَ سِرُّهُ : أى اطمأنت نفسه ، والسرب : النفس

(٥) الكراع : اسم لجماعة الخيل والسلاح

(٦) دق مصر : هى الثياب الرقيقة الدقيقة الصنع التى كانت تصنع

بها ، وتعرف بالقباطى جمع قبطية

عليه ، وذكر أنه لا حاجة له بشيء منه . فثقل ذلك على ابن المدبر ، وقال : « ما ينبغي أن يثق السلطان - بمن لم يكن لعشرة ألف دينار في عينه قدر - على طرف من أطراف تملكته ! »

فلما مضت أيام بُعث إليه : « قد كنت أنفذت إلى طائفة من برّك فرددتها عند وقوع الاستغناء عنها ، وقد بلغني أن عندك مائة رجل من مولدَي الغور <sup>(١)</sup> ، وبني إليهم أمس حاجة . » قال ابن المدبر : « قد ظهرت في هذا الرجل علامة أخرى ، يرُدُّ الأعراض والأموال ، ويستهدى الرجال ! »

وكان حسين بن شعرة - مضحك المتوكل على الله - قد انضوى <sup>(٢)</sup> إليه ، فحفي به ضياعه وأملاكه . ووقف على استئصال ابن مدبر لأحمد بن طولون ، وأخرج حكايته في تَزْمِيته <sup>(٣)</sup> وكلامه ، فيضحكُ ابن مدبر ومن حضره . فأتصل ذلك بابن طولون ، فأحضره ثم قال له : « بلغني أنك تتنادرُ بي <sup>(٤)</sup> ، ولك في الناس مندوحةٌ فأحذرنى ، فإنك إن وقعت لم ينفعك ابن المدبر ولا غيره » ، فجددهذا واعتذر إليه منه . ثم انصرف إلى ابن المدبر وقال :

(١) الغور : بلاد موحشة بين هراة وغزنة ، كان يؤتى منها بسبي

يولد ويربى

(٢) انضوى إليه : مال إليه ، واحتفى به

(٣) التزمت : الوقار والسكون وقلة الكلام والضحك ، وكان

ابن طولون من أشد الناس وقاراً

(٤) تنادى به : تهزأ ويختر وجعله من نوادره

«ياسيدي ! لو شاهدت أحمد بن طولون يُؤنّبني !» ، فقال « ما قال لك ؟ » ، قال : « آصيرُ حتى أريك حكاية مُصوّته ومُعانيته » ، ثم تلبّس وجلس يَحْكِيهِ وَيَقْتَصُّ مَالِقِيهِ بِهِ <sup>(١)</sup> . ثم اتصل ذلك بأحمد ابن طولون فأمسك عنه ، وتبع غوائله

« وأضطربت الرعية لِنِزاعِ السَّعْرِ <sup>(٢)</sup> ، وقد باغ ثلاثة أراذب حنطة بدبنار ، فركب وتقدّم بعقوبة القماحين ، وأزدحمت النظارة من السطوح عليه . فوقع مِرْكَنٌ فيه ويحان إلى الأرض <sup>(٣)</sup> ، بمزاحمة مَنْ تشوّف إليه من النساء <sup>(٤)</sup> ، فمسح كفّل دابة أحمد بن طولون <sup>(٥)</sup> ، فسأل عن الدار : « لمن هي ؟ » ، فقالوا « الحسين بن شعرة ! » ، فأحضره وضربه ثلاثمائة سوط ، وطاف به . وكان ما أوقعه به من أجل متقدّم سَوالِفِهِ إليه ، ولم يفاح الحسين بن شعرة بعدها

« وزاد أمر أحمد بن طولون في القوّة وزيادة المال ووفور الكفاية ، حتى تهيبه ابن مدبر ، خدّثني أبو العباس الطُّرُسُوسِيّ ، أنه سمع أحمد بن طولون يقول له : « يا أبا الحسن ! أنشدك الله إن تعرّضت لي ولّا ترسّمت بعد أوتي <sup>(٦)</sup> ، فقد آجتهدت في استصلاحك

(١) اقتص الشيء : تبعه واحدة واحدة

(٢) نزاع السعير : ارتفاعه وغلاؤه

(٣) المِركَن : إجاعة يستنبت فيها الرياحين (قصرية)

(٤) تشوّف إليه : تطلع إليه وتطاول لينظر

(٥) مسح كفّلها : مس عجزها ومؤخرها

(٦) ترسم بالشئ : جعله رسماً له يعرف به

فلم أصِلْ إلى ذلك»، فقال له آبن مدبر: «والله ما أُرِدُّ أمرك فيما أتقَلَّدُه، وإني فيه كالمقيم من فَبَلَكَ، فأى شيء أنكرت علىّ حتى أنجنّبه؟»، فقال: «أنكر عليك المكاتبَةَ إلى الحضرة<sup>(١)</sup>، وقد دلّدتك البَغْيَ»، خلف له آبن المدبر أنه لا يكتب إلا بشكره

«وَصُرِفَ آبن المدبر عن مصر بأبي أيوب - ابن أخت أبي الوزير - فلما أجمع الشُّعُوصُ عنها قال له أحمد بن طولون: «يا أبا الحسن، لو أردتُ بك سوءاً لَقَدَرْتُ عليه، واحتاج إلى أن تجدد تلك اليمين»، خلف له بالمحرّجات أنه لا يألو حرصاً في تزيين آثاره<sup>(٢)</sup> وتطليب أخباره، وأشهد عليه الله بذلك. وخرج عن مصر متقلداً للشام، فأقام مع ماجور

«لقد ثقتي نَعْتُ مولاة أحمد بن طولون: وأُمُّ ثلاث بنات كنّ له - فقالت: «كنت عند مولاى بائنة فسمعتة يحلم في نومه، خفت أن أنبّهه فينكر علىّ هذا، فأنتبه وجأس ومسح عينيه وقال: «خير إن شاء الله». فسألته عما رأى فقال: «رأيت آبن مدبر قائماً في وسط برية، ومعه قوسٌ مؤترّة وسهام، وأنا تجأه قائم، ومعى جميع السلاح إلا القوس، وبيننا نهر، فكأنه يسدّد السهم نحوى ويرمى، فأخطأنى. وكان قائلاً يقول: «لو رماك يومه كلّ لما أصابك به، لأنه عاهدك، وما يضُرُّ هذا الفعل غير نفسه»، فكأنه اشتدّ

(١) الحضرة: يريد حضرة الخلفاء من بنى العباس ببغداد

(٢) لا يألو: لا يقصر

على انهماكه في الرمي لى ، وليس فى يدى غير سيفٍ وشَرخ  
وما أشبههما ، <sup>(١)</sup> لاتَمَلُ فى البُعْدِ ، وقد حال النهر بينى وبين  
العبور إليه . فإننا على هذا ، حتى أَصَبَ النهرُ فلم يبق فيه  
قطرة <sup>(٢)</sup> ، فعبرت إليه ، فسكأنى كنتُ كلما قُرِبتُ منه يصغرُ ، حتى  
صار بمنزلة من يواريه الكفُّ ، فأخذته يدي أسْتَطْرِفه <sup>(٣)</sup> ، ثم  
ألقيته من قامتى على رأسه فسات . فتأولتُ سهامه : المكاتبَة فى  
والتجريضَ على ، والنهر الذى منعنى منه : مَقَامَ ماجور بدمشق ،  
وُنُضوبه : موتَ ماجور ، وصغره : قدرتى عليه ، واحتيازَه فى  
كفى : قبضى عليه ، وقول القائل لى فى السهام إنها تُخِطُّك : أن  
الله لا يُعينه على .

« فحدثت هذا الحديث سعداً الفَرَغانى - غلام ابن طولون - فقال  
لى ما سمعت بهذا الإلامك ، والذى عندى من خبره مطابق لهذه الرؤيا .  
وذلك أن الحسن بن مخلد برم بكيد الكتاب وانتقاض الأولياء . <sup>(٤)</sup>  
فكتب إلى أحمد بن طولون يذكر له رغبته فى المقام بمصر . فكتب  
إليه أحمد بن طولون : وإنما أنا وليك <sup>(٥)</sup> ، ومَقَامُ صنيعة من صنائعك ! » .

- 
- (١) الشرخ : النصل الذى لم يشق بعد ولم يركب عليه قائمه  
(٢) نضب النهر أنضوباً : ذهب فى باطن الأرض وغار وبعد وقل  
(٣) استطرف الشيء : وجده طرفه ، أى طريقاً غربياً  
(٤) برم : ضاق وضجر ، وانتقاض الأولياء : نقضهم العهد  
وخروجهم عليه  
(٥) الولى : التابع من عمال الدولة

وصوب رأيه فيما آثره . فخرج من بغداد ، وتقى عنائه إلى مصر ، فنبهه صاحب البذرة <sup>(١)</sup> . فأنفذ كتباً إلى أحمد بن طولون ، فكان أول ما صدر منها أربعين كتاباً جميعاً بخط ابن المدبر ، يُعظم فيها أمر أحمد ابن طولون ويقول : « إنه قد عزم على أن يجلس خليفة » ، ويصفه بكل عُذر ، فعجب منها ابن طولون . ثم مات ماجور ، واحتاز دمشق والشام ، وأنفذني إلى الرملة فقبضت عليه وأخضته إليه . فأقام مدة في حبس ضيق ، وجفوا بما جرت به عادته <sup>(٢)</sup> ، حتى ذهب بصره ومات .



ابن المدبر  
ومتقبل

٤٥ — وحدثني مهمل بن سُليمان ، قال :

« رجعت [مرة] مع أحمد بن محمد بن مدبر إلى داره ، فاستقبلته امرأة فقالت : « أيها السيد ! نحن مائة عميل على فلان المتقبل ، <sup>(٣)</sup> وقد ضاع شمله لحبسه ، فاتق دعوة تعرج إلى الله منا فيك ! » ، فقال وهو مهزئ : « إذا عزمتم على هذا ، فليكن الدعاء في السحر فإنه أنجع له » ! قال لي مهمل : « فارتعت من الكلمة ، فما مضى له شهر حتى تقلد محمد بن هلال الخراج وصرفه عنه ، واجتمعا عند

(١) البذرة : هي خفارة الطريق وحراسته ، والمبذرق الخفير

(٢) جفا الشيء جفأ وجفوا : بعد عنه ، يريد ، وابتعاد عن عادته

(٣) المتقبل : هو الذي يتقبل الخراج أى يتكفل بجمعه وإيراده

لبيت المال ، والعميل : هو الذي يحتاج ، إلى من يعوله ويمونه ويتكفله ، والجمع عيال

أحمد بن طولون، فاهتدى محمد بن هلال إلى مالم يظن أنه يقف عليه،  
لأنه أول ما ناظره قال: « رزق الخراج: كذا وكذا، وأرزاق  
الدواوين المضافة إليه: كذا وكذا، فهل قبضت جملة هذه الأرزاق؟ »،  
قال ابن المدبر: « نعم ! ما حضرنى كتاب أمير المؤمنين بإطلاق جميع  
الرزق لك ؛ لأنه يجوز أن يكون استعملك على جميع الأعمال برزق  
الخراج وحده ». فانقطع [إلى] ابن المدبر، وطالبه بالمال،  
فقال: « ما يلزمنى ؟ ». ورُدَّ إلى يد محمد بن هلال، فألبس جُبَّةً  
كانت على بعض الساسة، <sup>(١)</sup> وأقيم في الطريق على كناسة،  
وختمت الجبة في عنقه

« فكان أول من وافاه الامرأة التي قال لها: « يكون دعاؤك في  
السحر هو أنجمع له »، فقالت: « جزاك الله يا أبا الحسن خيراً،  
فقد نفعتنا بأكثر مما ضررنا؛ لا نتاجرنا ما أشرت به فوجدناه أنجمع  
شيء يلتمس [به] ». فبكى ومن حوله من الموكلين به، وانصرفت  
المرأة داعية له »

\*\*\*

٤٦ - وكان محمد بن أبي الساج قد هاذن تخارويه بن أحمد  
أبي الساج تخارويه وابن  
ابن طولون، وحلف بالمحرجات أنه لا يشاؤه ولا يُجهز إليه

(١) الساسة جمع سائس : وهو الذى يقوم على خدمة الدواب  
ورياضتها.

جيشاً أبداً<sup>(١)</sup> ، وخلف عنده ابنه - المعروف بدادود - رهينةً ، فسكن حمارويه إلى هذا . ثم تواترت الأخبار بتجيشه عليه<sup>(٢)</sup> ، وما أثره من المسير إليه ، فدعا بابنه وقال : « قد نقض أبوك ما بيني وبينه ! » ، فقال : « ياسيدي ! ما أعرف لى أباً غيرك » . فرق له وأجازه ، وأقر أثرته<sup>(٣)</sup> ، ثم توجه إلى ابن أبي الساج فالتقى بالثنية ، فحدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم بن طباطبا - وكان معه - قال :

« لما تراى الجمعان أمر بإلقاء حصير الصلاة ألقيت ، ونزلت معه فصلتي ركعتين ، فلما استتمهما ، أدخل يده في حُفّه ، فأخرج منه حَظ ابن أبي الساج الذي حلف فيه بوكيد الإيمان أنه لا يحاربه ، فقال : « اللهم إني رضيت بما أعطانيه من الإيمان بك ، ووثقت بكفايتك إياي غدره [بني] وبحلفه واجترأه على الحث بما أكده لى اغتراراً بحبلك عنه ، فأدلى عليه !<sup>(٤)</sup> » . ثم ركب ، فرأيت ميمنة حمارويه قد انهزمت ، وتبعها ميسرته ، فحمل في شُرذمة يسيرة على جيش ابن أبي الساج - وهو في غاية من الوفور - فانهمزوا بأسرهم

(١) شاقه يشاقه مشاقة : خالفه وعاداه ، من الشقاق وهو غلبة العداوة والخلاف

(٢) جيش عليه : جمع الجيوش لقتاله

(٣) أقر أثرته : أى رضى لإثاره إياه بالابوة وأقره عليها ، وفي الأصل المطبوع « وأقر أثرابه » وهو خطأ بين

(٤) أداله عليه : جعل له الدولة عليه ونصره عليه



فوقف على نَشْر<sup>(١)</sup> ، وأطقتُ ومن حضره به ، فاستأمنت  
إلينا عِدَّةٌ كثيرة . فقلت له : « إن مُقَاتِلَنَا أَيْهَا الْأَمِيرُ مع هذه  
الجماعة خطرٌ ، فأمرني بالسير بهم إلى مُسْتَقَرِّ سِوَادِهِ<sup>(٢)</sup> . فسرتُ  
معهم - وأنا على رِقَبَةٍ من طمع فيه أو كَيْدٍ له - فبلغوا نَهْرًا  
احتاجوا إلى عُبُورِهِ ، فرأيتهم قد دخلوا الخِزَافَ وَحَطُّوا الرِّحَالَ ،  
وَسَلَّكُوا سُلُوكَ الْمُطْمَئِنِّ ، فَأَنْسَيْتُ إِلَيْهِمْ »

\*\*\*

٤٧ - وكان في حَارَتِنَا شَابٌّ قد قدم من الْعِرَاقِ ، ذَكَرُهُ قُرَيْبُ لَا بِنِ  
يَعْفَرُ وَعُجُوزُ يَمَانِيَّةٍ  
الروح هَادِي السَّمَى ، يذكر أنه قَرَابَةُ لَا بِنِ يَعْفَرُ الْقَائِمِ كان  
بِالْبَيْنِ . وكان بِمَصْرَ في دُونِ قَوْمِهِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ من شَاهِدَةِ آبِنِ  
يَعْفَرُ وَسَعَةِ أَمْرِهِ ، بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، فَأَخَذْتُ لَهُ حُجَّةً من بَعْضِ  
أَهْلِنَا<sup>(٣)</sup> ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهَا بَرًّا يَنْفِي تَحْمُلَهُ<sup>(٤)</sup> ، وَخَرَجَ . فَالِقَى بِمَكَّةَ عُجُوزًا  
يَمَانِيَّةً جَلِيلَةً الْقَدْرَ فِيهِمْ ، فَعَرَفَهَا مَوْضِعَهُ ، فَقَالَتْ : « أَنَا أُنْكَفِلُ  
بِمُؤَوَّنَتِكَ وَتَحْمُلِكَ ، وَأَغْتَنِمُ هَذِهِ الْيَدَ عِنْدَ الْأَمِيرِ ، وَحَمَلْتُهُ حَتَّى  
صَارَتْ بِهِ إِلَى عَشِيرَتِي ، فَقَالَتْ لَهُمْ : « إِنْ آبِنِ يَعْفَرُ قَتَلَ مِنَّا  
فِي الْعَامِ الْمَاضِي رَجُلًا ، وَمَعَى قَرَابَةُ لَهُ فَأَقْتُلُوهُ بِهِ » ، وَاجْتَمَعَ

(١) النشر : المتن المرتفع من الأرض

(٢) السواد : المدسكر ، انظر ص (٨٥)

(٣) حجة : يريد نفقة حجة عن مات قبل أن يحج وقد وجب عليه الحج

(٤) يريد ، ما يقوم بنفقة حمولته في السفر

جيشاً أبداً<sup>(١)</sup> ، وخلف عنده ابنه - المعروف بدادود - رهينة ، فسكن خمارويه إلى هذا . ثم تواترت الأخبار بتجيشه عليه<sup>(٢)</sup> ، وما أثره من المسير إليه ، فدعا بابنه وقال : « قد نفّض أبوك ما بيني وبينه ! » ، فقال : « ياسيدي ! ما أعرف لى أباً غيرك » . فرّق له وأجازه ، وأقرّ أثرته<sup>(٣)</sup> ، ثم توجه إلى ابن أبي الساج فالتقيا بالثنية ، فحدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم بن طباطبا - وكان معه - قال :

« لما تراى الجمعان أمر بالقاء حصير الصلاة فألقيت ، ونزلت معه فصلّي ركعتين ، فلما استتمّهما ، أدخل يده في حُفّه ، فأخرج منه خطّ ابن أبي الساج الذي خلف فيه ، يؤكد الإيمان أنه لا يحاربه ، فقال : « اللهم إني رضيتُ بما أعطانيه من الإيمان بك ، ووثقتُ بكفايتك إياي غدره [بني] وبخلفه واجترأه على الحثّ بما أكّده لي اغتراراً بحملك عنه ، فأداني عليه<sup>(٤)</sup> . ثم ركب ، فرأيتُ ميمنة خمارويه قد انهزمت ، وتبعها ميسرته ، فحمل في شِرْذمة يسيرة على جيش ابن أبي الساج - وهو في غاية من الوفور - فانهزموا بأسرهم

(١) شاقه يشاقه مشاقفة : خالفه وعاداه ، من الشقاق وهو غلبة العداوة والخلاف

(٢) جيش عليه : جمع الجيوش لقتاله

(٣) أقرّ أثرته : أى رضى لإيثاره إياه بالابوة وأثزه عليها ، وفي الأصل المطبوع « وأقرّ أثرابه » وهو خطأ بين

(٤) أداله عليه : جعل له الدولة عليه ونصره عليه

فوقف على نَشْر<sup>(١)</sup> ، وأطقتُ ومن حضره به ، فاستأمنت  
إلينا عِدَّةٌ كثيرة . فقلت له : « إن مُقَامَنَا أَيْهَا الْأَمِيرِ مع هذه  
الجماعة خطرٌ ، فأمرني بالمسير بهم إلى مُسْتَقَرٍّ سَوَادِهِ<sup>(٢)</sup> . فسررتُ  
معهم - وأنا على رِقَبَةٍ مِنْ طَمَعٍ فِيهِ أَوْ كَيْدٍ لَهُ - فبلغوا نَهْرًا  
احتاجوا إلى عُبُورِهِ ، فرَأَيْتُهُمْ قد خلعوا الخِثَافَ وَحَطُّوا الرِّحَالَ ،  
وَسَلَكُوا سُلُوكَ الْمُطْمَئِنِّينَ ، فَأَنْسَيْتُ إِلَيْهِمْ »

\*\*\*

٤٧ - وكان في حَارَتِنَا شَابٌّ قد قدم من الْعِرَاقِ ، ذَكَرُهُ قَرِيبُ لَا بِنِ  
يَعْفَرُ وَعَجُوزُ يَمَانِيَّةٍ أَلُوحٌ هَادِي السَّعْيِ ، يذكر أنه قَرَابَةُ لَا بِنِ يَعْفَرُ الْقَائِمِ كان  
بِالْبَيْنِ . وكان بِمَصْرَ في دُونِ قَرْمِهِ ، فَأُشَارَ عَلَيْهِ مِنْ شَاهِدَةِ آبِنِ  
يَعْفَرُ وَسَعَةِ أَمْرِهِ ، بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، فَأَخَذْتُ لَهُ حَبْجَةً مِنْ بَعْضِ  
أَهْلِنَا<sup>(٣)</sup> ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهَا بَرًّا بَنِي بَنَحْمَلَهُ<sup>(٤)</sup> ، وَخَرَجَ . فَاتَى بِمَكَّةَ عَجُوزًا  
يَمَانِيَّةً جَلِيلَةً الْقَدْرَ فِيهِمْ ، فَعَرَفْنَاهَا مَوْضِعَهُ ، فَقَالَتْ : « أَنَا أَتُكْفَلُ  
بِمُؤُونَتِكَ وَتَحْمُلكَ ، وَأَغْنِمُ هَذِهِ الْيَدَ عِنْدَ الْأَمِيرِ » ، وَحَمَلَتْهُ حَتَّى  
صَارَتْ بِهِ إِلَى عَشِيرَتِهَا ، فَقَالَتْ لَهُمْ : « إِنْ آبِنِ يَعْفَرُ قَتَلَ مِنَّا  
فِي الْعَامِ الْمَاضِي رَجُلًا ، وَمَعِيَ قَرَابَةُ لَهُ فَاقْتُلُوهُ بِهِ » ، وَاجْتَمَعَ

(١) النشر : المتن المرتفع من الأرض

(٢) السواد : المدسكر ، انظر ص (٨٥)

(٣) حجة : يريد نفقة حجة عن مات قبل أن يحج وقد وجب عليه الحج

(٤) يريد ، ما يقوم بنفقة حملته في السفر

الحَيِّ ، وتسَلَّمَهُ أولياءُ القَتِيلِ ، فلما جُرِّدَ السيفُ اضطربَ وبَكَى ، فقال أولياءُ القَتِيلِ : « ما نرضى أن نقتل هذا بصاحبنا ، صاحبنا شجاعٌ وهذا جَبَّانٌ ! »

فبعثوا به إلى ابنِ يعفر ، وقالوا لرسولهم إليه : « إِنَّا لَنَرْضَى أَنْ نَقْتَادَ مِنْ هَذَا <sup>(١)</sup> » ، فلما وَافَى ابنُ يعفر ، دعا له بالسيفِ والنَّطْعِ ليقْتَلَه ، وقال « هَتَمَكُنْتَنِي فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ التَّرَبِّ ! » ، فقال له وزيره : « إِنَّ هَذَا الْفَتَى خَرَجَ مِنْ فَاةٍ وَأَمِنَ إِلَى مَوْقِفٍ تُضْرِبُ فِيهِ عُنُقُهُ فَأَاضْطَرَبَ ، وَإِنَّمَا يَقْتُلُ الْأَمِيرُ مِنْ قَادِ الْجَبُوشِ ، وَتَطْعَمُ بِحَلَاوَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِيهِ <sup>(٢)</sup> » ، وتمكَّنَ مِنَ الرَّئَاسَةِ ثُمَّ عَدَلَ بِهِ طَبْعَهُ إِلَى الْخَوَرِ ، وَالَّذِي أَرَاهُ لِلْأَمِيرِ : أَنْ يَعْقِدَ لَهُ الرَّئَاسَةَ عَلَى جَمَاعَتِهِ ، وَيُنْفِذَهُ إِلَى مِهْمَاتِهِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْفَضَائِلِ إِنَّمَا تَظْهَرُ بِحُسْنِ الْارْتِيَاضِ <sup>(٣)</sup> »

ففعلَ الْمَلِكُ مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ وَزِيرُهُ . فحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَامِرٍ الْيَمَانِيُّ : أَنَّهُ دَرَجَ بِهَذَا التَّدْبِيرِ <sup>(٤)</sup> فَظَهَرَ مِنْ شَجَاعَتِهِ مَا لَمْ يُرَ فِي آلِ يَعْفَرٍ مِثْلُهُ ، ثُمَّ غَزَا الْحَيَّ الَّذِي كَانَتْ تَلِكُ الْعِجُوزُ مِنْهُمْ ، فَقَتَلَ أَوْلَادًا كَانُوا لَهَا ، وَأَفْقَرَ بِهِ ذَلِكَ الْحَيَّ .

(١) اقْتَادَ مِنْهُ : جَعَلَهُ قَوْدًا أَوْ قِصَاصًا يَقْتُلُ بِالْمَقْتُولِ مِنْ قَوْمِهِ

(٢) تَطْعَمُ الشَّيْءَ . وَتَطْعَمُ بِهِ : ذَاقَهُ لِيَتَبَيَّنَ طَعْمُهُ حَلْوٌ هُوَ أَوْ مَرٌّ ؟

(٣) الْارْتِيَاضُ : الرِّيَاضَةُ وَالتَّدْلِيلُ وَالتَّعْلِيمُ ، يُقَالُ ، رَاضَهُ وَرَوَّضَهُ وَارْتَاضَهُ

(٤) دَرَجَ بِهِ : دَرَبَ بِهِ وَتَرَقَّى دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ

٤٨ - وحدثني يوسف بن إبراهيم [والدى] . قال حدثني الخيزران أم الرشيد وامرأة

هشام

إبراهيم بن المهدي:

« أنه دخل على الخيزران أم الرشيد ، فوجدها جالسة في الدار المعروفة بها - وصارت إلى أم محمد بنت الرشيد بعدها - على نَمَط أُرْمِيْنِيَّة<sup>(١)</sup> والنَّمَط على بساط أُرْمِيْنِي ، وعن يمين النَّمَط وَيَسَارِهِ نَمَارِقُ أُرْمِيْنِيَّة<sup>(٢)</sup> ، وعلى أعلى نَمْرُقَةٍ منها زينبُ بنت سليمان بن علي ، وعلى يسار النَمَارِقِ أمهات أولاد المنصور ونسوة من نساء بني هاشم ، إذ وقفت امرأة على طَرَفِ البساط فسَلَّمَتْ ثم قالت : « يا زوج أمير المؤمنين ! أنا مُرِيَّةُ زوج هشام بن عبد الملك ، ثم مروان بن محمد من بعده ، نكحَها الزمن ، وزَلَّتْ بها النعل<sup>(٣)</sup> ، حتى أصارها إلى عارية ما تستتر به مما عليها ، فتبدلت الدموع تدورُ في عين الخيزران . وخافت زينبُ أن تدخلها رُقَّةً ، فقطعت على مُرِيَّةِ الكلام بأن قالت : « يا أم أمير المؤمنين ! اتبقي الله أن تُدخلك رُقَّةً بهذه الملعونة ، فتبتوئي مَقْعَدَكَ من النار ،

ثم التفتت إلى مُرِيَّةِ فقالت لها : « يَكُ فَدَامَ ما أنت فيه يا مُرِيَّةُ ! كأنك نسيتِ دخولي عليك بحران ، وأنت جالسة بصحنِ دار مروان ،

(١) النَّمَط : ضرب من البسط ( جمع بساط ) له خمل رقيق وطوى

(٢) النَمَارِقُ : جمع نَمْرُقَة ، وسادة وثيرة موشاة

(٣) زلت به النعل : زلق ووقع وانفقر بعد استواء الحال والنعمة

على هذا النمط ، وتحت هذا البساط ، وعن يمين نمطك ويساره هذه النمارق ، وعليها أتمهات أولادِ جَبَّارِكم ، وقد مثَّلتُ في مثل هذا المكان الذى أنت فيه ماثلة <sup>(١)</sup> ، وأنا أسألك وأنصُرَّعُ إليك فى استيهابِ جُثَّةِ إبراهيمَ الإمام من مروان لثلاً يُمثِّلُ به ، وقولك وأنت كالحقة فى وجهى : « ما للنساء والدخول فى أمور الرجال ؟ » ، ثم أمرت بإخراجى من دارك بغلظةٍ ، فلجأت إلى مروان فوجدته على حالٍ أشدَّ تعظُفاً على رحمه منك ، وقال لى : « لقد ساءتني وفاة ابن عمى وما دبرتُ المِثْلَةَ [ به ] <sup>(٢)</sup> » . وقد خيَّرَني بين إطلاقي تجهيزه له ، وبين تسليمه إلى ، فاخترتُ تسليمه ، وأمر له بجهازٍ فقبلته منه ،

« قال إبراهيم : « فالتفتتُ مُرَبَّةً إلى زيب فقالت لها : « كأنك يا بنت سليمان تحذت لى عاقبة أمرى فى قطيعتى رحى ، فأردت أن تزبني قطيعة الرحم لأم أمير المؤمنين ! » ، ثم التفتت إلى الخيزران فقالت : « صدقت زيبُ فيما ذكرت عني ، وذلك الفعلُ مني أحلَّني هذا المحلَّ . والسعيدُ من اتعظ بغيره » ، وانصرفت . فبعثتُ إليها الخيزران ما أعاد إليها [ حالها ] ، وكفَّ اختلاها

\*\*\*

٤٩ - وحدثني يوسف بن إبراهيم والذى ، أنه سمع بُطْرُسَ - <sup>(٣)</sup>

اليون ملك  
الروم  
ومينخائيل  
البطريق

(١) مثل بين يديه مثولاً : انتصب قائماً

(٢) المثلة : التمثيل بالميت أو الحى والتشويه . مثل به تمثيلاً

(٣) فى الاصل : « بطوس » ، وسيأتى اسمه فى ص ( ٩٨ )

- رَجُلًا - يَحْدُثُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ :

أَن « نَقْفُورَ الْمَلِكِ » - لَمَّا تَأَدَّى إِلَيْهِ الْخَبْرُ بِوَفَاةِ الرَّشِيدِ -  
جَعَلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا لِلرُّومِ ، ثُمَّ جَعَلَ عِيدًا أَعْظَمَ مِنْهُ فِي الْيَوْمِ  
الَّذِي تَأَدَّى إِلَيْهِ وَقُوعُ الشَّرِّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ ، ثُمَّ عِيدَ عِيدًا  
ثَالِثًا فِي الْوَقْتِ الَّذِي بَلَغَهُ خُرُوجُ أَبِي السَّرَايَا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبُرْجَانِ  
لِيَحَارِبَهُمْ فَقَتَلَ

فَسَأَلَ بِطَارِقَةَ الرُّومِ بِطَرِيقَهُمْ اخْتِيَارَ رَجُلٍ لِيُقْلَدَ مَمْلَكَتَهُمْ ،  
فَاتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَرَبِ يُقَالُ لَهُ « الْيُون » فَلَسَّكَوهُ  
- وَكَانَ ذَا نِكَايَةٍ - فَدَفَعَ عَنْهُمْ وَقْدَةَ الْبُرْجَانِ <sup>(١)</sup> . وَقَوَّى الْيُونِ  
عَلَى ضَبْطِ الْمَمْلَكَةِ ، وَكَانَتْ الرُّومُ فِي أَيَّامِهِ أَعَزَّ مِنْهَا فِي أَيَّامِ نَقْفُورِ ،  
إِلَّا أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ بَسْطَ الْيَدِ بِالْهَيْبَاتِ ، وَالْعَفْوَ عَنْ أَسْرَى  
الْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ اجْتَمَعَتِ الْبَطَارِقَةُ الْإِثْنَا عَشَرَ فِي مَجْلِسٍ عَلَى نَبِيذٍ لَهُمْ ،  
فَتَذَاكُرُوا أَمْرَهُ ، وَاسْتَشْنَعُوا فِعْلَهُ . وَكَانَ أَغْلَظَهُمْ كَدْحًا عَلَيْهِ <sup>(٢)</sup>

مِيخَائِيلُ الْبَطْرِيقُ الَّذِي مَلَكَهُمْ ، وَمَلَكَتْهُمْ امْرَأَةٌ بَعْدَهُ ، فَبَلَغَ اجْتِمَاعُهُمْ  
وَمَا قَالُوا الْيُونُ ، فَوَجَّهَ فِي يَوْمٍ سَبْتٍ إِلَى مِيخَائِيلَ فَأَحْضَرَهُ ، ثُمَّ  
دَعَا بَتْلَيْمُسَ مِنْ شَعْرِ بَطُولِ مِيخَائِيلِ <sup>(٣)</sup> ، فَأَدْخَلَ رَجُلَاهُ فِي قَرَارَةٍ  
« التَّلَيْسِ » ، ثُمَّ أَمَرَ بِالَّتَائِسِ فُرْفُغَ وَأَقِيمَ مِيخَائِيلَ ، فَبَلَغَ رَأْسَ التَّلَيْسِ

(١) الْوَقْدَةُ : الشَّدَّةُ وَالْبَأْسُ وَالْإِتْهَابُ فِي الْحَرْبِ وَمَا شَاكَلَهَا

(٢) الْكَدْحُ : السَّعْيُ الْحَدِيدُ ، وَيُرِيدُ السَّعْيَ فِي إِيْذَانِهِ وَالْإِيقَاعَ بِهِ

(٣) التَّلَيْسُ : وَغَاءٌ كَالْعَبِيَّةِ يَسْتَوِي مِنَ الْخَوَاصِ

إلى رأسه . ثم أمر أن يُحسَى رملًا فُحِشَ ، فبلغ الرمل قَمَ التليس .  
ثم أمر نَحِيطَ بِشَعَرِ جُمَّة ميخائيل <sup>(١)</sup> ، ودعا الطَّابَّاحِينَ فَأَمَرَهُمْ  
أَنْ يُعِدُّوا لَهُ طَعَامًا كَثِيرًا مِثْلَ مَا يُعَدُّ فِي الْأَعْيَادِ ، ثُمَّ قَالَ  
لِلْبَطَارِقَةِ - وميخائيل بين يديه على تلك الحال - : « إِذَا نَحْنُ تَقَرَّبْنَا  
فِي غَدٍ ، أَلْقَيْتُ مِيخَائِيلَ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ تَغَدَّيْنَا وَجَعَلْنَاهُ يَوْمَ  
سُرُورًا » .

قال بطرس : « نَأْتِجُمَعُ الْبَطَارِقَةُ بَعْدَ أَنْصَرَفَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ .  
وَقَالُوا : « هَذَا الْعَرَبِيُّ قَدْ أَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى مِيخَائِيلَ ، وَنَحَافُ أَنْ  
يَجْتَرِئَ عَلَى كَاثِنَتِنَا » ، فَأَجْعُوا عَلَى الْإِشْتِمَالِ عَلَى سَيُوفِهِمْ ، وَالْدُخُولِ  
إِلَيْهِ وَقَتْلِهِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ . ثُمَّ جَلَسُوا لِلْمُشَاوَرَةِ فِيمَنْ يُنْصَبُ  
بِمَكَانِهِ <sup>(٢)</sup> ؛ وَأَسْتَشْرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ يَكُونَ مَلِكًا .  
فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِسَائِرِ الْجَمَاعَةِ : « الصَّوَابُ أَنْ تُمَّاكَرُوا مِيخَائِيلَ ؛ فَإِنَّهُ  
يَرَى أَنَّكُمْ أَنْعَمْتُمْ عَلَيْهِ بِالْحَيَاةِ . فَمَا اسْتَشْرَفُوا إِلَى ذَلِكَ ؛ وَرَأَوْا  
مَوْضِعَ السَّدَادِ مِنْهُ ، فَأَخْرَجُوهُ مِنَ التَّلَيسِ وَغَسَلُوهُ ، وَأَحْضَرُوا  
الْبَطَرِيقَ وَثِيَابَ الْمَلِكِ فَأَلْبَسُوهُ لِيَايَا ، وَأَعْلَبُوهُ أَنَّ الْيُونِ قَدْ قُتِلَ ،  
وَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ » .

« ثُمَّ صَارُوا إِلَى مَجْلِسِ الْمَمْلُوكَةِ وَالْمَوَائِدُ مَنْصُوبَةٌ ، فَقَالُوا لَهُ :  
« تَغَدَّ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِالطَّعَامِ الَّذِي دَبَّرَ الْيُونُ أَنْ يَأْكُلَهُ بَعْدَ قَتْلِكَ » .

(١) الجملة : يجتمع شعر الرأس إذا طال

(٢) نصب مكانه : أقيم مكانه خليفة له



فقال ميخائيل « عازُّ بالملك أَنْ يَطْعَمَ طعاماً وفي عُقْته يدٌ  
لإنسانٍ من أوليائه ورعيَّته ، قبلَ أَنْ يكافئَهُ عنها ، وقد أحيتُموني  
بعد موتِي ، واستَ أَطْعَمَ طعاماً حتَّى يخبِّروني كلَّ إنسانٍ منكم بجميع  
حوادثِهِ في مُدَّةِ عمرِهِ » . فقال كلُّ واحدٍ منهم ما تناهى إليه أمله ، بما يصل  
ميخائيل الملك إليه . فقَضَى جميع حوائجهم ، وسألوهُ الأكلَ فقال :  
« قد فرغنا مما يجبُ لكم ، وَبَقِيَ [ ما ] لله وللملك اليون ، ولا يُحْسَنُ بِي  
أَنْ آكلَ حتَّى أَفعل ما يجبُ لهما » ، ثُمَّ قال للطريق : « ما جزاءُ من منع  
مَلِكاً عليه من شَمِّ النسيمِ وَرَوْحِ الحياةِ (١) ؟ » ، قال الطريق :  
« يُمنَعُ النسيمَ وَرَوْحَ الحياةِ » ، فقال لهم : « قد حَكَمَ عليكم الطريقُ  
بما لا يَجُوزُ خِلافُهُ ! . وأمرُ بضرب أعناقهم وأبتدأ بطعامه

\*\*\*

٥٠ - وما نقله ابنُ المقفع عن الفُرسِ وتعالَمهُ العربُ : سيف بن ذى

يزن وملك  
الحبشة

أَنَّ ملكَ الحبشة لما غلبَ على مملكةِ سيف بن ذى يَزَن ، خرج  
إلى كسرى مستصرخاً إليه ، ومستجيراً به عليه . وكان ملكُ الحبشةِ  
يُجْرى على تَرْجُمانٍ كسرى رزقاً مُثِيباً على تحريفِ دَعْوَى  
المتظلمين منه (٢) . وكان لسكسرى يومٌ في كلِّ شهرٍ يركب فيه ،  
ويقرب من عامته ، ومن لا يصل إليه ممن آتَتْجعه (٣) ، فتَوَخَّى سيف  
ابن ذى يَزَن ركوبَهُ في ذلك اليوم ، فلما رآه قال : « أسعدَ الله

(١) روح الحياة : برد نسيمها وطيبه وخفته

(٢) الرزق المثيب : المصلح للحال بهظيم غنائه

(٣) آتَتْجعه : أتاها يطلب معروفه وخيره

الملك ! أنا سيف بن ذى يزن ، أغار على ممتلك الحبشة بفَرَط تَعَدِيهِ وسوء جَوَّارِهِ ، فأخرجنى من مملكه عَمَرْتُهَا أنا وآبائى مُذًا كَثُرَ من مائتى سنة . وأنا أسأل الملك أن يُنَجِّدنى عليه <sup>(١)</sup> ، ويردنى بطَّوْلِهِ إلى مملكتى ومملكه آبائى » . فسأل الترجمان عن قوله فقال : « يقول : « أنا رجل من جِلَّةِ العرب <sup>(٢)</sup> ، وقد اختلَّت حالى ، واضطرب شملى لشدة الفاقة ، وقد قصدتُ الملك مُسْتَتِرًا به ، ومستميرًا منه <sup>(٣)</sup> ، فأمر له بجائزة . فرأى سيف بن ذى يزن ما لا يشبه ما ابتدأه به

وصبر إلى اليوم الذى يسهل فيه كلامه وانتظره فيه ، فلما رآه قال : « أنا أيد الله الملك ذو نعمته وكفائه ، وإنما رَفَدْتُ على الملك لأَقْتَنِسَ من عزه ، وأتصّر بقُوته » ، فسأل الترجمان عما قال ، فقال : « يقول أُمِرْتُ بما يقصّر عن حاجتى » ، فأمر له بجائزةٍ أخرى . فوقف على تحريف الترجمان لكلامه

فاتنظره فى اليوم الثالث ، فلما رآه قال : أيد الله الملك ، إنَّ الغادرَ ... فأدبى إليه هذا الحرف ، فقال : « الخائن » ... فرأى فى وجه الملك الاستفهام ، فقال : « الكذاب » ... فأشار إليه الملك

(١) أنجده على فلان : أغاثه وأعاناه عليه

(٢) الجِلَّة : جمع جليل ، وهو الكبير العظيم

(٣) استمار فهو مستمير : طلب الميرة ، وهى الطعام والرزق وما إليهما

بيده من هو؟ فأَوَمَّى إِلَى التَّرجُمانِ ، فأَحْضَرَ الملكَ ترجمانا آخر ،  
فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، فَضْرِبَ عُنُقَ التَّرجِمانِ ، وَأَحْسَنَ تَلَقَّى سَيْفَ بَنِ  
ذِي يَزْنَ لَمَّا تَبَيَّنَ مِنْهُ فِي التَّائِي لِإِفْهَامِهِ (١)

ثم أحضره مجلسه فسأله عن مقدار حاجته ، وما الذي يُؤثره  
من أصناف الناس ؟ فقال له : « أسأل الملك أن يُطلق لي من محابسه  
السكران ، فإنهم أصبرُ في المعارك ، وأسمعُ بالنفوس » ، فأطلق له جملة  
من [ في ] الحبس كهولاً بأسرهم ، فحملهم في مراكب ، وركب  
معهم حتى وافي مملكته

فلما نزل جميعهم ، أحرق المراكب ، واعتمد ذلك سرّاً منهم .  
فلما نظروا إلى المراكب قد أحرقت ، قال للرجال : « إنه لا يحسن بكم  
التعذيرُ في القتال فتملكوا (٢) » ، ولكن جدّوا جدّاً من لا نجاة له  
في البحر . فجرد الجيش العناية ، وصدقوا حتى برزوا على من  
أقام بمملكته (٣) ، واحتازوا له طائفةً كبيرةً من أرض الحبشة ،  
وقهر مملكتها واتفق جانبها



أبو الوزير  
وجماعة من  
العمال

٥١ - وحدثني هارون بن ملول ، قال :

« تقلّد أبو الوزير - خالُ أبي أيوب - الخراج على حالِ

(١) ثأني للشيء : ترفق في إثباته وإدراكه

(٢) عذر في الأمر تعذيراً : قصر بعد جهد يبلغه العذر في الإخفاق

(٣) برز عليه : فاق عليه وغلبه

أضطراب من الأولياء . واستعمل - من فرط الاستقصاء على أرباب الخراجات ، وإخراج البقوط <sup>(١)</sup> عليهم - ما ثقلت به وطأته على الناس . وكان له كاتب ذهب عني اسمه ، في النهاية من الجزالة والضبط <sup>(٢)</sup> ، وكان يُعزى إليه أكثر صنيع أبي الوزير ، فقال لي هارون : « فقصدته جماعة من الأولياء ، فأحس بالشر فيهم ، فأغلق الباب عنهم ، ثم تأملهم حتى عرفهم ، فكذب بقحمة : « يا سيدي قتلني فلان وفلان » ، وسمي جماعة رؤسائهم ، وكسروا الباب ودخلوا إليه فقتلوه . وركب أبو الوزير حتى شاهده ، ثم تأمل حائط مجلسه ، فوجد الكتاب بالفحمة ، فقبض عليهم فصدقوا عنه وقتلوا به »

\*\*\*

٥٢ - وكان لرجل من جلة كتاب الجيش بمصر - يعرف بابن الأبرد - رغبة في وصفه بالنصح في أعمال السلطان ، ولا يسه محمد بن أبّا [القائد] ، فقدم العناية به والتعصب له ، ومكن له عند خمارويه محلا رد إليه بعض أعماله من الخراج . واحتاج فيه إلى كاتب يحمل عنه ، فارتاد رجلا يعرف بنصر بن القاسم <sup>(٣)</sup> - يخلف [ابن] الأبرد فيما أُسند إليه - ، فكان يسعى به إلى كاتب خمارويه .

ابن الأبرد  
وكاتبه

(١) البقوط : جمع بقط ، وهو ثلث خراج الأرض والبساتين أو ربحه يلتزمه المعامل

(٢) الجزالة : جودة الرأي وأصااته

(٣) ارتاد الشيء : طلبه متخيراً

هكّـب يوماً رُقعة تشتمل على ما كرهه ابن الأبرد من التّغميز به  
«الانتقاص له»<sup>(١)</sup>، ويشيرُ فيها بأشياء تُفسد محله، وبعث بها إلى  
كاتب خمارويه. فغلط الغلام وجاء به إلى ابن الأبرد، فاستعرض  
فيها أشياء قبيحة، وفارق الكاتب. ورأى الكاتب أنه قد أحرز - بما  
أتاه من السعاية - مكانةً عند كاتب خمارويه. وقُـتِل خمارويه،  
ووثبتت يد كانه على الأمر، فرأى نصر بن القاسم أن يدخلَ في  
جملته، فامتنع من ذلك وقال: «من سعى إلينا سعى بنا»، فمات نصر  
ابن القاسم كدأ

\*\*\*

عمرو بن  
العاص  
وتسكرو

٥٣ - وسمعت سعيد بن عبد الله بن الحكم يقول :

« وُجِدَ في أخبار مصر المسندة أَنَّ عمرو بن العاص عند تغلبه  
على مصر كان يَتَشَكَّرُ ويخرج وحده ، متشبهًا بالرجل من عامته ،  
يليرى ما عليه القَبْطُ من النِّية للمسلمين . فتمادى به السيرُ راجلاً حتى  
لحق بطَرْفٍ من الفُسطاط ، فرأى جماعة قد التَّامَّت على سوءٍ  
فيه<sup>(٢)</sup> ، فقال لها : « اعملوا بي كُلَّ ما تُؤثرون من السوء ولا تردوني  
إلى يد الأمير ، فإني هربت منه » ، فقال بعضهم : « ردُّوه إلى يد الأمير  
فإنه يقتله ، ويكون لكم بذلك عارٌ عند الأمير » . فساوقه إلى دار  
[الإمارة] ، فأخذ يَتَضَوَّرُ ويتأبَّى في سِياقته حتى قُرِبَ من الدار<sup>(٣)</sup> ،

(١) التّغميز : الطعن على الرجل وإظهار غميزته ، أى عيبه

(٢) التأم القوم على الشيء : اجتمعوا عليه

(٣) تضوّر : تلوّى واضطرب وصاح من خوف أو وجع أو جوع

فقام إليه الشرط . فقال : « لا يفوتكم منهم أحد ! » ، فجمعوا له .  
فأتى على آخرهم ، ولم يعاود التسكر ،

\*\*\*

الدفاني  
والخناق

٥٤ - وكنت أعرف شيخاً في أيام حماروبه ، حلوا النادرة ،  
مليح الألفاظ ، يُعرف بالدفاني ، وكان معاشه من التوصل بكتب  
الولاة إلى معلمهم . فحدثني أنه خرج بكتب إلى الشرقية ، فالتقى  
مع رجل في زى بعض المانية من الأطباء <sup>(١)</sup> : « وهو على حمار  
بحر جين ، وكنت على حمار . فاستخبرني عن صناعتى ، فتحسنت عنده  
بأن قلت : « أنا تاجر في الغلات » ، فطمع في ، وكان مُبْتَجِجاً ، <sup>(٢)</sup>  
فقال لي : « هذا موضع طيب ، فلو أكلنا فيه ا » ، فقالت : « ذاك  
إليك ا » ، فأخرج من أحد خرجيه رغيفين شطورين ، <sup>(٣)</sup> فوضع  
أحدهما بين يدي والآخر بين يديه . ثم أخذ كوزاً معه ومضى  
يسعى به ، فشرهت نفسي إلى الرغيف الذى كان بين يديه ،  
فأبدلته حتى صار بين يدي وصار رغيف بين يديه . وجاء بالمساء ،  
وابتدأنا بالأكل ، فما ابتلع لقمة حتى شخس بصره وتمدد <sup>(٤)</sup> ،

(١) المانية . هم المانوية الزنادقة أصحاب ماني

(٢) البنج . نبات يتبذ ، إذا استعمل خدر وفتر وأرقد . وبنجه : سقاؤه منه .

(٣) المشطور : المقتطوع شطرين ، والشطير : نصف الرغيف والجمع  
شطائر ، وستاق

(٤) شخس بصر الميت : إذا ارتفعت أجفانه إلى فوق وجعل لا يطفرف .

واجتاز بنا جماعة فقالوا: «مالصاحبك؟»، قلت: «لا أدري والله!»، فقالوا لي: «أنت مَبْنُجٌ بَنَجْتَ هذا المسكين!»، وساقوني فكان من أظف الله أن خليفة لموسى بن طونيق كان ببلدهم رُيحاًورني يتقلد المعونة، فساقني القوم إليه، والرجلُ محمول معنا، وهم يقودون الحِمَارَيْنِ، وقالوا له: «هذا مُبْنُجٌ وجدناه!». فلما رأني ضحك إلي وقال: «متى تعلمت التبنيج؟»، قلت: «اليوم»، وقصصت عليه خبري، وأخرجت كتاب موسى بن طونيق في برِّي. ففتش خُرْجَه، فوجد فيه شطائر تبنيج وشطائر خالية، ووجد معها أوتاراً للخنق، وأحجاراً للشدخ. فشدخ رأسه بها، وتحنقه بتلك الأوتار حتى فاض<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وإذ وَفَيْتَنَا ما وعدناك به - من أخبار المكافأة على الحسن والقبیح - خاتمة المؤلف  
لللباب الثاني  
مارجوناً أن يكونَ ذلك عَوْناً للاستكثار من مَوَاصِلَةِ الخير، وتطلب العارفة في الحَسَنِ، وزَجِرَ النفس عن متابعة الشر، وإبعادها عن سَوْرَةِ الانتقام في القبيح<sup>(٢)</sup>، وقد قالوا: الخير بالخير والبادي أخير، والشر بالشر والبادي أظلم... رأيتُ أن أصل ذلك - حفظك الله - بطرَفٍ من أخبارِ من ابشيلي فصبر، فكان ثمرة صبره حُسْنُ الْعُقْبَى: لأنَّ النفس إذا لم تُعْنِ عند الشدائد بما يجدد قُوَاهَا، تولَّى عليها اليأس فأهلَكها

(١) شدخ رأسه: كسرها، وفاض الرجل: خرجت روحه فمات

(٢) سورة الخبر وغيرها: حديثها وشدتها ووثوبها في الرأس

وقد علم الإنسان أن سفورَ الحالة عن ضدّها حَتْمٌ لا بدّ منه ،  
كما علم أن انجلاء الليل يُسْفِر عن النهار . ولكنَّ خورَ الطبيعة أشدّ  
ما يلازم النفس عند نزولِ الكوارث ، فإذا لم تعالج بالدواء ،  
اشتدّت العلة وازدادت المِحَنَةُ . والتفكّر في أخبار هذا الباب ،  
بما يشجّع النفس ، ويبيّنها على ملازمة الصبر وحسن الأدب مع  
الرّب عز وجل ، بحسن الظنّ في مُواتاة الإحسان عند نهاية  
الامتحان . والله وليّ التوفيق





إلى بالشيء بعد الشيء مما تختلف عن تلك الوديعة ، ويجوزُ تختلف و غلام بتشطر  
بذلك ، لها ولدٌ يتشطر ويلعبُ بالحمام <sup>(١)</sup> ، فوردت عليهما بدرة  
دراهم <sup>(٢)</sup> ، وقد انتهى بهما السحى فى الإيداع . فقالا للعجوز :  
« صيرى بها إلى ابنك مع هذا الغلام حتى تؤدعيها لنا عنده » ، ففست  
بها والغلام معها ، فحدثنا الغلام قال :  
« صرنا إليه وقد فتح باب البُرج وأخرج فراخاً زُغباً <sup>(٣)</sup> ،  
وهو ينظر إليها ، فأدبنا الرسالة إليه ، فقال : « ليس لى خزانة ولا  
صندوق ، ولكن اجعلها فى هذه المحضنة الخالية من البُرج <sup>(٤)</sup> » ،  
قال : « ففعلت » ،

« وانصرفنا جميعاً على أنه يَمَرِّقُها مع الغلمان وسباق الحمام <sup>(٥)</sup> »

- 
- (١) شطر شطارة وتشطر : خرج عن أهله وتركهم وأعيام خبثاً ،  
وهو الشاطر وهو صاحب الفتوة والمروءة والقوة  
(٢) البدره : كيس يكون فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة  
آلاف دينار والجمع : بدور وبدرات  
(٣) زغب : جمع أزغب ، وهو فرخ الطائر يكون عليه الزغب ، وهو  
أول ما يبدو من دقاق ريشه  
(٤) المحضنة : الموضع الذى يحضن فيه الحمام على بيضته  
(٥) السباق : هم الذين يتراهنون على سباق الحمام

ثم صَلَحَ ما كانَ الثَّانِ من أَمْرِنَا<sup>(١)</sup>، واطمأنت نفوسُنا بما كانَ أخافنا، فبعثنا فيما كُنَّا أودعناه الشيخ، فقال للغلام: «عَاطَتْ بِي، وليست الرسالةُ إِلَيَّ»، فلما رجع بالجواب إلينا، تحيرنا وركبنا إليه، فاستمر في الجحود، وتضاحك بما لقيناه به، ورجعنا وقد لحقنا من فَقْدِ الوديعَةِ أَكْثَرُ ما كُنَّا نخافُهُ من النَّكْبَةِ. وميَّلنا بين مُطالبته بما نُذِبه به على مقدار ما أودعناه<sup>(٢)</sup>، ونُطْمِع مَنْ خَفْنَاهُ، وبين الإمساك عنه، وترئُّص الأيام به، فالتُّ نَفوسنا إلى الإمساك لما اجتمعت لنا الصغائرُ المُغَادِرَةُ للعدل<sup>(٣)</sup>. واجتازت بنا العُجُوزُ فقالت: «قد رددنا ما أودعناه وبقى ابني». واقتضتْنا الغلامُ يحمل البدرَةَ فبعثنا به معها

فخذنا الغلامُ قال: «وافيناه بين يدي السُّرُجِ، فأدَّت العجوزُ إليه الرسالة، فقال للغلام: «ادخلْ نُفْذُها من المِحْصَنَةِ الَّتِي خَلَفَتْها فيها»، فصار بها إلينا الغلامُ وعليها ذَرَقُ الحِمَامِ<sup>(٤)</sup>، فوزَّناها فوجدناها على ما كانت عليه. فكُثُرَ تَعْجُّبُنا من أمانته؛ وأخرجنا من البدرَةِ أَلْفَ درهم، وتقدَّمنا إلى الغلام بالمصير بها إليه. فرجع الغلامُ إلينا فقال: «رمى بها إِلَيَّ وَشَتَمَنِي». فأثرنا ارتباطه<sup>(٥)</sup>،

(١) الثالث الامر : اختلط والتف وفسد

(٢) ميل بين الامرين ، ومايل بينهما : فاضل ووازن

(٣) هكذا في الاصل

(٤) ذرق الطائر : سلحه وخرؤه

(٥) ارتباطه : أوثق صلته به

وقلنا للمجوز: « بصري به إلينا الساعة ! » ، فوافانا ، فقلنا :  
« انبسطنا إليك فانقبضت عنا ! » ، فقال : « الخيانة - أعزكم الله -  
أسهل من أخذ أجره على الأمانة » ، فقلنا : « جزاك الله خيرا ، فقد  
وجدنا فيك ما لم نجد في غيرك » ، فقال : « وتخلّف عنكم شيء مما  
أودعتموه » ، فقلنا : « نعم ! » ، فقال : « عرفوني ، فإنّي أرجو  
أن آخذه لكم بالطرف حيلة » ، فرأيناه - لما فيه من فضل النفس  
وكرم السجية - أهلا لأن نبيّه وسجدنا <sup>(١)</sup> ، فأخبرناه ؛ فقال :  
« ينبغي أن تتقدّما إلى بعض من تثقن به من غلمانك ، أن يقيظ :  
فلعلّي أنأديّه الليلة » ؛ فقلنا : « وما تريد بذلك ؟ » ، فقال : « ما لا  
يجوز أن أبديه ، وأرجو عون الله عليه ، والتفريح عنك به » ، ففعلنا  
ذلك ، وما يتناول سؤلنا إلى ما أتاه <sup>(٢)</sup>

فجمع إخوانا له في عدّة كثيرة من الشُّطّار <sup>(٣)</sup> ، واقنعم على  
المستودع وقال له : « ماجئنا لنهّبك ، ولا نتعرّض لشيء من مالك ،  
وما جئنا إلّا لوديعة أبني عمّرك الأخابري . فإن أدّيتها خرجنا  
وكاننا ما دخلنا . وإن جحدت واعتمدت بصياح قتلناك الساعة ،  
وسهل علينا عقوبتنا فيك وقتلنا بك ، لأننا نرزق الشهادة في القتل  
والمشربة ، إذ كنا نجاهد عمّا اختزلته <sup>(٤)</sup> » ، وضرب إلى لحيته

(١) بثه وجده : أطلعه على ما يكتّم من الأسف والحزن

(٢) السؤل : البغية

(٣) الشطّار جمع شاطر انظر ص (١٠٧)

(٤) اختزل المال : اقتطعه وانفرد به

وَأَعَجَلَهُ<sup>(١)</sup> ، فقال : « هي في هذه الخزانة » . ودعا بغلام ، فقال :  
 « أَخْرِجْ جَمِيعَ مَا [أَوْدَعْنَاهُ أَبْنَا] عُمَرُ » ، فأخرج سَفَطًا كان فيه  
 جواهر ، وسَفَطًا<sup>(٢)</sup> فيه أثوابٌ وثَمِي مذهبٌ صَحَاحًا ، وَبُدُورًا فيها  
 مال<sup>(٣)</sup> ، فقال : « وَاللَّهِ إِنِّي تَخَلَّفْتُ شَيْئًا لَمْ تُطْلَنِّ دُونَكَ<sup>(٤)</sup> » ، ولئن  
 كنت أديت الأمانة لنكوننَّ أولياءَكَ والمقيمين بأمرِكَ ،  
 فوافوا بآبَابِ مَنَازِلِنَا ، فصاحوا بالغلام وهم يحملون الوديعَةَ ،  
 فوضعوها بين أيدينا وحدثونا بحديثهم ، وقالوا : « اسْتَعْرِضُوا  
 وَدِيعَتَكُمْ ، فنحن في الدهلِيزِ حتَّى تَفْرُغَا وَتُخَيِّرَانَا : هل بقي منها  
 شيءٌ أم لا ؟ » ، فلما عرضناها على نَبِيِّهَا عِنْدَنَا<sup>(٥)</sup> ، ماغادرتْ شَيْئًا  
 منه ، وعادت بما رَدَّ إِلَيْنَا نَعْمَتُنَا ، وَآنَحَسَمْتَ فَاقْتَنَّا ، ولم نجد  
 في الجماعة من قبل شيئا مما بذلناه ، وانصرفوا »

\*\*\*

٥٦ - وحديثي أحمد بن أيمن قال :  
 « كنت أكتب في حدائق للعباس بن خالد البرمكي ، وكان  
 طويلَ اللسان مَحْبِي الغَضَب . فإني لجالس بين يديه في داره  
 بمدينة السلام ، حتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا شَابٌّ حَسَنُ الصُّورَةِ رَثُ الهَيْئَةِ »

وجل محتل  
الحال وعباس  
البرمكي

(١) ضرب إلى لحيته : أي ضربها بيده فأمسكها

(٢) السَفَط : الوعاء الذي تعي فيه الثياب

(٣) البدور : جمع بدرة ، انظر ص (١٠٧)

(٤) طل دمه : أهدر وأبطل ديته

(٥) الثبت : جريدة تثبت فيها الأشياء - (الكشف)

فأكب عليه فقال : « ألسنت ابن فلان صديقنا ؟ » ، فقال : « نعم ،  
ياسيدي ! » . فقال : « قد كان حسن الظاهر جميل الهيئة ؛ فما بلغ بك إلى  
ما أرى ؟ » ، قال : « كان تجمله أوفى من عاينته ! وتوفى ، فكننتُ  
أبلغ بما يستعمله الموفى على جأه <sup>(١)</sup> ، إلى أن خان طبعي البارحة  
ولم أطق ستر ما بي فقصدتُك » ، فدعا بمائة درهم ، وقال : « تمسك  
بهذه إلى أن أنظر لك في عائد عليك من الشغل » . فلما قام من عنده  
قال لغلام يثق به : « نُصْ أَثَرَ هذا الفتى ؛ فانظر ما يبتاعه بهذه  
الدرهم وأحصه عليه حتى يدخل منزله ، وأعرف المنزل وصِرْ لي » .  
فرجع إليه وقال : « ياسيدي ! هذا غلام عيار <sup>(٢)</sup> ابتاع بديف  
وثلاثين درهما سميذاً وسكراً وعسلاً ولحماً كثيراً وحوامج  
الأعراس <sup>(٣)</sup> ، وأخذ طباًخاً من طبأخي الأعراس ، وأحسب أن  
عنده دعوة وقد عرفت منزله » ، فقال : « دعه » .

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى وافى الفتى فأعرض عنه ، واستقل  
جلوسه بين يديه ؛ فقال : « ياعمى وسيدى ! ايس يشبه هذا اللقاء  
ما لفتني به في الأولى ! » ، قال : « كنتُ في الأولى راجياً إصلاحك ،  
وأنا اليوم آيس منه » ، فقال : « وكيف ظننت ذلك ؟ » ، قال :

(١) تبلغ بالشيء : اتخذه بلغة يكتنى بها

(٢) العيار : أصله الكثير المحيى والذهاب الذكى الطواف ، وهو

هنا (البلطجى)

(٣) السميد : دقيق تتخذ منه الحلوى

« أخبرني غلامي أنك أنفقتَ إلى أن بلغتَ منزلَك نَيْفًا وثلاثين درهماً ، وكان حقُّك أن لا تزيد على ثلاثة دراهم » ، فقال : « لو عرفتَ خبري لقدّمتُ عُذري ! » ، قال : « ما خبرك ؟ »

قال : « كنت مع تضايقٍ حالي ، أُمِسِكَ نفسي عن المسألة ، وأقتصرُ وأهلي على البُلغة <sup>(١)</sup> . وأنا ساكنٌ وأهلي في ظهر دار فلان - ووصف رجلاً ظاهرَ اليسار من التجار - وقال : « له طاقاتٌ في مطبخه تُفَضِّي إلى منزلي . فأولم وليمةً لأشك في حضورِك إليها . فشرِق منزلي بروائح الأَطعمة ، وكانت الصَّبيّة من صدياني تخرجُ فتقول : « رائحة جدِّي يُشَوِّى ! » وأخرى تقول : « رائحة نَعَانق تُقَلِّى ! » وهذه تقول : « يا أَبَه ! أَسْتَهَي من هذا الفالوذج الذى قد شاعتُ رائحتهُ لقمة ! » ، وقرلهم يُقرِّح قلبي <sup>(٢)</sup> . وأملت أن يدعوني فأتحملَ النزِيل لهُم <sup>(٣)</sup> ، فوالله ما رآني أهلاً لذلك ، فقلت : « راعلَه إذ تَقَصَّتْ عنده من منزلةٍ من يدعوني أن يبعثَ إليَّ ؟ فوالله ما فعل . فبتُ بديلة لا يديتُ بها المُلدوغُ ، فأصبحتُ في الغداة فكنتُ أوثقُ في نفسي من سائر من بدينة السلام . فلما أعطيتني تلك الدراهم اشتريتُ بها حوائجَ أصْلِح منها ما أشتهوه ، فأكلوا أياماً منه ، وهم يدعون الله في الإحسان إليك ، والتخالف عليك »

(١) البُلغة : كل ما يكتفى به

(٢) يقرح قلبه : يجرحه ويملاه قروحاً

(٣) النزِيل : حل الطعام من الوليمة عند الانصراف عنها

فقال له العباس : « أحسنت ! بارك الله عليك ! » ، ثم صاح :  
 « يا غلمان ! أسرجوا لي » ، ولبس ثيابه ، وركب وركبت معه ،  
 ودخل إلى صاحب الصنيع <sup>(١)</sup> فقال : « دعوتني وجماعة ووجوه  
 بذاذ إلى طعام مَقَّتنا الله عليه ! وعرضت نعمتنا الزوال ، وأنفسنا  
 إلى احترام الأعمار ! » ، وقصَّ قصَّة الفتي ، وقال : « عزمتُ على  
 أن أصدق عن كلِّ من حَضَرَ وليمتك <sup>(٢)</sup> ، وتكونُ سبباً لتخلف  
 الناس عنك ، والإمساك عن إجابتك أخرى اللبالي » ، فقال :  
 « أنا أقدي إذاعتك بما غفلتُ عنه بخمس مائة دينار » ، قال :  
 « أحضرها » . فأحضرها ، فقال : « اقْبِضْها » ، فقبضتها  
 ثم ركب إلى جماعة فقال : « أعطوني في مَعُونَةِ رجلٍ من أبناء  
 النعمِ آخَلَّتْ حاله » ، فأخذ منهم خمس مائة دينار أخرى ، ورجع  
 إلى منزله . وقد كان أمرَ الفتي ألاَّ يبرَحَ منه . فأدخله إليه ، وقال :  
 « فِيمَ تهش إليه من التجارة ؟ » ، فقال : « في صناعة الأنماط <sup>(٣)</sup> ،  
 فإنها صناعةُ أسلافنا ، ومنَ بها يَعْرِفُ حُقُوقُنَا » . فدعا برجلٍ منهم  
 حَسَنَ اليسار ، فأخرج إليه الألف الدينار التي أخذها ، فقال : « هذا  
 المالُ لهذا الفتي ، فليكن في دُكانك ، واشترِ له بها ما يُصلحه من  
 المتاع وبُصْرَه به » ، ثم قال للفتي : « احذر أن تُنفِقَ إلا من رِبْحٍ » .  
 فانصرف الفتي ، وقد رُدَّ عليه سِتْرُهُ ،

(١) الصنيع : الولية

(٢) صدق عنه : أخرج صدقة

(٣) الأنماط : جمع نمط ، وهي ضرب من البسط له خمل رقيق

خَلَفَ لِي أَحْمَدُ بْنُ أَيْمَنَ : « أَنَّ بَضَاعَتَهُ تَشْمَرُ <sup>(١)</sup> » ، وَأَرْبَاحُهُ  
اتَّصَلَتْ ، وَعَامَلَتِ السُّلْطَانُ ، وَدَخَلَ فِي جُمْلَةِ التَّجَارِ وَجِلَّتْهُمْ «

\*\*\*

أَبُو يُوسُفَ  
الْقَاضِي  
وَالغَنَوِيُّ  
٥٧ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي عُقْبَةَ ،  
عَنْ أَبِيهِ عُقْبَةَ ، - وَكَانَ عُقْبَةُ هَذَا مُصَادِقًا لِأَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي  
وَتَرَبًّا لَهُ <sup>(٢)</sup> - ، قَالَ :

« كَانَ أَبُو يُوسُفَ قَدْ انْقَطَعَ إِلَى أُنْحَاءِ الْفَقْهِ <sup>(٣)</sup> ، فَأَحْسَنَ الْقَوْلَ  
عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ؛ وَكَانَتْ زِيَادَتُهُ فِي الْعِلْمِ ، بِمَقْدَارِ نَقْصَانِهِ فِي الرِّزْقِ -  
وَكَانَ كُلُّ مَنْ يَسْتَعْرِضُ حَالَهُ بِالسُّكُوفَةِ ، يَشِيرُ عَلَيْهِ [ بِالرُّحْلَةِ ]  
إِلَى بَغْدَادَ . وَيَرَى أَبُو يُوسُفَ صَوَابَ مَا يُشَارُ بِهِ عَلَيْهِ ، فَيَقْعِدُهُ  
نَقْصَانُ حَالِهِ عَنِ الْمَرْكَبِ الْفَارِهِ <sup>(٤)</sup> ، وَاللَّبْسَةِ الَّتِي تُشَبَّهُ مِنْ حِلِّ  
مَحَلَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَتُزْرَعُ إِلَيْهِ مِنْ أَقْصَى النُّوَاحِي <sup>(٥)</sup> »

« وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ كَانَ لِأَبِيهِ ، حَازِقٌ بِعَمَلِ الْجَوَاشِنِ وَالذُّرُوعِ  
وَكَثِيرٌ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ آلَةِ الْحَرْبِ <sup>(٦)</sup> ، وَكَانَ يَأْتِيهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ

(١) تَشْمَرَتْ : نَمَتْ وَكَثُرَتْ ثَمَرَتُهَا وَأَرْبَاحُهَا

(٢) تَرَبُّبُ الْمَرْأَةِ : هِيَ صَاحِبَتُهَا الَّتِي وَلَدَتْ مَعَهَا ، وَأَمَّا الرَّجُلُ فَهُوَ  
« لَدَنَتُهُ وَسَنَهُ »

(٣) أُنْحَاءُ الْفَقْهِ : وَجُوهُهُ وَأَبْوَابُهُ وَنَوَاحِيهِ

(٤) الْفَارِهُ : النَشِيطُ الْحَازِقُ الْقَوِيُّ مِنَ الدُّوَابِّ

(٥) زَرَعُ إِلَيْهِ : قَصْدٌ مِنْ بَعْدِ

(٦) الْجَوَاشِنُ : جَمْعُ جَوْشَنٍ : دُرْعٌ وَزَرْدٌ يَلْبَسُهُ الصَّدْرُ وَالْخِزْمُ

مِنَ الْعُنُقِ



بما يقوته في حاضرة الكوفة ، ولا يُعينه على حَضْرَةِ السلطان .  
فرغب في الغلام عامل للمهدى على الكوفة - قد ذهب عني اسمه - ،  
فطلبه من أبي يوسف - وهو يومئذ من أصاغر رعاياه - ، فباعه  
منه بقسمين ديناراً

« وخرج عند ذلك إلى بغداد ، فارتاد دابةً وثياباً  
« وكان لعبد الله بن القاسم الغنوي - أحد أصحاب الاعمش -  
محلٌّ من المهدي ، ولم يكن في المجالس التي تنعقد ببغداد في الفقه  
أجل من مجلسه . فدخّل أبو يوسف مع كافة من دخل ، مِنْ غير  
تسليم على عبد الله ، ولا مُقدّمة لحضور مجلسه . وكان أبو يوسف  
حَسَنَ الصورة ، جميلَ الإشارة ، لطيفَ التخلّص والاحتجاج ،  
فقبله قلب عبد الله ولم يعرفه

« وجرّت مسائل وأجوبة ، كان حظّ القياس فيها مقصراً ، وكان  
الاحتجاج على ظاهر القول . فتكلم أبو يوسف فيها فأحسن  
الاحتجاج وجوّد ، وأعانه على هذا طولُ لسانه وحُسْنُ بيانه ، ثم  
سألهم فقصّروا عن الجواب ، فأبان عنه لهم برفق . فلما تقضى  
المجلس عاتبه عبد الله على تخلفه عنه وتعريفه مكانه ، وسأله أين  
تُزَل ، فأخبره . فرغب له عن الموضع الذي سكنه ، ودعاه إلى  
منزلٍ بالقرب منه ، وقرّر خبره عند أبي عبيد الله كاتب المهدي ،  
فوصله بالمهدي وأثنى رزقه <sup>(١)</sup> ؛ ثم قرّنه بالهادي فأقام معه مُدّة

(١) أسناه : جملة سنياً أى رفيعاً عظيماً

أيامه ؛ وبلغ مع الرشيد مالم يبلغه عالم بعلمه ، ولا محبوب بمرتبه .

\*\*\*

علي بن سند وأبي الجيش ثابت ٥٨ - وحدّثني علي بن سند - وكان انقطاعه في أيام الموفق والمعتضد إلى أحمد بن محمد بن بسطام ، وكان آل عبيد الله بن وهب يحقّدون [عليه] سوائف منسكرة ، ولم يكن مع عبيد الله من سوء المباداة مامع القاسم آبيه <sup>(١)</sup> . فلما حبس أحمد بن محمد ابن بسطام ، قبض علينا معاشر خلفائه في الأعمال ، وأثبتنا في جريدة <sup>(٢)</sup> ، وتقدّم بإحضارنا إلى داره ، فبثّنا من الحياة - ، وقال لي علي بن سند :

« فلم يكن في جماعتنا أضعف حالاً مني ولا أقل ناصراً ، فرأيت الموت . وحلنا إليه ، وقد أحضر الجلادين والسيّاط والموكّلين بالمعابر <sup>(٣)</sup> ، قال : تقدّم منا رجلٌ من جملة أصحاب أحمد بن بسطام فضرب ، وأخذ خطه بما أعلم أنه لا تصل إليه يده . وبين يديه رجل ظهره إلينا لا نعرفه ، فلما فرغ [من] أمره ، سمعت الذي بين يديه وهو يقول : « هَنَنْتَنِي عَارِفَتَكَ ! » ، فقال : « دَرُهُ ! حتى يرى عظم ماسلم منه بك » ، فقال : « هو يراه غداً » ، فقال القاسم : « سلّموا عليّ بن سند - لا رعاه الله ! - إلى صاحبه أبي الجيش ثابت » ،

(١) باداه مباداة : أظهر له مافي نفسه من عداوة أو غيرها

(٢) الجريدة : ورقة تجرد فيها الأسماء وتكتب (كشف بيان)

(٣) المعابر : هكذا بالأصل ، ولا أدري ماهو ، ولعله يريد بعض

فرايته وقد قبل يده ، ورُدَّتْ على الحياة بشفاعته ، وأُطْلِقَتْ مِنْ غير مصادرة ولا عقوبة <sup>(١)</sup>

« فلما رجع ثابت إلى مكانه ، وصار في رسول القمام إليه ، قال لي : « مرَّ بي اسمك في الجريدة فاستوهبتك ، لأنَّ أباك كان من إخواني » . فجزَّيته الخيرَ على رعايته والدي ، في

\*\*\*

محمد الغوري  
ولص

٥٩ - وحدثني محمد بن صالح الغوري ، قال :

« كانت لي بضاعة أعود بفضائها على شمل ، فأفترقتُ في معاملات في الصَّعيد ، وخرجتُ إلى من عاملته بجمعتها ، وكان مقدارها خمس مائة دينار . وخرجت أريد الفسطاط في رُفَّة كثيرة الجمع ، فلما كان مُتَّصِفُ طريقنا ، وأتى جمعٌ من الصَّعاليك فسلبَ الناس جميعاً . ودَهَشْتُ <sup>(٢)</sup> ، فرأيتُ منهم شاباً حَسَنَ الصورة ، فقلت له : « والله ما أملك غير هذا الكيس ، فارفعه لي عندك ! » ، فقال : « وأين يبيئك بالفسطاط ؟ » ، فقلت : « في دور عباس بن وليد » ، فقال : « ما اسمك ؟ » ، قلت : « محمد الغوري » ، قال : « امضِ لشأنك » . وجاءَ منهم من قَلَعَ ثيابه وسراويله ، وانصرفوا عنا . ولم أزد أن سوَّغْتُ واحداً منهم جميع ما كان معي <sup>(٣)</sup> ، ودخلنا إلى

(١) المصادرة : توثيق الاتفاق على مال يدفع يفترق على أدائه أحد الطرفين

(٢) دهش : تَحْيِرٌ واضطرب

(٣) سوَّغَ : أعطاه له سائغاً سهلاً

الفسطاط ونحن فقراء . فرجع كل واحد منهم إلى ما تخلف له ،  
وبقيت ليس معي درهم أنفقهُ

« وإني لجالس على درجة المسجد بين المغرب وعشاء الآخرة ،  
حتى رأيتُ رجلا قد وَقَفَ بي ، فقال لي : « هاهنا منزل محمد  
الغوري ؟ » ، قلتُ : « أنا هو ! » ، ولأول الله ! ما اهتديتُ إلى الرجل  
الذي أعطيته المال ، لأنه كان عندي أول مال ذاهب ، فقال لي :  
« عَنَيْتِي ! » <sup>(١)</sup> ، وأخرج الكيس فدفعه إلي ، فَرُدَّتْ عليَّ جِدَّتِي  
وتطعمتُ الحياة <sup>(٢)</sup>

وكان بالقرب منّا قائد يُعرَفُ بابن قَرَا ، كذتُ مُعَامِلًا له وكان  
له محلٌّ <sup>(٣)</sup> ، فسألت اللصَّ المبيتَ عندي فَعَقَلَ . فأصبحت وصرْتُ  
إلى ابن قَرَا وقصصت عليه قصّة الرجل ، فقال لي : « الطُفْ لي فيه ،  
فوالله لأنوّهنَّ بِاسْمِهِ ، ولأَكْفِئَنَّهُ عَنْكَ » . فرجعت إليه فأخبرته ،  
فوالله ما آرتاع ولا اضطرب ، وَمَضَى معي : فأحسن تلقّيه ، وخلَعَ  
عليه ، وصيّرهُ سيارَةً لَعَمَلِهِ <sup>(٤)</sup> ، وضمّ إليه عدّة وافرة . ولم يزل في  
حَبِيزِهِ إلى أن تُوفِّيَ »

\*\*\*

(١) عَتَيْتِي : اتعبتني

(٢) الجدة : الوفرة والغنى ، وتطعم الشيء : ذاقه وتمتع به

(٣) يريد : كان له محل رفيع ومكانة

(٤) وردت هذه الكلمة قبل صفحة ٣٨ ولست أحقق معناها ، وهي

على كل حال : عمل من أعمال الدولة في ذلك العصر

٦٠ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب ، عن أبيه ، عن جده مصقلة ومعن

ابن زائدة

واضح ، قال :

« كانت بين المهدي وأخيه جعفر بن أبي جعفر عداوة في أيام المنصور ، وكان مصقلة بن حبيب ينقل عنه إلى جعفر ما يكره ، ولا يمكن المهدي أن يسطو على مصقلة ولا يمسسه بسوء . فلما تولى الخلافة نذر دمه ، فاخفى . فحدثني مصقلة أنه نبأ به موضعه الذي كان به ، فخرج مستترا يريد غيره ، فلحقه رجل من أعدائه وصاح في أصحاب الأرباع <sup>(١)</sup> ، « هذا بُغْيَةُ أمير المؤمنين ! » ، « فقتلوا إلى الشرط ورأيت الموت عياناً . فبينما أنا في أيديهم ، اجتاز بي معن بن زائدة ، فصحت به : « ياسيدي ! يا أبا المنذر ! أخرجني أجازك الله ! » ، فقال للشرط والرجل المنشعبين : « خلوا عنه » ، فقال الرجل : « ماذا أقول لأمر المؤمنين ؟ » ، قال : « تقول له : إنّه عندي » ، ثم أمر بحمل علي جنيبة من جنائبه <sup>(٢)</sup> ، وسار بي إلى منزله ، وقدم طعامه فأكلت معه ومع ولده . فلما فرغنا من الطعام قيل له : « وافي رسول أمير المؤمنين ! » ، فقال لولده : « أقضوا حقّ عليكم بالآل تسلبوا مصقلة ، فقد استجار بي ! » . فحلفوا له

---

(١) أصحاب الأرباع : هم فيما نستظهر من بعض النصوص ، الذين يتولون مراقبة المسافرين ، والنظر في أحوالهم ، ويكون لهم حق حبس الداخلين إلى المدينة عن دخولها ، وقد مضى ذكرهم أيضاً في ص (٥١) والأرباع هنا هي النواحي : أي نواحي المدينة ومداخلها

(٢) الجنيبة : هي الناقة التي يحمل عليها الطعام والميرة ، واجمع جنائب

على ذلك ، وركب

« فلما رآه المهدي قال : « تُجِيرُ عَلَيَّ يَا مَعْنُ ؟ » ، قال : « نعم يا أمير المؤمنين ! » ، قال : « ونعم أيضاً ؟ » ، قال : « يا أمير المؤمنين ! قَتَلْتُ فِي دَوْلَتِكَ زُهَاءَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ عَدُوٍّ ، وَلَا أَسْتَحِقُّ أَنْ أُجِيرَ فِيهَا عَدُوًّا وَاحِدًا ! » ، قال : « نعم تستحقُّ ذلك ، قد وهبناك دمه » ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! ليس هكذا يُنْعَمُ مِثْلُكَ بِالْحَيَاةِ ! إِذَا تَصَدَّقْتَ عَلَى أَحَدٍ بِحَيَاتِهِ فَاجْعَلْهَا فِي خَفِضِ عَيْشٍ مِنْ رِغْمَتِكَ <sup>(١)</sup> » . قال : « يُعْطَى أَلْفَ دِينَارٍ » ، قال : « يا أمير المؤمنين ! لَا تَسْتَوِي جَائِزَتُكَ وَجَائِزَةُ عَبْدِكَ مَعْنُ ! هَذَا مَا سَمَحْتَ لَهُ بِهِ » ، فقال : « آدِفُوا إِلَى جَارِ مَعْنٍ أَلْفَى دِينَارٍ . نُحْمِلَتْ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي ثَلَاثَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَأَمْنْتُ عَلَى نَفْسِي »

\*\*\*

٦١ - وَحَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، قَالَ :  
« لَمَّا تَوَفَّى خُحَارُويه ، قَبَضَ عَلَيَّ - وَعَلَى مُضَرَ وَشَيْبَانَ ابْنَيْ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ - جَيْشُ بْنُ خُمَارُويه ، وَحُسَيْنَا بِدَمَشَقٍ . فَلَمَّا قَفَلْنَا إِلَى مِصْرَ ، حَبَسْنَا فِي حُجْرَةٍ مِنَ الْمَيْدَانِ مَعَهُ . وَكَانَتْ لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَائِدَةٌ نَجْتَمِعُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ فِي الْحِجْرَةِ رِوَاقٌ وَبَيْتَانِ ، وَجُلُوسُنَا فِي الرِّوَاقِ . فَوَافَى خَدَمُ لَهُ ، فَأَدْخَلُوا أَخَانَا مُضَرَ فِي الْبَيْتِ وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَانْفَصَلَ عَنَّا . وَكَانَتِ الْمَائِدَةُ تُقَدَّمُ إِلَيْنَا ، وَنُتَمَنَعُ أَنْ

أولاد ابن  
طولون وابن  
أخيهم

(١) الخفض : السعة والدعة واللين في العيش

نَلْقَى إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْئاً ، فَأَقَامَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ لَا يَطْعَمُ وَلَا يَسْتَنْغِثُ . ثُمَّ  
وَأَقَامْنَا ثَلَاثَةً مِنْ أَصْحَابِ جَيْشٍ ، فَقَالُوا : « مَا مَاتَ أَخُوكُمْ بَعْدُ ؟ » ،  
فَقُلْنَا : « مَا نَسْمَعُ لَهُ حِسَاباً » ، فَفَتَحُوا الْبَابَ فَوَجَدُوهُ حَيًّا ، وَرَأَى  
الْقِيَامَ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، وَرَمَاهُ الثَّلَاثَةُ بِثَلَاثَةِ أَهْصَامٍ فِي مَقَاتِلِهِ فَطَفِئَ <sup>(١)</sup> .  
وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي دَخَلُوا فِيهَا لَيْسَلَةَ جُمُعَةٍ ، وَأَخْرَجُوهُ وَأَغْلَقُوا

### الباب علينا

« وَاقْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ لَمْ يَقْدَمْ إِلَيْنَا طَعَامٌ » ، فَظَنَّنَا أَنَّهُمْ  
يَسْلُكُونَ بِنَا طَرِيقَهُ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْإِحَادِ ، سَمِعْنَا رَجَّةً فِي الدَّارِ  
وُفْتُحَ بَابُ الْحَجَرَةِ ، وَأَدْخَلَ إِلَيْنَا جَيْشُ بَنِي خُزَارٍ ، فَقُلْنَا : « مَا خَبْرُكَ »  
فَقَالَ : « غَلَبَ أَخِي عَلَى أَمْرِي ، وَتَوَلَّى إِمَارَةَ الْبَلَدِ هَارُونَ بْنُ خُزَارٍ » ،  
فَقُلْنَا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَبَضَ يَدَكَ ، وَأَضْرَعَ خَدَّكَ <sup>(٢)</sup> ، فَقَالَ :  
« مَا كَانَ عَزَمِي إِلَّا أَنْ أُحِقَّكَ بِأَخِيكَ » . وَأَنْقَذَ إِلَى جَمَاعَتِنَا  
مَائِدَةً ، فَلَمَّا طَعِمْنَا بَعَثَ إِلَيْنَا خَادِمًا : « إِنَّ جَيْشًا كَانَ قَدْ عَزَمَ  
عَلَى قَتْلِكَ كَمَا قَتَلَ أَخَاكَ ، فَاقْتُلَاهُ وَخُذْ بَأْرَكَ مِنْهُ » ، وَأَنْصَرَفَ عَلَيَّ  
أَمَانٌ ، وَبَعَثَ إِلَيْنَا خَدَمًا ، فَتَسَرَّعُوا إِلَيْهِ فُقُتِلَ . وَأَنْصَرَفْنَا إِلَى  
مَنَازِلِنَا وَقَدْ كُفِينَا عَدُوَّنَا .

\*\*\*

٦٢ — وَحَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَقِيهَ ، قَالَ :

أحد ملوك  
الهند وتاجر

(١) طفق الرجل : خمد وهمد وانطفأ لهب حياته

(٢) أضرعه : أذله وأخضعه

« خرج رجل نعرفه بتجارة ، قَصْدُهُ إلى الهند ؛ فرجع إلينا بأنواع من الطَّيِّبِ كثيرة لها قيمةٌ خطيرة ، وهو في نهاية السُّرور ، فقلنا له : « كم ربحتَ في التجارة التي خرجتَ بها من عندنا ؟ » ، فقال : « غرقتُ وسائرُ من كان معي ، فسلمتُ بِحُشاشةِ نفسى فى جزيرة من جزائر الهند ، فتلَقَّانى قوم فيها وجاءوا بى إلى ملكهم فقال لى : « قد نَفِدَتِ الموهبةُ الخارجةُ عنك ، فما معك من الموهبةِ الثابتةِ عليك ؟ » ، قلت : « معى الكتابُ والحسابُ » ، فقال الملك : « ما بقى لك ، أفضل من الذى ذهب منك ، والصوابُ أن تعلم أبنى الكتابَ بالعربية والحسابَ ، فأرجو أن تُعوِّضَكَ أكثر مما [ فقدته ] » ، وسَلَّم إلى من آبنه : أذكى صَبِيٍّ وألطفه ، فتعلَّم فى مدة يسيرة ما يتعلَّمه غيره فى مدة طويلة

فلما رأى أنه قد تَوَجَّهَ وَاسْتَحَقَّتْ منه الإحسان <sup>(١)</sup> ، صار إلى صاحبِ الملك فقال : « معى هدية من الملك إليك » ، وأدخل إلى بَقَرَةٍ فِتْيَةٍ ، ثم قال : « أدفعها لك إلى الراعى ؟ » ، فقلت : « افعل » ، وصَغَرَ فى عيني أمرُ الملك على عظم شأنه . فما مضى زمنٌ قصير حتى جاء الراعى فقال : « ماتت البقرة ! » ، واستقبلنى كلُّ خاصَّة الملك بالنغم <sup>(٢)</sup> . ثم ظهر فى آبنه تَزْيِدٌ <sup>(٣)</sup> ، فبعثَ إلى

(١) توجه : أى قصد الوجه الصحيح

(٢) تنغم : أظهر النغم والهم

(٣) تزيد : يريد زيادة فى العلم



ببقرة فتية أخرى فردّتها إلى الراعي ، فما مضت مدة يسيرة حتى واثق يبشّرني فقال : « قد حملت البقرة ! » . فلما انتهى حملها وصنعتُ ههنا في حاشية الملك بأثرهم . ثم جلس الملك مجلساً عاماً ، وأحضر التجارة التي رأيتموها معي ، ثم قال :

« لم يذهب عليّ ما يجبُ لك في تعليم ابني ، ولم أبعث بالبقرة الأولى لفضل البقرة عندي . ولكن نزلت بك محنة في البحر أتت عليّ مالك ، فامتحننت بالبقرة ما أنت عليه منها . وعلتُ أني لو أعطيتُك جميع ما ملكت يدي - وقد بقي منها شيء - لضاع منك وهلك لديك . فلما أخبرت أنها ماتت علمت أنك فيها <sup>(١)</sup> . ثم امتحننت أمرك بالبقرة الثانية ، فلما أخبرت أنها قد حملت علمت أنها قد آنحسرت عنك ، فسُررت لك بذلك ، وأستظهرت بانتظار الولادة . فلما ولدت شخصاً كاملاً صحيح الأعضاء ، علمت أنك قد فارقت محنتك . وهذا ما أعددت لك ! » . ثم وصّاني بطيب قومه عشرين ألف دينار ، وحمّلي في البرّ فسلمتُ ، وزاد بأرض العرب ثمنه على ما قومه ،

قال منصور : « فرأيتُه قد أيسر بعد الحلة والتلفيق في

المعاش <sup>(٢)</sup> ! »



(١) قوله « علمت أنك فيها » : أي أن شؤونك ومحنتك متلبسة بها

(٢) أيسر : غني بعد شدة وعسر . والحلة : الفقر

٦٣ - وحدثنى أبو محمد يحيى بن الفضل ، قال :

« اختفى عند والدى كاتب للفضل بن يحيى بن برمك عند إيقاع  
الرشيد بهم ، وكان يُواصل البكاء عليهم ، ولا يسمع الوُعظَ فيهم ،  
فقال له أبى : « أنا أرجو أن يُخْلِفَ الله عليك ولا يُضِيعَكَ » ،  
فقال : « والله ما بُكَّيتُ لما فاتني منهم ، وإنما بكَّيتُ لجسالة  
أخطارهم ونقاسة أقدارهم ، ولقد كان اصاحبي في الجمعة السالفة  
مالم أسمع بمثله أقديماً ولا حديث ، قال لى : « قد كُثِرَ الزَّوَارُ  
علينا <sup>(١)</sup> ، فأنظر مقدارَ من أنصرف ، وأرفع إلى عِدَّةٍ من بقى  
من الزَّوَارِ لا تقدِّمَ في برِّهم ؛ وأحذر أن ترفعَ إلى رجلاً من أهل  
الشَّام » - ، لانه كان يتشيع <sup>(٢)</sup>

« فخرجتُ فألفيت من قُضِلَ عن المنصرفين أربعة وثلاثين رجلاً .  
وجاءني رجلٌ من أهل الشَّام كاملُ الأدب ظريفُ الشَّاهد <sup>(٣)</sup> ،  
فأعلمته ما تُقدِّمُ به إليّ ، فقال : « يا أخى أسألك أن تُغالطَ بى  
وتثبتنى في وسطِ الجريدة » ، ففعلتُ ذلك . فنظر إلى الأسماء ثم  
قال : « ألم أتقدِّمُ إليك أن لا يكون في الجريدة شامى ؟ » ، فقلت :  
« وأين الشامى ؟ » . فوضع - شهد الله - يده على اسمه وحلَّقَ <sup>(٤)</sup> ،

(١) الزَّوَار : هم العقاة والمجتدون وطالِبو المعروف ، وكانوا يسمون  
« السَّوَال » ، فسماهم البرامكة « الزَّوَار » إكراماً لهم عن شناعة اسم السَّوَال .

(٢) يتشيع : يتعصب لشيعة على رضى الله عنه وأهل بيته

(٣) ظريف الشاهد : ظريف اللسان

(٤) حلَّق : أدار حلقة دائرة على الاسم

ووقع بيده لكل واحد غير الشامي، فما قصر بأحدٍ عن مائة دينار، وأمرني بإطلاقها وإنفاقها فيهم . جلستُ أفرقها ، ورائي إلى الشامي ، فأريته اسمه خالياً وحدثته حديثه ، فقال : « لو تُضي شيء لكان ، وأحسن الله جزاءك على ماقدّمته من العنايَةِ بي » ، وأنصرف وقد غمى أمره ، ولم يبق في الزوّار أحد حتى أخذ

« فأنا في منزلي قريباً من نصف الليل ، حتى وافاني رسوله ، فصرّت إليه ، فقال : « أُوِيْتُ الساعة إلى فراشي . واستعرضتُ بفكرى شغل الزوّار وما أمرتُ به لهم ، لحسنَ عندي ، ثم قبّحه في عيني حرمانُ الشامي المسكين ، ورأيتُه نقصاً في مُروتي ، فتقدم في دفع مقدارٍ ما رصل إلى جماعة الزوّار إليه » ، فقلت : « ياسيدي ! وصل إلى جماعة الزوّار خمسة عشر ألف دينار ، وهذا يكفيه ألف دينار ! » ، فقال : « والله ما نفي ألف دينار بغمه . وقد رأى غيره يأخذ وقيامه عنك محروماً ، قم فادفع إليه خمسة عشر ألف ولا تعذّلي ، فالخطأ في الجليل أحسنُ من الصواب في القبيح ، وليس يشكرُ الناسُ من البرِّ إلا ما أفرط ، فأما ما بلغ الحاجة فندى عند أكثرهم ، والواجب على من أثر جميل الذكر أن يتغنم أيامه <sup>(١)</sup> ، ولا يسوّف بشيء من فعله »

قال أبو محمد : « فبكى والله أبي عند هذا الفصل من حديثه حتى خفتُ عليه ، وقال : « ما أجهل الناس بقدر ما فقدوه من

(١) يتغنم الشيء : يفتنم وينتهز

هذا الرجل ! ،

قال الكاتب : « نخرجتُ وَبَثْتُ الرُّسُلَ في طاب الشَّامِ حتى  
وجدوه ، فوافاني وقد انحطَّ أَكْثَرُ لَحْمِهِ في يومٍ واحدٍ ،  
فقصصْتُ عليه القصة ، فحمد الله وأثنى عليه وَشَكَرْنَا جميعاً ،  
وَقَبَضَ المَالَ وَأَنْصَرَفَ على أَحْسَنِ حالٍ »

\*\*\*

والد المؤلف  
وابن المدير

٦٤ - وسمعتُ يوسف بن إبراهيم والدى ، وهو يقول :  
« كانت بيني وبين أحمد بن محمد بن مُدَبَّرٍ سَوَافٍ تُرْعَى وَيُحَافَظُ  
عليها ، فلما تولى مصرَ رأى حُسْنَ ظاهري ، فظنَّ ذلك عن أموالِ  
جمَّةٍ لَدَيَّ . فجدَّ بِي في المطالبة ، وأخرج عليَّ بقايا لعقودٍ انكسرت  
من آفاتٍ عَرَضَتْ لِضِياعِها ، ولم يسمع الاحتجاج فيها ،  
وَأَسْتَقْصَرَ ما أوردته ، و[ظنَّه] إنما كان عن حيلة ، فاحتبسني  
مع المتضمنين . فكان يَغْدُو في كلِّ يومٍ غلامٌ له يحجبه يُعرف  
بِقُضْلٍ ، فيسكتُبُ على كلِّ رجلٍ ما يؤدِّيه في يومه ، فإن شكا  
أنه لا يَصِلُ إلى شيء ، أخرجه فُحِّمَتْ عليه الحجارة ، وَطُوْلِبَ  
أَعْنَفُ مُطالبةٍ »

« فلم يزلُ بِي إلحاحه حتى بعثتُ حُصْرَ دارِي فضلاً عما فيها ،  
وعرضتُ دارِي قَمَنْعَى من بيعها ، وَوَجَّهَ إلَيَّ : « فأين يكون  
حَرْمُكَ ؟ » . فوافاني كاتبِي في يومٍ من الأيام فقال لي : « يشهدُ الله  
أنا ما نَصِلُ لك اليوم إلى ما يُقِيمُكَ ، فضلاً عن شيءٍ تؤدِّيه ! » .

وأمسك فضل غلامه عن الدخول في ذلك اليوم علينا ، وتعرف ما يؤدبه كل واحد منا ، فلما صليت الظهر من ذلك اليوم أنفدني إلى توقيعا نسخته :

« يا أبا الحسن أعزك الله ! قد ألويت بما بقي عليك <sup>(١)</sup> ، وهو سبعة عشر ألف دينار ، وآثرنا صيانتك عن خُطّة المطالبة هذه المدة ، فإن أزلحت العلة فيها ، وإلا سألناك إلى أبي الفوارس مزاحم بن خاقان أيدّه الله ، وسيبت به عليك لأصحابه <sup>(٢)</sup> ، فكتبته إليه رقعة أحلف فيها : « إني ما أملك عدد هذا المال حبّ حنظل : » ولو كان لي شيء لصدّقت به نفسي ! فإن رأى السيد رعاية السالف بيني وبينه وسرّ مخفّف ، كان أهلا لما يأتيه ، وإن سلّني إلى هذا الرجل رجوت من الله عز وجل ما لا يخطئ من رجاء »

« فرجع إلى بعض غلمانه ومعه رقعة محتومة ، فاستر كني . وسار بي إلى مزاحم ، فلما قرئت عليه الرقعة أدخلني إليه ، وعنده كاتب له يعرف بالمروزي فعرفني مزاحم ولم أعرفه - : وكان أبوه في الحارة التي فيها دار أبي يسرّ من رأى ، وربّته أم امرأة لي تعرف بميمونة ، مولاة أم محمد بنت الرشيد ؛ ولا علم لي بشيء من

(١) ألوى ولوى الدين : مظهر وتأخر بالعلل عن قضائه

(٢) سبب عليه : أي جعله سبباً يأخذ عليه مالا من المرسل إليه كان يستحقه لديه ، ويتولى المرسل إليه استخراج المال من الرجل المسبب عليه

هذا فقال : « أنت كاتب إبراهيم بن المهدي ؟ » ، قلت : « نعم ! أيد الله الأمير ، قال : « كنت أراك وأنا صبي في حارتنا ، والله ما طلب ابن المدبر أن يروج عليّ مالا »<sup>(١)</sup> ، وإنما أراد أن أقتلك بالمطالبة . وقد قبلت التسبيب ، ورأيت أن أكتب إلى أمير المؤمنين أعرفه رزوحك وقصور يدك عن هذا المال »<sup>(٢)</sup> ، فإن سهل ، وإلا نَجَمَهُ عليّ وعلى رجالى حتى يُقاصّوا به في كل نَجْمٍ »<sup>(٣)</sup> ، ثم قال للمروزي : « هذا رجل من مشايخي ، وأمّ زوجته ببغداد تولت زبدي ، وقد استكتبته على أموري وما أحتاج إلى قبالة من الضياع بمصر »<sup>(٤)</sup> ، وليس يُزِيلُكَ عن رسيمك »<sup>(٥)</sup> ، وأخذ خاتماً قد كان نُخِثَ به الكُتُبُ بحضرته فأعطانيه . وسألني عن العجوز التي ربّته ، فقلت : « هي بمصر معي ! » ، وانصرفت من عنده إلى منزلي . فكان أول من هنأني بمجلى منه ابن المدبر ، ورجعت إلى نِعْمَتِي معه في مدة يسيرة »



٦٥ - وحدثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب ، قال :

ابن العجمي  
المهندس وابن  
موسى

- (١) روج عليه المال : عجله له
- (٢) الرزوح : العجز والضعف والإعياء من الثقل
- (٣) النجم : الوقت المضروب لأداء المال ؛ ونجم المال : أذاه نجوماً (أقساطاً) في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة
- (٤) قبالة الضياع : كفاالة الرجل أموال خراجها ، واحتماله بأدائها
- ليبت المال
- (٥) الرسم : هو عندهم الولاية على بعض أمر الدولة

« كان إبراهيم بن الأجمي المهندس قد تقاصرت يده واختلت حاله ، فتكلم على شكل من أشكال الهندسة ورفعه إلى مَنْ أوصله إلى المأمون ، قال أبو كامل : خدثني سندی على فقال :

« سأل المأمونُ محمدَ وأحمدَ آبنی موسى بن شاكر المنجم ، عن منزلة إبراهيم بن الأجمي في الهندسة ، فقالا : « منزلة ضعيفة » ، وفيه عامية » ، فقال المأمون للسندی بن شاهك : « أحضرني إبراهيم ابن الأجمي » ، فلما أحضره ووقف بين يدي المأمون ، تهيبه ، فلم تبدُ منه كلمة ، قال : فرأيتُ انقطاعه قد سرَّ آبنی موسى <sup>(١)</sup> ، وقالوا للمأمون : « قد عرفنا أمير المؤمنين أنه ليس بمحلٍّ من يدخل إليه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ! لولا أنك تبسطننا بمناجاتك والمواظبة عليها ، اسكننا بمنزلة إبراهيم في الانقطاع من كلامك : فأما تقصير هذين به في الهندسة ، فإني أشهد سيدي أمير المؤمنين أني من بعض تلامذته ، وعليه آبتدأت قراءة الهندسة ا » ، فأمر بإيصاله إليه مع خاصته ، وأجرى عليه ماوسعه »

« فقلت للسندی : « متى قرأت الهندسة ؟ » ، فقال : « امتعضت والله مما لحقه من تعسف هذين الرجلين <sup>(٢)</sup> ، فنزلت هذا القول لارْدَ به الإصغار عنه <sup>(٣)</sup> » ، فصلحت حاله ، ورجع إلى أفضل ماكان عليه ،

(١) انقطع الرجل : صمت أو أعيا فلم يستطع أن يتكلم أو يعمل

(٢) امتعض : شق عليه الأمر وعظم فتوجع منه

(٣) نزل القول : وضعه وادعاه وتقول كذبا ، والإصغار : التحقير

هذا فقال : « أنت كاتب إبراهيم بن المهدي ؟ » ، قلت : « نعم ! أيد الله الأمير ، قال : « كنت أراك وأنا صبي في حارتنا ، والله ما طلب ابن المدبر أن يروج علي مالا <sup>(١)</sup> ، وإنما أراد أن أقتلك بالمطالبة . وقد قبلت التسبيب ، ورأيت أن أكتب إلى أمير المؤمنين أعرفه رزوحك وقصور يدك عن هذا المال <sup>(٢)</sup> ، فإن سمهل ، وإلا نجّمه علي وعلى رجالى حتى يقاضوا به في كل نعيم <sup>(٣)</sup> » ، ثم قال للمروزي : « هذا رجل من مشايخي ، وأثم زوجته ببغداد توات ربيتي ، وقد استكتبته على أموري وما احتاج إلى قبالة من الضياع بمصر <sup>(٤)</sup> ، وليس يذكرك عن رسمك <sup>(٥)</sup> » ، وأخذ خاتماً قد كان تختّم به السكّاب بحضرته فأعطانيه . وسألني عن العجوز التي ربّته ، فقلت : « هي بمصر معي ! » ، وانصرفت من عنده إلى منزلي . فكان أول من هنا في بمجلي منه ابن المدبر ، ورجعت إلى زعمتي معه في مدة يسيرة »



٦٥ - وحدثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب ، قال :

ابن العجمي  
المهندس وابن  
موسى

- (١) روج عليه المال : عجله له
- (٢) الرزوح : العجز والضعف والإعياء من النقل
- (٣) النجم : الوقت المضروب لأداء المال ؛ ونجم المال : أذاه نجوماً (أقساطاً) في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة
- (٤) قبالة الضياع : كفالة الرجل أموال خراجها ، واحتماله بأدائها لبيت المال
- (٥) الرسم : هو عندهم الولاية على بعض أمر الدولة



« كان إبراهيم بن الأعمى المهندس قد تقاصرت يده واختلت حاله ، فتكلم على شكل من أشكال الهندسة ورفعته إلى مَنْ أوصله إلى المأمون ، قال أبو كامل : خدثني سَنَد بن علي فقال :

« سأل المأمونُ محمدَ وأحمدَ آبنى موسى بن شاكر المنجم ، عن منزلة إبراهيم بن الأعمى في الهندسة ، فقالا : « منزلة ضعيفة ، وفيه عامية » ، فقال المأمون للسندی بن سَاهك : « أحضرني إبراهيم ابن الأعمى » ، فلما أحضره ووقف بين يدي المأمون ، تهيَّبه ، فلم تبدُ منه كلمة ، قال : فرأيتُ انقطاعه قد سرَّ آبنى موسى <sup>(١)</sup> ، وقال المأمون : « قد عرفنا أمير المؤمنين أنه ليس بمحلٍّ من يدخل إليه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ! لولا أنك تبسُّطنا بمناجاتك والمواظبة عليها ، لكنَّا بمنزلة إبراهيم في الانقطاع من كلامك ؛ فأما تقصير هذين به في الهندسة ، فإني أشهد سيدي أمير المؤمنين أني من بعض تلامذته ، وعليه آبتدأتُ قراءة الهندسة » ، فأمر بإيصاله إليه مع خاصته ، وأجرى عليه ماوسعه »

« فقلت للسندی : « متى قرأت الهندسة ؟ » ، فقال : « امتعضتُ والله بما لحقه من تعسف هذين الرجلين <sup>(٢)</sup> ، فنزلتُ هذا القول لأردَّ به الإصغار عنه <sup>(٣)</sup> » ، فصالح حاله ، ورجع إلى أفضل ماكان عليه »

(١) انقطع الرجل : صمت أو أعْي فلم يستطع أن يتكلم أو يعمل

(٢) امتعض : شق عليه الأمر وعظم فتوجع منه

(٣) نزل القول : وضعه وادعاه وتقول كذبا ، والإصغار : التحقير

محمد وأحمد  
ابن موسى  
وسند بن علي قال : ٦٦ - وحدثنى [ أبو كامل ] شجاع بن أسلم الحاسب أيضا «

« كان محمد وأحمد أبنا شاعر - في أيام المتوكل - يكدان كلَّ من ذكر [ بالتقدم ] في معرفة . فأشخصا سَند بن علي إلى مدينة السلام وابعدها عن المتوكل . ودبرا على السكندى حتى ضربه المتوكل ، ورجعا إلى داره فأخذَا كُتْبَهُ بأسرهما ، فأفردها في خزانة سُميت السكندية ، ومكَّن هذا لهما آسَته تار المتوكل بالآلات المتحركة <sup>(١)</sup>

وتقدم إليهما في حفر النهر المعروف بالجعفرى ، فأسندا أمره إلى أحمد بن كثير القرغاني - الذي عمل المقياس الجديد بمصر ، وكانت معرفته أوفى من توفيقه ، لأنه ما تَمَّ له عمل قط - فغاط في فوهة النهر وجعلها أخفض من سائرهِ ، فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائرهِ ، فدافع محمد وأحمد أبنا شاعر في أمرهِ . وأقتضاهما المتوكل ، فُسِعى بهما إليه فيه . فأنفذ مستحشا في إضرار سَند بن علي من مدينة السلام ، فوأتى

فلما تحقق محمد وأحمد أبنا شاعر أن سندا قد شَخَص ، أيقنا بالهلكة وبئسا من رَوْح الحياة <sup>(٢)</sup>

(١) الآلات المتحركة : هى آلات رصد النجوم المعروفة بالاصطرلاب

(٢) روح الحياة : نستمها وطبها

فدعا المتوكل سَنَدًا وقال [له]: ماترك هُذَان الرَّدِيثَانِ شيئًا من  
سوء القولِ إلا وقد ذَكَرَكَ عِندِي بِهِ ، وقد أَتَلَفَا جُمْلَةً من مَالِي فِي  
هَذَا النهر ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى تَتَأَمَّلَهُ وَتُخَبِّرَنِي بِالْغَلَطِ فِيهِ ، فَإِنِّي قَدْ  
أَلَيْتُ عَلَى نَفْسِي - إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وُصِفَ - أَنْ أَصْلُبَهُمَا عَلَى  
شَاطِئِهِ « . وَكُلُّ هَذَا بَعَيْنُ مُحَمَّدٍ وَأَحَدَ وَتَمِيمِهِمَا ، يُخْرِجُ وَهُمَا مَعَهُ  
» فقال محمد [بن موسى لسد]: يَا أَبَا أَحْمَدَ « إِنْ قُدْرَةُ الْحَرِّ تَذْهَبُ  
حَفِيفَتَهُ ، <sup>(١)</sup> وَقَدْ فَرَعْنَا إِلَيْكَ فِي أَنْفُسِنَا الَّتِي هِيَ أَنْفُسُ أَعْلَاقِنَا <sup>(٢)</sup> ،  
وَمَا نُنْكَرُ أَنَّا قَدْ أَسَانَا ، وَالْإِعْتِرَافُ يَهْدُمُ الْإِقْرَافَ ، فَتُخَلِّصُنَا  
كَيْفَ شِئْتَ »

« قَالَ لَهَا : « أَتَمَّا تَعْلِمَانِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْكِنْدِيِّ مِنَ الْعَدَاوَةِ  
وَالْمُبَاعَدَةِ ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَوْلَى مَا أَتَّبِعُ . أَكَانَ مِنَ الْجَلِيلِ مَا أَتَيْنَا  
إِلَيْهِ فِي أَخْذِ كُتُبِهِ ؟ وَاللَّهِ لَا ذِكْرُنَا [بِصَالِحِهِ] حَتَّى تَرُدَّاهَا  
عَلَيْهِ » . فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ شَاكِرٍ فِي حَمْلِ الْكُتُبِ إِلَيْهِ ، وَأَخَذَ خَطَّهُ  
بِاسْتِيفَاتِهِمَا . فَوَرَدَتْ رُقْعَةُ الْكِنْدِيِّ أَنَّهُ تَسَلَّمَهَا عَنْ آخِرِهَا ، فَقَالَ  
لَهَا : « قَدْ وَجِبَ لَنَا عَلَى ذِمَّتِهِمْ بَرْدُ كُتُبِ هَذَا الرَّجُلِ <sup>(٣)</sup> ، وَلَكِنَّا  
عَلَى ذِمَّتِهِمَا بِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَمْ تَرَعِيَاهَا فِي ، وَالْخَطَأُ فِي هَذَا النَّهْرِ يَسْتَبْرَأُ  
مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ بِزِيَادَةِ دَجْجَلَةٍ ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْحِسَابُ عَلَى أَنْ

(١) الحفيظة : الغضب المكتوم في النفس

(٢) الأعلاق : الذخائر النفائس

(٣) الذمام : الذمة والعهد والحق

أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى ، وأنا أخبره الساعة أنه لم يقع خطأ في النهر إبقاءً على أرواحكم ، فإن صدق المنجمون أفلتنا الثلاثة ، وإن كذبوا - وجازت مدته حتى تنقُص دجلة ويُنضب النهر - أوقع بنا ثلاثتنا »

« فمكر محمد وأحمد هذا القول منه ، واستتر الأمر واسترقهها <sup>(١)</sup> به ، ودخل إلى المتوكل فقال [ له ] : « ما غلطا » ، وزادت دجلة ، وأجرى الماء فيه ، واستتر حال النهر ، وقتل المتوكل بعد شهر [ين] من إجرائه . وسلم محمد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعوا ،



حصار أفریطش ٦٧ - وحدثني الحسن بن مسلم الأفریطشي - ورأيت بعد أن علّت سبته وبلغ المائة سنة ، وكان صحيح النميز ، سليم الحواس - قال :

« ألح غزونا على الروم ، ونالهم منا مكروه عظيم . فوجدتم ملك الروم من هذا <sup>(٢)</sup> ، ونذر أن يُخرب أفریطش ولو أنفق ذخائر مملكته . فنظر إلى راهب محبوب تدايم الروم زهادته . فأنزله من متعبده ، وضم إليه أكثر جيوشه ، فوافق جمع لم يُحط بأفریطش مشله قط . ففزعنا إلى غاتي الحصن <sup>(٣)</sup> ، وتسرع الروم إلى بناء

(١) استرقه : استعبده وجعله رقيقاً أو كالرقيق

(٢) وجد من الشيء : غضب في نفسه

(٣) خلق الحصن : أقفاله

مساكن لهم ، وخرجوا من المراكب ، وغلبنوا على ميرة البلد وما يكون في جواره <sup>(١)</sup> . واشتد الحصار ، ونزع السمر ، وتحاق المأكول <sup>(٢)</sup> ، وشاع الجهد <sup>(٣)</sup>

ثم زادت المكاره حتى أكل الناس مامات من البهائم جوعاً ، وأجمعوا على أن يفتحوا الباب له ، فقال لهم شيخ : « إني قد أراكم قد حرمتم التوفيق في قوتكم وضعفكم ! والصواب أن تقبلوا مني ما أشر به عليكم ! » ، قالوا : « قل » ، قال : « أتركوا لله قبيح ما يحملكم عليه تظاهر النعمة والسلامة <sup>(٤)</sup> ، وأخلصوا له إخلاص من لا يجد فرجه إلا عنده ، وأفصلوا صبيانكم من رجالكم ، ورجالكم من نساءكم » . فلما ميزهم هذا التمييز صاح بهم : « عجبوا بنا إلى الله ! <sup>(٥)</sup> » ، فعجبوا عجة واحدة ، وبكى الشيخ وبكى أكثر الناس . ثم قال : « عجبوا أخرى ، ولا تشتغلوا بغير الله » ، فعجبوا عجة أعظم من الأولى ، وبكى الناس أيضاً . ثم عجب الثلاثة وعجب الناس معه ، وقال : « تشرفوا من الحصن <sup>(٦)</sup> ، فإني أرجو أن يكون الله قد فرج عنا »

(١) الميرة : الطعام والزاد

(٢) نزع السمر : غلا ، وتحلق المأكول : هلك أو كاد كذا يكون في أيام القحط

(٣) الجهد : المشقة والعسر من الجوع

(٤) تظاهرت النعمة : تضاعفت وتكاثرت

(٥) عجب بالبكاء والدعاء : رفع صوته

(٦) تشرف : أطل وتطلع

خلف لي الحسن : « إني تشرّفتُ مع جماعةٍ فرأيتُ الروم قد قوّضوا [رحالهم] ، وركبوا مراكبهم . وفتّح باب الحصن ، فوجدوا قوما من بقاياهم فسألوهم عن حالهم : فقالوا : « كان عميد الجيش بأفضل سلامةٍ إلى اليوم ، حتّى سمع ضجّتكم في المدينة فوضع يده على قلبه وصاح : « قلبي اقلبي ! » ، ثم طَفَيْتَ <sup>(١)</sup> . فانصرف من كان معه إلى بلد الروم . وخرجنا عن الحصن ، فوجدنا في تلك الأبنية من القمع والشعير ما وسع المدينة وأعاد إليها خصبها ، [وكفينا] جماعتهم من غير قتال »

\*\*\*

٦٨ - قال أبو جعفر :

سهل بن شنيف  
وابن بسطام

« ولما غلب ابنُ الخليفة على مصر ونواحيها ، لم يكن بمصر أسوأ قدرةً على أسباب أبي [عليّ] الحسين بن أحمد الماذرائي من أحمد بن سهل بن شنيف ، فلم يمضِ شهرٌ حتّى انهزم ابن الخليفة وطُفِرَ به . وُجِّلَ إلى العراق . ودخل بعد ذلك بشهور أبو العباس أحمد بن محمد ابن بسطام إلى مصر متولياً بالأمانة على الحسين بن أحمد ، وكاشفاً لما جرى عليه أمر الضيّاع بعد ابن الخليفة وأصحابه

فقرّر أبو عليّ أمر المتضمين بالحضرة عند أبي العباس ، فعرض بسهل بن شنيف ولم يدع سوءاً إلا ذكره به . فقال أبو العباس : « سيعلم ما يجرى عليه مني ! » . واتصل [الخبر] بسهل بن شنيف

(١) طفئ : انطفأت حياته وخذ

فاسْتَطِيرَ قَلْبُهُ وَكَسَفَ بِهِ <sup>(١)</sup> . وَأَحْضَرَ مَعَ جَمَاعَةٍ أَجْلَبُوا مِنْ  
الْكِتَابِ مَعَ ابْنِ الْخَلِيجِ <sup>(٢)</sup> ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ كَادَ يَقُومُ إِلَى سَهْلِ بْنِ  
شَيْفٍ ، ثُمَّ رَفَعَهُ حَتَّى كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَخْصَ أَصْحَابِهِ . وَدَعَا ابْنَ  
حُبَيْشٍ فَسَارَهُ ، فَنَظَرَ إِلَى سَهْلٍ ، وَقَالَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ : « الْأَمْرُ عَلَى  
مَا وَصَفْتَ » ، ثُمَّ أَطْلَقَ سَهْلًا مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَسَأَلَهُ أَبُو عَلِيٍّ :  
« هَلْ تَعْرِفُهُ قَبْلَ هَذَا ؟ » ، فَقَالَ : « لَا وَاللَّهِ ! وَلَكِنَّهُ وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ  
أَشْبَهُ النَّاسِ بِأَبِي . »

وَأَفْرَخَ رَوْعَ سَهْلٍ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَوُظْفِهِ ، <sup>(٣)</sup> وَمَا زَالَ حَفِيًّا بِهِ  
حَتَّى مَاتَ .

\*\*\*

٦٩ - قَالَ :

المؤلف  
« وَكَانَتْ قَدْ عَمِلْتُ فِي أَيَّامِ ابْنِ الْخَلِيجِ لِحَايَةِ ضِيَّاعٍ كَانَتْ فِي بَدْيٍ . وَابْنُ بَسْطَامٍ  
فَلَمَّا تَمَخَّضَتْ دَوْلَتُهُ اخْتَفَيْتُ وَنَهَيْتُ <sup>(٤)</sup> ، وَخِيفْتُ الْإِقْبَاعَ بِي ،  
وَاعْتَوَرَضِياعِي الْعُمَالُ <sup>(٥)</sup> ، وَأَضَافَتْ حَالِي ، فَاجْتَمَعَ الْخَوْفُ وَالْفَاقَةُ .  
فَرَأَيْتُ - بَعْدَ قُدُومِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ بَسْطَامٍ - فِيمَا يَرَى النَّاسُ ،  
يُوسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي ، وَأَنَا أَشْكُو إِلَيْهِ خَلَّتِي وَخَوْفِي ، فَكَانَتْهُ

(١) اسْتَطِيرَ قَلْبُهُ : ارْتَاعَ وَاضْطَرَبَ ، وَكَسَفَ بِهِ : تَغَيَّرَ وَسَاءَ حَالُهُ

(٢) أَجْلَبَ عَلَيْهِ : أَعَانَ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ

(٣) أَفْرَخَ رَوْعَهُ : أَطْمَأَنَّنَ قَلْبَهُ بَعْدَ فِرَاقِهِ

(٤) تَمَخَّضْتُ : كَادَتْ أَنْ تُولَدَ ، وَقُرْبُ وَلَايَتِهِ الْأَمْرِ

(٥) اعْتَوَرُوا الضِّياعَ : تَدَاوَلُوا بِهَا الْإِذَامَ وَالتَّضْيِيقَ فِي جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ

يقول : « أنا أنكلم في أمرك حتى تعود إلى محبتك » . فلما أصبحت قصصت الرويا على من كنت محتفياً عنده ، وكان حاذقاً بالعبارة <sup>(١)</sup> ، فقال : « يجرى لك فرج بذكر أيك » ،

وطلب أبو العباس بن بسطام الدستورات القديمة ليعتبر منها عبر الضياع <sup>(٢)</sup> . فأخرج إليه ما كان لسنة خمسين ومائتين وما قبلها ، فرأى فيها اسم والدى في ضياع كثيرة ، فقال : « من هذا يوسف ابن إبراهيم ؟ » فقال له أبو علي : « هذا صاحب إبراهيم بن المهدي ، ورَضِيعُ المعتصم » ، قال أبو العباس : « وصاحب كتاب الطَّبِيع » ، قال أبو علي : « نعم » ، قال : « فله ولد ؟ » ، قال : « نعم في ناحيتي » ، قال : « فخذ لي منه كتاب الطَّبِيع » ، وكتاب أخبار إبراهيم بن المهدي ، وصِر به إليّ حتى يقرأهما عليّ » ، قال : « أفعل » ،

وكان إسحاق بن نصير يعرف موضعي ، فقال له : « أحتاج إلى أحمد بن يوسف » ، قال : « تؤمُّنه ، وعليّ إحضاره » ، فكتب له أماناً بخطه ، وحلف فيه ألا يُسوّعني ولا يُطالبني ، فخرجت إليه وأحضرته الكتابين . وفرّج الله عني بأضعف سبب »

\*\*\*

(١) العبارة : تعبير الرويا وتفسيرها

(٢) اعتبر عبر الشيء : استدل على الشيء بالشيء وتدبر حسابه حتى يفهمه .  
والدستورات : جمع دستور ، وهي النسخ المحزرة المكتوبة ؛ يريد دفاتر الحساب



٧. - وحدتني أم آسية - فابله أولاد خمارويه بن طولون ، قابله أولاد خمارويه وأختها وكان لها دينٌ ومذهب جميلٌ ، ومحلٌ لطيفٌ من خمارويه . وقد نذاكرنا أطف الله عز وجل في أرزاق عباده ، وحسن الدفاع عنهم : - أنه تزوجها وأختها أخوان ، فأقبلت حال زوج أختها وأدبرت حال زوجها ، قالت : وتوفى زوجها بأس - ولا حالة ، وخلف لها بنات ، وتعذر عليها تجهيزه من اختلاله . وتوفى زوج أختها ، وقد خلف من العين والمساكن والاولاد ولد أختها : قالت : « فكنْتُ أجاهدُ في مؤنة ولدي ، وإذا وقف أمرى ، صرْتُ إلى أختي فقلت : « أقرضيني كذا وكذا » ، استجيباً من أن أقول لها : « هَبِّي لى ... » . ودخل شهر رمضان ، فلما مضى نصفه ، اشتبهوا على صبياني حلوا في العيد ، فصرْتُ إلى أختي فقلت لها : « أقرضيني ديناراً أعمل به للصبيان حلوا في العيد » ، فقالت : « يا أختي ! تعيظيني بقولك : « أقرضيني » ، وإذا قرضتُك من أين تُعطيني ؟ أمِن غلَّة دورِك أو بُستانك <sup>(١)</sup> ؟ لو قلت : « هَبِّي لى ، كان أحسن » . فقلت لها : « أقرضيك من أطف الله تعالى الذى لا يُحَسَّبُ ، وجوده الذى يأتى من حيث لا يُرْتَقَب » . فمضاحت وقالت : « يا أختي ! هذا والله من المُدنى ، والمُنى بضائع النوكى ا » <sup>(٢)</sup> . فأنصرفتُ عنها أجر رجلى إلى منزلى

(١) الغلَّة : الدخل الذى يغله العقار

(٢) النوكى : جمع أنوك : وهو الاحق الذى لا عقل له

« وكان في جوارنا خانم أسود لبنت اليتيم امرأة تخارويه ،  
فلما بلغت حارتنا قال لي : « في جوارنا امرأة تطلق قد أوجعت  
قلبي <sup>(١)</sup> أدخل إليها فليس لها قابلة <sup>(٢)</sup> » . قالت أم آسية :  
« والله ما عانيت بمخرضة قط <sup>(٣)</sup> ، فدخلت إليها ، فمسحت جوفها ،  
وأجلستها كما كان القوابل يجلسني في طلقي ، فولدت من ساعتها .  
فلما أمسك صياحها ، جاء الخادم يسأل عنها ، فقلت : « قد ولدت ! » ،  
فمجب من سرعة أمرها ، وظن أن هذا شيئاً قد اعتمدته بحذق  
صناعة ، ولطف في مهنته . فضى إلى سته بنت اليتيم - وكانت  
مقرباً بأول ولد حمل لابن الجيش <sup>(٤)</sup> ، وقد عرض عليها قوابل  
استنقلهن - ، فقال : « في جوارنا قابلة أحضرناها المرأة في حارتنا  
تطلق ، فوضعت يدها على جرفها فستط ولدها ! » ، ووصفني  
بما لا يوجد في قدرة أحد إلا بالله عز وجل ! فقالت للخادم :  
« إذا كان غداً فجنني بها ، فأتى الغلام ودعاني إلى مولاته ،  
فأجبت بانسراح صدر وثقة بالله تعالى . فاستخفت روعي  
وقالت : « إلى التمام تقدير الله تبارك وتعالى » . ثم شكت مغساً

(١) طلقت المرأة ( بالبناء المجهول ) : إذا أدركها المخاض ووجع  
الولادة

(٢) القابلة : هي التي تتلقى الولد من بطن أمه ، ( المولدة )

(٣) المخوضة : هي الماخض ، وهي المرأة إذا ضربها الطلق ووجع  
الولادة

(٤) أقربب الحامل وهي مقرب : إذا دنا ولادها

تجده المُقَرَّب<sup>(١)</sup> ، فأدخلتُ يدي في ثيابها ومسحتُ جوفها ، وعَجَّجتُ إلى الله تعالى في سرِّي بتوفيق ، وكنتُ أدعو - ومنَ حَضَرَ من أهلها يترهم أني أرقى - فسكنَ ما وجدتهُ وتبركتُ بي . ودخل إليها خمارويه وقال : « ما وجدتي » ، فقالت : « مَعْساً في جوفي ، فوضعتُ قابلهُ أردتها يدها عليه ، فزال ما أجده ! » ، وأخرجتني إليه - وكان قريباً من حُرْمِهِ - ، فقال لي : « أرجو أن يُخَلِّصها الله عز وجل ببركتك » .

قالت أم آسية : « ودخلنا في العَشرِ الأواخرِ من شهر رَضان ، وقد تمسكتُ من الإخلاص لله عز وجل بما لا يصلُ إليه من سَاحِ في الجبال ، خوفاً من شِماتة أُختي بي . فلم تمض إلا ثلاثُهُ أيام حتى مَحَضَتْ ، فأجلستُها على كُرْسِيِ الولادة - وكان مقدارُ طَلْفِها ساعتين - ، فولدت ابناً أسهلَ ولادةً ، وأبو الجيش يقوم ويقعد ، ويذهبُ ويَجيءُ . فلما ولدت - وكانت تتوقع من الولادة أمراً عظيماً - فلما أَلَقَتْهُ قالت لي : « هذا الطلق ؟ » ، قلت : « نعم ! » فقَبَلَتْ - يَعْلَمُ الله - عَيْنِيَّ مِنَ الفَرَحِ . وصاح خمارويه : « أخبريني بامباركةُ بخبرها » ، فقلت : « وَحْيَةِ الأمير إنها في عافية ، وقد ولدت غلاماً سوى الخَلْقِ بحمدِ الله . فوجَّه إلى ألف دينار ، وألح أبو الجيش في النَّظَرِ إليها لفرطِ إشفاقِهِ عليها ، فاستوقفتهُ إلى أن نقلتُ حَوَائِجَ الولادة وقلتُ لها : « ياسيدي ! أتضحكي في

(١) المغس والمغص : تقطيع يأخذ في أسفل البطن والمعى

وَجْهَهُ كَمَا تَرِيهِ <sup>(١)</sup> . فلما دخل إليها ضحكت في وجهه ، فتقدم  
بصدقة بمال كثير عنها وعن ولده ،

وقالت لى أم آسية : « لما كان يوم الأسبوع - ووقع قبل العيد  
يوم واحد - ، أمرت لى بخمس مائة دينار ، وحصل من أتباعها ألف  
دينار ، فحصل لى ألفان وخمس مائة دينار . وخلعت على وسائر حشمها  
أكثر من ثلاثين خِلعةً ، وحُلَّ إلى مما أعدت للعيد ثلاث موائد  
خاصة . وانصرفت إلى منزلى ، فأرسلت لى أختى مائدةً ، ووافتنى  
مهنئةً ، وقد تقاصر طولها ، فأريتها ما حصل لى من المال والخِلَعِ  
والطَّيبِ ، وقلت لها : « يا أختى ! أنكرت لى على قولى : « أقرضينى ،  
ومن هذا كُنتُ أفْضِلُكَ . فلا تستصغرى من كان الله مادته ،  
وعليه مَدَارُ ثِقَتِهِ وتَعْوِيضُهُ »

واكتسبت هذه المرأة بمحلها من أبى الجيش مالا كثيراً ،  
وقضت لجماعة من وجوه البلد حوائج خطيرة



٧١ - وحدثنى شجاع بن أسلم الحاسب ، قال : قلت لسند بن  
ابن على : « من كان سببك إلى المأمون ، حتى اتصلت به ، وكنت  
[ فى جلسائه ] من العلماء ؟ » . فقال : « أحدثك به :

« كان والدى يتكسب بصناعة أحكام النجوم مع قوم من  
أسباب السلطان يودونه ويحبونه . وتعلق قلبى بعد فراغى من  
(١) كما تریه : تريد ، حين تريه ، وقد مضى مثل ذلك فى ص (١٠)

سند بن على  
والمجسطى

قراءة كتاب أفليدس بكتاب الميجسطي<sup>(١)</sup>. وكان - في أيام المأمون بسوق الوراقين - رجلٌ يُعرف بمروفي ، يُورِّق هذا الكتاب ويبيعه<sup>(٢)</sup> - بعد تكامل خطّه وأشكاله وتجليده - بعشرين ديناراً فسألت والدي أبيّاءه لي ، فقال : « أنظرني يا بُنَيَّ إلى أن يتهيا لي شيء آخذه<sup>(٣)</sup> ، إما من رزق وإما من فضل ، وأبتاعه لك

وكان لي أخٌ لا يشتهي ما [ تقدمت ] أنا فيه من العلم شيئاً ؛ إلّا أنه كان يخذم أبي في حوائجه والإشفاق عليه . فلما سوفى أبي بالكتاب وطالت المدّة فيه ، ركبتُ معه لأمسك ذابته في دخوله إلى من يدخل إليه ، ولي إذ ذاك سبع عشرة سنة . فخرج إلى غلمان من كان عنده فقالوا : « انصرف ، فقد أقام أبوك عند مولانا » . فمضيت بالدابة فبعثتها بسرّجها ولجامها بأقلّ من ثلاثين ديناراً ، ومضيت إلى معروف فاشتريتُ الكتاب بعشرين ديناراً

وكان لي بيتٌ أخلو فيه ، وجئتُ إلى أمي فقلت لها : « قد جنيتُ عليكم جنايةً » ، واقتصصتُ عليها القصة<sup>(٤)</sup> ، وحلفتُ لها : إن شحذتُ أبي عليّ حتّى يمنعني من النظر في الكتاب<sup>(٥)</sup> لا خرُجنَّ

(١) هذان الكتابان من أشهر كتب يونان المترجمة إلى العربية ، الأول في أصول الهندسة ، والآخر في الهيئة

(٢) وزق الكتاب : نسخه وأعدّه كاملاً للبيع

(٣) أنظره : أخره وأجله

(٤) اقتص الشيء : حكاه متتابعاً

(٥) شحذه عليه : حرصه عليه وأغضبه

عنهم إلى أبعد غاية ، ورَدَدْتُ عليها فَضْلَ ثَمَنِ الدَّابَّةِ ، وقلت لها :  
 « أَنَا أَغْلِقُ بَابَ هَذَا الْمَنْزِلِ الَّذِي لِي ، وَأَرْضِي مِنْكُمْ بِرَغِيْفٍ يُلْقَى  
 إِلَيَّ كَمَا يُلْقَى إِلَى الْمَجْبُوسِ ، إِلَى أَنْ أَقْرَأَهُ جَمِيعَهُ » . فَتَضَمَّنْتُ لِي  
 بِتَسْكِينٍ قَوْرَتِهِ ، وَدَخَلْتُ الْبَيْتَ وَأَغْلَقْتُهُ مِنْ عِنْدِي . فَضَى أَخِي  
 إِلَى وَالِدِي فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، فَأَسْرَّ إِلَيْهِ الْخَبْرَ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ،  
 وَتَلَجَّاجَ فِي حَدِيثِهِ ، فَقَالَ لَهُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ : « قَدْ شَغَلَتْ قَلْبِي وَقَلْبَ  
 مَنْ حَضَرَ بِمَا ظَهَرَ مِنْكَ ، فَبَحَقِيَ عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنَا لِمَ ذَا ؟ » ، قَالَ  
 خُذْنَاهُ ، فَقَالَ : « هَذَا وَاللَّهِ يُسْرَتَانِي فِي وَلَدِكَ ؛ فَأَتَعَدُّ فِيهِ بِكُلِّ جَمِيلٍ <sup>(١)</sup> » ،  
 ثُمَّ اسْتَحْضَرْنَا مِنْ لِسْطَبْلِهِ بَغْلًا أَفْرَةً مِنْ بَغْلِ أَبِي <sup>(٢)</sup> ، وَسَرَّجًا خَيْرًا مِنْ  
 سَرَّجِهِ ، وَقَالَ لِأَبِي : « أَرَكَبْ هَذَا الْبَغْلَ ، وَلَا تَكَلِّمْ ابْنَكَ بِحَرْفٍ »  
 قَالَ سَنَدُ : « وَأَقَمْتُ ثَلَاثَ سَنِينَ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ ، لَا يَرَى لِي أَبِي  
 صُورَةً وَجْهِهِ ، وَأَنَا مُجِدِّدٌ حَتَّى اسْتَكْمَلْتُ كِتَابَ الْمَجْسطَى . ثُمَّ  
 خَرَجْتُ وَقَدْ عَمِلْتُ أَشْكَالًا مُسْتَصْعِبَاتٍ وَوَضَعْتُهَا فِي كَعْمَى .  
 وَسَأَلْتُ : « هَلْ لِلْمُهَنْدِسِينَ وَالْحَسَّابِ مَوْضِعٌ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ » ؛  
 فَقِيلَ لِي : « لَمْ يَجْلِسْ فِي دَارِ الْعَبَّاسِ بْنِ سَعِيدِ الْجَوْهَرِيِّ رَجُلٌ  
 الْمَأْمُونُ ، يَجْتَمِعُ فِيهِ وَجُوهُ الْعُلَمَاءِ بِالْهَيْئَةِ وَالْهَنْدَسَةِ » . فَخَضَرْتُهُ ،  
 فَرَأَيْتُ جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ مَشَايِخَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ حَدَّثٌ غَيْرِي ،  
 لِأَنِّي كُنْتُ فِي الْعِشْرِينَ سَنَةً <sup>(٣)</sup>

(١) اتعد : يريد انتظار فيه وعده بكل جميل

(٢) أفرة ، من الفراهة : وهي نشاط الدابة وقوتها انتهى فاره

(٣) الحدث : الصغير السن

« فقال العباس : « من تكون ؟ وفيمَ انْطَرْتُ ؟ » فقلت : « علام يحبُّ صناعة الهندسة والهيئة » ، قال : « ما قرأت ؟ » قالت : « أقليدس والمجسطى » ، قال : « قراءة إحاطة ؟ » ، قلت : « نعم » . فسألني عن شيء مستصعب في كتاب المجسطى ، كان تفسيره في الأوراق التي كانت في كمي ، فأجبتُه . فعجب وقال « مَنْ أمادك هذا الجواب ؟ » ، قلت : « استخرجته قَرِيحَتِي ، وما سمعته من غيري ، وهو وغيره فيما مرَّ بي في وَرَقٍ معي » ، قال : « هاته » . فلما رآه اغْتَاظَ واضطرب ، ثم قال لبعض من بين يديه من غلمانِه : « السَّطِّطْ » <sup>(١)</sup> ، فجئني به ، فنظر إلى خاتمِه فوجده بحاله ، ثم فَضَّه وأخرج منه كُرَّاسَةً فجعل يقابلُ بها الورقَ الذي كان معي ، فكان الكلامُ فيما معه أحسنَ رَصْفًا من الكلام الذي معي . والمعنى واحد

« فقال : « هذا شيءٌ تَوَلَّيْتُ تَبْيِيْنَه من كتاب المجسطى ، فلبَّ أنْ حَضَرَ تَنِيَه تَوَهَّمْتُ أَنَّهُ سَرِقَ مِنِّي ، حتى تَبَيَّنَتْ اَختِلَافُ اللفظين مع اِتِّفَاقِ المعنى » . ثم أمر أن تُقَطَّعَ لِي أَقْبِيَّة <sup>(٢)</sup> ، وُتَرْتَادَ لِي مِنْطَقَةٌ مُذْهَبَةٌ <sup>(٣)</sup> ، فَفُرِغَ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَدَخَلَ بِي إِلَى المَأْمُونِ ، وَأَمَرَنِي بِمِلَازِمَتِهِ ؛ وَأَجْرِي لِي أَنْزَالًا وَرِزْقًا <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

(١) السطط : وعاء نعي فيه الأشياء

(٢) أقبية : جمع قباء ، وهو ثوب تجمع أطرافه من أمام بأزرار

(٣) المنطقه : ما يدور بالبطن كالحزام

(٤) أنزال : جمع نزل ، وهو الرزق

٧٢ - وحدثني أحمد بن أبي يعقوب، قال : حدثني أبي :

« أن جبريل بن بختيشوع كان يخلف الأطباء في دار الرشيد وكانت به نزاهة<sup>(١)</sup>، وبه فاقة شديدة<sup>(٢)</sup>، ورزقه يومئذ ثلاثمائة درهم في كل شهر. فوقع الرشيد في غشية لم يقدّمها علة، فأجمع الأطباء على أنه تالف<sup>(٣)</sup>، وأخبر ابن بختيشوع، فقال : « ماله إلا علاج واحد وهو أن يحجموه<sup>(٤)</sup> »؛ فقال محمد الأمين : « أخاف أن أخطبه »؛ ثم قال « قد أيسنا منه، والصواب أن نمتحن هذا فيه ». فأحضرنا الحجام فجمع الدم في أخذعيه وهو مستلقي<sup>(٥)</sup>؛ ثم أخرج من دمه محجمتين، ففتح الرشيد عيذه، واستدعى طعامه، وأكل ونام

فلما آتته آقتص عليه المأمون ما جرى عليه [ أمره، وأذن ] للداخلين في تهنئته بالسلامة. فلما آكتملوا قال لهم : « يا معاشر الأمراء والأطباء ! إنما أرتبطكم لحراسة نفسي<sup>(٦)</sup>، وقد حدث عليّ حادث لم يُغن عني فيه بعد الله عز وجل إلا هذا الغلام ! ونصيبي متى نزر، ونصيبكم وأقر، فاعدلوا مئيل المماكة بأن يجعل له كل رجل منكم نصيباً من إنعامي عليه وإحساني إليه، حتى يكون له من جماعتكم ما يوازي ما تقدم عليه به في حسن الدفاع عني،

(١) حجمه : أخذ من دمه وامتنعه

(٢) الأخدعان : عرقان في جانب العنق يؤخذ منهما الدم عند الحجامة

(٣) ارتبطه : اتخذه واستبقاه



فتسرع الناس إلى جبريل فأعطوه الضياع والدور والأموال .  
وما رَحَ حتى كان أيسر مَنْ في المملكة ، وتربّت النعمة لديه  
وولده حتى وازت نِعَم الخلفاء

\*\*\*

٧٣ - وحدثني عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان  
والرشيد  
جده ، قال :

« كان لي مجلس في ديوان الإنشاء قليل الجدوى عليّ ، وحالي حال  
لانهمض بما يحتاج إليه المقتصد ، وقد لزمته يمين لا كفارة لها  
في ترك النّبيذ . فكان جماعة الكتّاب يجلسون ماجلس الوزير -  
وهو يومئذ الفضل بن الربيع - ، فإذا آنصرف إلى منزله ، آنصرفوا  
إلى ما عقروا عليه أمرهم من الاجتماع ، وأقيم وُحْدَى في الديوان  
إلى أن يُغفَاقَ

فبكرت إليه في يوم من الأيام ، وجاءت ممطرة تطرب الوزير  
فيها إلى الشرب<sup>(١)</sup> ، لشاغل الرشيد في دعوة لزيدة ، فلم يبق في  
ديوان الإنشاء غيري . فإني لجالس حتى دخل إلى خادم من خاصّة  
الرشيد ، فأخذيدي وأدخلني إلى الرشيد . فلما مثلت بين يديه ، قال اقرأ  
هذا الكتاب ! » ، فقرأته ، فبينته وأعربته فقال : « أجب عنه بين يدي » ،  
فأجبت عنه بأحسن معانٍ وأجود لفظ . فقال : « اقرأه عليّ » ، فقرأته ،  
فقال لمسرور الكبير : « ألف دينار » . فجاء بها ، فقال : « أدفعها

(١) تطرب إلى كذا : طرب

عنهم إلى أبعد غاية ، ورَدَدْتُ عليها فَضْلَ ثَمَنِ الدَّابَّةِ ، وقلت لها :  
 « أنا أَغْلِقُ بَابَ هذا المَنْزِلِ الَّذِي لِي ، وأَرْضِي مِنْكُمْ بِرَغِيفٍ يُلْقَى  
 إِلَى كَمَا يُلْقَى إِلَى المَجْبُوسِ ، إِلَى أَنْ أَقْرَأَهُ جَمِيعَهُ » . فَتَضَمَّنْتُ لِي  
 بِتَسْكِينٍ قَوْرَتِهِ ، ودخلتُ البَيْتَ وأغْلَقْتُهُ مِنْ عِنْدِي . فَمَضَى أَخِي  
 إِلَى والِدِي فِي المَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، فَأَسْرَّ إِلَيْهِ الخَبْرَ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ،  
 وَتَلَجَّجَ فِي حَدِيثِهِ ، فَقَالَ لَهُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ : « قَدْ شَغَلَتْ قَلْبِي وَقَلْبَ  
 مَنْ حَضَرَ بِمَا ظَهَرَ مِنْكَ ، فَحَقَّقْ عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنَا لِمَ ذَا ؟ » ، قَالَ  
 لِحَدِيثِهِ : فَقَالَ : « هَذَا وَاللَّهِ يُسْرَتَنَا فِي وَلَدِكَ ؛ فَأَتَعَّدُ فِيهِ بِكُلِّ جَمِيلٍ <sup>(١)</sup> » ،  
 ثُمَّ اسْتَحْضَرَ مِنْ اسْتَطْبَلَهُ بَغْلًا أَفْرَةً مِنْ بَغْلِ أَبِي <sup>(٢)</sup> ، وَسَرَّجًا خَيْرًا مِنْ  
 مَرَّجِهِ ، وَقَالَ لِأَبِي : « ارْكَبْ هَذَا البَغْلَ ، وَلَا تَكَلِّمْ ابْنَتَكَ بِحَرْفٍ »  
 قَالَ سَنَدٌ : « وَأَقَمْتُ ثَلَاثَ سَنِينَ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ ، لَا يَرَى لِي أَبِي  
 صُورَةً وَجْهِهِ ، وَأَنَا مُجِدُّ حَتَّى اسْتَكْمَلْتُ كِتَابَ المَجْسطَى . ثُمَّ  
 خَرَجْتُ وَقَدْ عَمِلْتُ أَشْكَالًا مُسْتَصْغَبَاتٍ وَوَضَعْتُهَا فِي كُمِّي .  
 وَسَأَلْتُ : « هَلْ لِلْمُهَنْدِسِينَ وَالْحَسَابِ مَوْضِعٌ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ » ؛  
 فَقِيلَ لِي : « لَمْ يَجْلِسْ فِي دَارِ العَبَّاسِ بْنِ سَعِيدِ الجَوْهَرِيِّ رَبِّ  
 المَأمُونِ ، يَجْتَمِعُ فِيهِ وَجُوهُ العُلَمَاءِ بِالْهَيْئَةِ وَالْمُهَنْدِسَةِ » . فَحَضَرْتُهُ ،  
 فَرَأَيْتُ جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ مَشَايِخَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ حَدَّثٌ غَيْرِي ،  
 لِأَنِّي كُنْتُ فِي الْعِشْرِينَ سَنَةً <sup>(٣)</sup>

(١) اتعد : يريد انتظار فيه وعده بكل جميل

(٢) أفره ، من الفراهة : وهي نشاط الدابة وقوتها انتهى فاره

(٣) الحدث : الصغير السن

« فقال العباس : « من تكون ؟ وفيمَ نَظَرْتَ ؟ » ، فقلت : « علام يحبُّ صناعة الهندسة والهيئة » ، قال : « ما قرأت ؟ » قلت : « أقليدس والمجسطى » ، قال : « قراءة لحاطة ؟ » ، قلت : « نعم » . فسألتني عن شيء مستصعب في كتاب المجسطى ، كان تفسيره في الأوراق التي كانت في كمي ، فأجبتُه . فعجب وقال « مَنْ أفادك هذا الجواب ؟ » ، قلت : « استخرجته قريحتي » ، وما سمعته من غيري ، وهو وغيره فيما مرَّ بي في رَزَقٍ معي » ، قال : « هاته » . فلما رآه اغتَاطَ واضطرب ، ثم قال لبعض من بين يديه من غلبانه : « السَّقَطُ » <sup>(١)</sup> ، فجاء به ، فنظر إلى خاتمته فوجده بحاله ، ثم فضَّه وأخرج منه كُرَّاسَةً فجعل يقابلُ بها الورق الذي كان معي ، فكان الكلامُ فيما معه أحسنَ رَصْفًا من الكلام الذي معي . والمعنى واحد

« فقال : « هذا شيءٌ توأيتُ تبيينه من كتاب المجسطى ، فلما أحضرته تبيَّنتُ أنه سُرق مني ، حتى تبيَّنتُ اختلاف اللفظين مع اتفاق المعنى » . ثم أمر أن تُقَطَّعَ لي أَقْيِيَّة <sup>(٢)</sup> ، وتُرَنَادَ لي مِنطَقَةٌ مَذْهَبَةٌ <sup>(٣)</sup> ، ففرَّغ من جميع ذلك في تلك الليلة ، ودخل بي إلى المأمون ، وأمرني بملازمته ؛ وأجرى لي أنزالاً ورزقاً <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

(١) السقط : وعاء تعي فيه الأشياء

(٢) أقيية : جمع قباء ، وهو نوب تجمع أطرافه من أمام بأزرار

(٣) المنطقة : ما يدور بالبطن كالجزام

(٤) أنزال : جمع نزل ، وهو الرزق

٧٣ - وحدثني أحمد بن أبي يعقوب، قال : حدثني أبي :

« أن جبريل بن بختيشوع كان يخلف الأطباء في دار الرشيد وكانت به نزاهة<sup>(١)</sup>، وبه فاقة شديدة<sup>(٢)</sup>، ورزقه يومئذ ثلاثمائة درهم في كل شهر، فوقع الرشيد في غشية لم يتقدمها علة، فأجمع الأطباء على أنه تالف<sup>(٣)</sup>، وأخبر ابن بختيشوع، فقال : « ماله إلا علاج واحد وهو أن يحجموه<sup>(٤)</sup> »؛ فقال محمد الأمين : « أخاف أن أخطربه »؛ ثم قال « قد أيسنا منه، والصواب أن نمتحن هذا فيه ». فأحضروا الحجام<sup>(٥)</sup> بجمع الدم في أخذعيه وهو مستلقي<sup>(٦)</sup>؛ ثم أخرج من دمه محجمتين، ففتح الرشيد عيذه، واستدعى طعامه، وأكل ونام

فلما أتته آفتص عليه المأمون ما جرى عليه [ أمره، وأذن ]  
لداخلين في تهنئته بالسلامة . فلما آكتملوا قال لهم : « يا معاشر  
الأمراء والأطباء ! إنما أرتبطكم لحراسة نفسي<sup>(٧)</sup>، وقد حدث  
عليّ حادث لم يُغن عني فيه بعد الله عز وجل إلا هذا الغلام !  
ونصيبي متى زُر، ونصيبيكم وأقر، فأعدلوا مئيل المملكة بأن يجعل  
له كل رجل منكم نصيباً من إناعي عليه وإحساني إليه، حتى  
يكون له من جماعتكم ما يوازي ما تقدم عليه به في حسن  
الدفاع عني،

(١) حجمه : أخذ من دمه وامتنعه

(٢) الأخدعان : عرقان في جانب العنق يؤخذ منهما الدم عند الحجامة

(٣) ارتبطه : اتخذه واستبقاه

فَفسَّرَ النَّاسَ إِلَى جَبْرِيلَ فَأَعْطَوْهُ الضِّيَاعَ وَالذُّورَ وَالْأَمْوَالَ .  
وَمَا بَرَحَ حَتَّى كَانَ أَيْسَرَ مَنْ فِي الْمَمْلَكَةِ ، وَتَرَبَّتِ النِّعْمَةُ لَدَيْهِ  
وَوَلَدِهِ حَتَّى وَازَتْ نِعَمَ الْخُلَفَاءِ

\*\*\*

٧٣ - وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ  
عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ  
وَالرَّشِيدِ  
جَدِّهِ ، قَالَ :

كَانَ لِي مَجْلِسٌ فِي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ قَلِيلَ الْجَدْوَى عَلَيَّ ، وَحَالِي حَالٌ  
لَا تَنْهَضُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُقْتَصِدُ ، وَقَدْ لَزِمْتَنِي يَمِينٌ لَا كِفَارَةَ لَهَا  
فِي تَرْكِ النَّيِّدِ . فَكَانَ جَمَاعَةُ الْكُتَّابِ يَجْلِسُونَ مَا جَلَسَ الْوَزِيرُ -  
وَهُوَ يَوْمُ مِثْلِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ - ، فَإِذَا أَنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، أَنْصَرَفُوا  
إِلَى مَا عَقَدُوا عَلَيْهِ أَمْرَهُمْ مِنَ الْاجْتِمَاعِ ، وَأَقِيمُ وَحْدِي فِي الدِّيْوَانِ  
إِلَى أَنْ يُغْلَقَ

فَبِكَّرْتُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَجَاءَتْ مَطَرَةٌ تَطَرَّبَ الْوَزِيرُ  
فِيهَا إِلَى الشُّرْبِ <sup>(١)</sup> ، لَفِشَاغِلُ الرَّشِيدِ فِي دَعْوَةٍ لَزِيدَةٍ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي  
دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ غَيْرِي . فَإِنِّي لَجَالِسٌ حَتَّى دَخَلَ إِلَى خَادِمٍ مِنْ خَاصَّةِ  
الرَّشِيدِ ، فَأَخَذَ يَدِي وَأَدْخَلَنِي إِلَى الرَّشِيدِ . فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ أَقْرَأْ  
هَذَا الْكِتَابَ ! ، فَقَرَأْتُهُ ، فَبَيَّنْتُهُ وَأَعْرَبْتُهُ فَقَالَ : « أَجِبْ عَنْهُ بَيْنَ يَدَيَّ ، ،  
فَأَجَبْتُ عَنْهُ بِأَحْسَنِ مَعَانٍ وَأَجْوَدَ لَفْظٍ . فَقَالَ : « اقْرَأْهُ عَلَيَّ » ، فَقَرَأْتُهُ ،  
فَقَالَ لِمُسْرُورِ الْكَبِيرِ : « أَلْفَ دِينَارٍ » . لِحَاجَتِهَا ، فَقَالَ : « آدِفْهَا

(١) تَطَرَّبَ إِلَى كَذَا : طَرَبَ

إليه ، وَقُلْ لِلْفَضْلِ يَصْرِفْ إِلَيْهِ دِيوانُ الْإِنْشَاءِ <sup>(١)</sup> . فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ  
مَنْ غَادَرَهُ . ثُمَّ قَالَ لِي : « خذْ هَذَا الْمَالَ ، وَسَأُنْظُرُ لَكَ فِي الْوَقْتِ  
بَعْدَ الْوَقْتِ مَا يَزِيدُ فِي اصْطِنَاعِي لَكَ ، فَلَا يُفْسِدُ الْغَنَى مَا أَصْلَحَتْهُ  
الْفَاقَةُ مِنْ حُسْنِ مِلَازِمَتِكَ ، وَاسْتَرِدَّنِي أَرْدُكَ »

قَالَ عَمْرُو : « فَاجْتَمَعَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ أَنْ يُشْرِكَ بِنِي وَبَيْنَ  
مَنْ كَانَ يَتَوَلَّى الْإِنْشَاءَ ، فَلَمْ يُطْلَقْ لَهُ الرَّشِيدُ ذَلِكَ وَأَفْرَدَنِي بِهِ <sup>(٢)</sup> ،  
حَتَّى فَرَّقْتَ الْيَوْمَ بَيْنَنَا »

## خاتمة

كَلِمَاتُ لِلْفَلَسَفَةِ  
وَالْحِكْمَاءِ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ بَزْرُجُمُور : « الشَّدَائِدُ قَبْلَ الْمَوَاهِبِ ، تُشْبِهُ  
الْجُوعَ قَبْلَ الطَّعَامِ : يَحْسُنُ بِهِ مَوْقِعُهُ ، وَيَلْذَّ مَعَهُ تَنَاوُلُهُ »  
وَقَالَ أَفْلَاطُونُ : « الشَّدَائِدُ تُصْلِحُ مِنَ النَّفْسِ بِمَقْدَارٍ مَا تُفْسِدُ  
مِنَ الْعَيْشِ ، وَالتَّعَرُّفُ يُفْسِدُ مِنَ النَّفْسِ بِمَقْدَارٍ مَا يُصْلِحُ مِنَ  
الْعَيْشِ <sup>(٣)</sup> »

وَقَالَ : « حَافِظْ عَلَى كُلِّ صَدِيقٍ أَهْدَتْهُ إِلَيْكَ الشَّدَائِدُ ، وَآلَهُ  
عَنْ كُلِّ صَدِيقٍ أَهْدَتْهُ إِلَيْكَ النِّعْمَةُ ،  
وَقَالَ أَيْضاً : « التَّرَفُ كَاللَّيْلِ : لَا تَتَأَمَّلُ فِيهِ مَا تُصْدِرُهُ أَوْ تَتَنَاوَلُهُ »

(١) صرف إليه كذا : ولله إياه

(٢) أطلق له : أذن له

(٣) التعرّف : الترف والترفة في العيش

والشدة كالنهار: ترى فيها سَعْيَكَ وَسَعْيَ غَيْرِكَ،

وقال أردشير: « الشدة كُحْلٌ تَرَى بِهِ مَا لَا تَرَاهُ بِالنَّعْمَةِ »



خاتمة المؤلف  
لهذا الباب

ورملاك مصلحة الأمر في الشدة شيْتان : أصغرهما قُوَّةُ قلب صاحبه على ما يُؤْتِيهِ ، وأعظمهما حُسْنُ تفويضه إلى مالكه ورازقه وإذا صَمَدَ الرجلُ بفكره نحو خالقه <sup>(١)</sup> ، علم أنه لم يمتحنه إلا بما يُوجِبُ له مَشُوبَةً ، أو يُمَحِّصُ عنه كبيرة <sup>(٢)</sup> ، وهو مع هذا من الله في أرباح متصلة ، وفوائد متتابعة

فأما إذا اشتدَّ فكره تلقاء الخليفة ، كثرت رذائله ، وزاد تصنُّعُه ، وبرِمَ بمَقَامِهِ فيما قَصُرَ عن تأمُّله ، واستطال من الخِصْنِ ما عسى أَنْ يَنْقِصَ في يومه ، وخاف من المسكروه ما لَهَّ أَنْ يُخْطِئَهُ

ولأنما تصدُقُ المناجاةُ بين الرجل وبين ربِّه لعلَّه بما في السرائر ، وتأْييده البصائر . وهي بين الرجل وبين أشباهه كثيرة الأذية ، خارجة عن المصلحة

ولله تعالى رَوْحٌ يَأْتِي عِنْدَ الْيَأْسِ مِنْهُ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ <sup>(٣)</sup> ، وإليه الرِّغْبَةُ في تقريب الفَرَجِ وتسهيل الأمر ، والرجوع

(١) صمد إلى كذا : قصد وتوجه ومضى إليه

(٢) حص عنه الذنب : نقصه وأسقطه عنه

(٣) الروح : رحمة الله ، فإن الراحة كلها معها

إلى أفضل ما تطاول إليه السُّؤل ؛ وهو حسبي ونعم الوكيل

---

تم الكتاب

والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد النبي وعلى آله  
وعترته الطاهرين وسلامه



# فهرس الاعلام

أحد بن أبي يعقوب بن واضح : ٦٦١ و ٦٤٥

١٤٤١ و ١١٩٨٣

أحد بن يوسف (كاتب أحد بن وصيف)

٥٢

أحد بن يوسف بن إبراهيم أبو جعفر (مؤلف

الكتاب) : ١ و ٦ و ٢٥ و ٢٨ و ٥٢ و ٥٦

١٤٦١ و ١٣٦١ و ١٣٥٥

أخو أحد بن يوسف (مؤلف الكتاب) : ٥٦

أحد بن يوسف بن جعفر بن سليمان

الغاشي : ٦٨

أبنا الأرقط : ٥٦

أردشير : ١٤٧

إسحق بن إبراهيم (عم المؤلف) : ١١

إسحق بن إبراهيم بن تميم : ١٣ و ٢٣ و ٢٥

إسحق بن تميم (إسحق بن إبراهيم ....)

إسحق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن

عباس : ١٥

إسحق بن نصير العيادي : ١٦ و ١٧ و ١٣٦

إسماعيل بن أسباط : ١٢

الأعشى : ١١٥

أفلاطون : ٤٨ و ٤٩ و ٦٧ و ١٤٦

اليون (ملك الروم) : ٩٧ و ٩٩

الامين : ٩٧ و ٩٨

بن أمية : ٨٢

أبو أيوب : ٨٨ و ١٠١

## ب

أبن بختيشوع (جبريل ....)

بذل (جارية) : ٦٤

البرامكة : ٤٥

البريجان : ٩٧

أبن بروخ : ٤٨ و ٤٩

بروجهر : ١٤٦

بشر المريسي : ٦٤

بطرس : ٩٦ و ٩٨

## ١

أم آسية (قابلة أولاد خمارويه) : ١٣٧ - ١٤٧

إبراهيم الامام : ٩٦

إبراهيم بن الأعرجي المهندس : ١٣٩

إبراهيم بن المهدي : ١٥ و ١٦ و ٦٢ و ٩٥ و ٩٧

١٣٦ و ١٢٨

أبن الأبرد : ١٠٢

أحد بن أسباط : ١٣

أحد بن آيين : ٥٨ و ٦١ و ١١٠ و ١١٤

أحد بن إسحاق : (أحد بن محمد بن إسحاق)

أحد بن خالد الأحمول : ٤٦

أحد بن خالد الصيرفي : ٦٥

أحد بن دعيم : ٧

أحد بن سقلاب : ٥٢

أحد بن سهل بن شيف : ١٣٤

أحد بن صالح : ٥٢

أحد بن طغان : ٤٠

أحد بن طولون : ٧ و ٩ و ١٢ و ١٣ و ١٨ و ١٩ و ٢٨

٢٩ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٦ و ٥٨

٧٥ و ٧٥ و ٨٥ - ٨٥ و ١٢٠

أحد بن علي (أبو الطيب) : ٣١

أحد بن أبي عمران الفقيه : ٦٤ و ١١٤

أحد بن كثير القرغاني : ١٣٠

أحد بن محمد : (أبن أبي عصمة)

أحد بن محمد بن إسحاق (أبو العباس) :

١٣٦ - ١٣٤ و ١٣٦

أحد بن محمد بن مدير : ٨٥ - ٩١ و ١٢٦ و ١٢٨

أحد بن مدير (أحد بن محمد ....)

أحد بن موسى بن شاكرك المنجم : ١٣٩

١٣٠ و ١٣٢

أحد بن وصيف : ٥٢

أحد بن وليد : ١٦ و ١٨



على بن الحسين القاضى (أبو عبيد) : ٧٦  
 على بن سند : ١١٦  
 ابن عمر الأخبارى : ١٠٩  
 عمر بن فرج الرنجى : ٢٦  
 عمر بن يزيد البرقى : ٧٧  
 عمرو بن العاص : ١٠٣  
 عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٥ و ١٤٦  
 عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٥  
 العمري : (أبو عبد الرحمن ...)  
 عيسى بن على بن عبد الله بن عباس : ١٥

## ف

الفرس : ٩٩ و ٦٨  
 الفرغانى (أبو محمد عبد الله) راوى  
 الكتاب : ١  
 الفضل (أبو يحيى) : ١٢٤  
 الفضل بن الربيع : ١٤٥ و ١٤٦  
 الفضل بن سهل : ٤٨٤ و ٤٨٥  
 الفضل بن يحيى بن برمك : ١٢٤  
 فهم : ٣٨ و ٣٧  
 أبو الفياض (سزار بن أبي شراة)  
 فيروز : ٦٨ - ٧٢

## ق

القاسم بن شعبة : ١٨ - ٢٠  
 القاسم بن عبد الله بن وهب : ١١٦ و ١١٧  
 القبط : ١٠٣  
 ابن قرا : ١١٨

## ك

كسرى : ٨٣ و ٩٩  
 كسرى (أبرويز) : ٧٨  
 الكندى : ١٣٠ و ١٣١

## م

المأمون : ٢٤ و ٤٧ و ٩٧ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٤  
 ماجور : ٨٨ - ٩٠  
 ماشاء الله بن مرزوق : ٦٥  
 المبرد : ١٧ و ١٦  
 المتوكل : ٤٢ و ٧٢ و ١٣٠ و ١٣٢

شعير الخادم : ٧٤

شيبان بن أحمد بن طولون : ١٢٠  
 الشير : ١٢

## ص

صاعد : ٣١ و ٣٣

## ط

الطائى : ٣٢ و ٣٣  
 أبو طالب (الخلج)  
 طاهر بن الحسين : ٤٧  
 ابن طباطبا (محمد بن إسماعيل) : ٩٢  
 ابن طغان : (أحمد ...) : ١٠

## ع

بنو العباس : ٨٢  
 أبو العباس (السفاح) : ٨٢  
 العباس بن خالد البرمكى : ١١٠ و ١١٣  
 العباس بن سعيد الجوهري : ١٤٢ و ١٤٣  
 أبو العباس الطرسوسى : ١٩ و ٨٧  
 عباس بن وليد : ١١٧  
 أبو عبد الرحمن العمري : ٧ و ٩ و ١٠ و ٧٦  
 عبد العزيز بن خالد الأموى : ٣  
 عبد الله الفرغانى (راوى الكتاب) : ١  
 عبد الله بن القاسم الثنوى : ١١٥  
 عبد الله بن المقفع : ٦٨ و ٩٩  
 عبيد الله بن وهب : ١١٦  
 أبو عبيد الله (كاتب المهدي) : ١١٥  
 العجم : ٨٣  
 عدى بن زيد : ٧٨ و ٧٩  
 ابن عدى بن زيد : ٧٩ و ٨٠  
 العرب : ٩٩  
 ابن أبي عصمة (أحمد بن محمد) : ٤٠  
 عقبة : ١١٤  
 العقيق : ٥٦  
 علان بن المنيرة : ٥٢ و ٥٥  
 أبو على : ١٣٦  
 على المتطبب : (الديدان)

منصور بن إسماعيل الفقيه : ١٢١  
المهدي : ١١٩٦٢٠١١٥١١٩٦١  
موسى بن طونيق : ١٠٥  
موسى بن مصلح : ( أبو مصلح )  
الموفق : ٣٣٣١  
ميخائيل البطريق : ٩٧ - ٩٩  
ميمونة ( مولاة أم محمد بنت الرشيد ) : ١٢٧



ناثي : ٥٩  
نافع بن مصقلة : ٨٢  
نجاح بن سلة : ٣٤٥٣٣  
نسيم ( خادم ابن طولون ) : ٧٥٧٧٤  
نصر بن القاسم : ١٠٢  
نعت ( مولاة ابن طولون ) : ٨٨  
النعمان بن المنذر : ٨٠٧٧٩  
نقفور ( ملك الروم ) : ٩٧

# ه

الحادي : ٦١ - ١١٥٦٢٣  
هارون بن خيارويه : ١٢١  
هارون بن ملول : ٥ - ١٠١٨٤٤٤٢٥٢٠٧  
هاشم : ٩٥  
هزيمة بن أعين : ٦٢٣٦١  
هشام بن عبد الملك : ٩٥٦٦٦١٥٥٦٦٦  
الهياطة : ٦٨ - ٧١  
الهيثم بن ددي : ٧٨

# و

الواثق : ٧٣٧٧٢  
الواسطي ( أبو عبد الله ) : ١٤١٢٣  
واضح ( مولى المنصور ) : ١١٩٨٤٦٦٦  
أبو الوزير : ١٠١٨٨٨

# ي

ياسين بن زارة : ٤٤٥٤٢  
بنت اليتيم ( امرأة خارويه ) : ١٣٨

حارب بن سلة ( كاتب خالده القسري ) : ٣  
أم محمد : ٩٥٥٠  
محمد بن أبا : ١٠٢  
محمد بن إسماعيل : ( ابن طباطبا )  
محمد بن جعفر بن المنصور : ٦٤  
أم محمد بنت الرشيد : ١٢٧٩٥٥  
محمد بن أبي الساج : ٩١  
محمد بن سليمان : ١٥٥٠  
محمد بن صالح الغوري : ١١٧  
محمد بن عامر الخاني : ٩٤  
محمد بن عبد الله بن الحكم : ٣٨  
محمد بن عبد الملك الزيات : ٧٧٧٢٣  
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ( أبو الخلقاء ) : ١٥٠  
محمد بن عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٥  
محمد بن موسى بن شاكر النجم : ١٣٢ - ١٣٩  
محمد بن مرثمة : ٧٢  
محمد بن هلال : ٩١٨٩٠  
محمد بن يزيد : ٣٦  
مروان بن محمد الجعدي ( آخر بني أمية ) :  
٩٦٩٥٨٤  
المروزي : ١٢٨١٢٧  
مرية زوج هشام بن عبد الملك : ٩٦٩٥٥  
مراحم بن خاقان أبو الفوارس : ١٣٧  
مسافر : ٣٧٣٦  
مسرور الكبير : ٦٢٣ و ١٤٥٦٤  
أبو مسلم الخراساني : ٨٥٨٤  
مسلم بن حنيفة : ١١٤  
مسلة بن عبد الملك : ١٥ و ١٦  
مصقلة الحمصي : ٨٢  
مصقلة بن حبيب : ١١٩  
أبو مصلح ( موسى بن مصلح ) : ٥٧٩٩  
مضر بن أحمد بن طولون : ١٢٠  
المعتصم : ١٣٦  
معروف الوراق : ١٤١  
معن بن زائدة : ١١٩٦١  
المتنصر : ٤٣٤٢٣٦  
المنصور : ١١٩٩٥٨٤٦٦٦

أبو يعقوب بن واضح : ١٤٤٥ و ٨٣ و ١١٩ و ١٤٤	يحيى بن خالد بن برمك : ٤٨ و ٤٦ و ٤٥
أبو يوسف القاضى : ٦٢ - ١١٤ و ٦٤	يحيى بن الفضل : ١٢٤ و ٢٦ و ٣
يوسف بن إبراهيم ( والد المؤلف ) : ١٥	يحيى بن نجمه : ٢٦
و ٢٨ و ٢٩ و ٥٦ و ٥٧ و ٦٢ و ٩٥ و ٩٦ و ١٢٦	يزيد بن معاوية : ٨١
و ١٣٥ و ١٣٦	ابن يعمر : ٩٤ و ٩٣
يوسف بن عمر : ٣	يعقوب : ( أبو يوسف القاضى )
	يعقوب بن إسحق بن تميم : ٣٣

# فهرس الأماكن

الزملة : ٩٠	ا
س	الأبلة : ٥٨
سر من رأى : ١٢٧	الاسكندرية : ٢١
سمسطا : ٣٧	أقريطش : ١٣٢
ش	أغناس : ٣٧ و ٣٦ و ٢١
الشام : ٤٣ و ٣٠	ب
الشرقية : ١٠٤٠	بغارى : ٢٧
ص	البصرة : ٥٩ و ٥٨
الصعيد الأوسط : ١١٧ و ٧	بنداد : ١١٥ و ١١٤ و ٩٠ و ٥١ و ٤٢ و ٣٣ و ١٧ و ١٦
ظ	و ١٢٨ (مدينة السلام)
طرسوس : ٤٩	الهنسا : ٣٧
طوس : ٤٧	بوصير الأشمونين : ٨٥
ع	ت
العراق : ١٣٥ و ٩٣ و ٨٢ و ٨٠ و ٥١ و ٣	تليس : ٣١ و ٣٠
غ	ج
الغور : ٨٦	الجعفرى (نهر) : ١٣٠
ف	ح
قارس : ٦٨	حديثة الموصل : ١٦
القسطاط : ٢١ و ٢٤ و ٣٠ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٥ و ١٠٣	حران : ٩٥
و ١١٧ و ١١٨	الحره : ٨١
ق	حصن مسلة : ١٦
قصر الجيزة : ٢٣ و ٢٢	حصن : ٨٢
قصر وصاح : ١٧ و ١٦	خ
ك	خراسان : ٤٧ و ٣٧
الكوفة : ١١٤ و ١١٥	د
م	دجلة : ١٣٢ و ١٢١
الخرقة : ٣٧	دمشق : ١٢٠ و ٩٠ و ٨١
	ر
	رصافة هشام : ١٥

هـ	المحلة : ٣٠
	المدينة : ٨١
الهند : ١٢٢	مدينة السلام : ٣٢ و ١١٠ و ١١٢ و ١٣٠
و	( بغداد )
واسط : ٧٧ و ٣١	مصر : ٨٥ و ١٠ و ١٧ و ١٨ و ٢٨ و ٢٩ و ٤٢ و ٥٠ و ٨٥
ي	و ٨٨ و ٩٣ و ١٠٣ و ١٢٠ و ١٢٦ و ١٣٠ و ١٣٥
	المغرب : ٦١ و ٥٥ و ٥٣
العين : ٩٣	مكة : ٣٩ و ٣٨

## فهرس السكتاب

صفحة

ترجمة المؤلفت ، الأستاذ محمود محمد شاكر

مقدمة المؤلف

رقم

### ١ — المكافاة على الحسن

- |    |   |
|----|---|
| ٣  | ١ — حديث خالد القسرى وديوانياته                 |
| ٥  | ٢ — ماشاء الله بن مرزوق ومتضمن                  |
| ٧  | ٣ — أحمد بن دعيم وأعرابيان                      |
| ٩  | ٤ — موسى بن مصلح ومحبوس                         |
| ١١ | ٥ — إسماعيل بن أسباط والخنّاق                   |
|    | ٦ — مسالبة بن عبد الملك ومحمد بن على جد الخلفاء |
| ١٥ | العباسيين                                       |
| ١٦ | ٧ — إسحاق بن نصير العبادى ووراق                 |
| ١٨ | ٨ — ابن الزنق النخاس والقاسم بن شعبة            |
| ٢٠ | ٩ — هارون بن ملول وإسحاق بن تميم                |
| ٢١ | ١٠ — المؤلف وأعراب من القيسية                   |
| ٢٤ | ١١ — المؤلف وعباسى من ولد المأمون               |
| ٢٦ | ١٢ — يحيى بن نجه وعمر بن فرج الرخجى             |



رقم	صفحة
١٣	— حديث يوسف بن إبراهيم والد المؤلف ومصطنعيه ٢٨
١٤	— د المؤلف وبعض التجار ٢٩
١٥	— د أحمد بن بسطام وصاعد ٣١
١٦	— د نجاح بن مسلمة وإسحاق بن تميم ٣٣
١٧	— د محمد بن يزيد ومسافر «أحد المتلصصين» ٣٦
١٨	— د أبي حبيب المقرئ وراعى غنم ٣٨
١٩	— د أحمد بن أبي عصمة الكاتب وأحمد بن طغان ٤٠
٢٠	— د نصراني (من أرياف مصر) ومستتر ٤٢
٢١	— د يحيى بن خالد البرمكي والفضل بن سهل ٤٥
٢٢	— د على المنطبيب وبعض ولد أفلاطون ٤٨
٢٣	— د المؤلف وأبو على محمد بن سليمان ٥٠
٢٤	— د المؤلف وسوار بن أبي شراعة الشاعر ٥١
٢٥	— د علان بن المغيرة وبعض الفقهاء ٥٢
٢٦	— د يوسف بن إبراهيم ورجل من أشرف الطالبين ٥٦
٢٧	— د موسى بن مصلح وجماعة من التجار ٥٧
٢٨	— د تاجر وزوجته ٥٨
٢٩	— د هرثمة بن أعين والرشيد ٦١
٣٠	— د أبي يوسف القاضي والرشيد ٦٢
٣١	— د أبي يوسف القاضي وبذل جارية الرشيد ٦٤
٣٢	— د المنصور ورجل من عمال هشام بن عبد الملك ٦٦
٦٦	بعض أقوال الفلاسفة في حسن المكافأة
٦٧	خاتمة الباب الأول

## ٢ - المكافأة على القبيح

- ٣٣ - حديث ملك الهياطة رفيروز ملك الفرس ٦٨
- ٣٤ - » محمد بن عبد الملك الزيات والمتوكل العباسي ٧٢
- ٣٥ - » ابن سليمان كاتب شقيق الخادم وجلاد ٧٤
- ٣٦ - » أبي عبد الرحمن العمرى وغلبنه ٧٥
- ٣٧ - » عامل مفسط وجماعة من الخوارج ٧٦
- ٣٨ - » أحد عمال الصدقة ومتظلم ٧٧
- ٣٩ - » عدى بن زيد والنعمان بن المنذر ٧٨
- ٤٠ - » رجل من أشرف المدينة ورجل من
- أولياء الأمويين ٨١
- ٤١ - » مولى لأبي العباس ورجل مزور رؤساء الأمويين ٨٢
- ٤٢ - » أحد الأكاسرة وولده ٨٣
- ٤٣ - » خالد بن سهم ومروان بن محمد الجعدي ٨٣
- ٤٤ - » أحمد بن طولون وأحمد بن المدبر ٨٥
- ٤٥ - » أحمد بن المدبر ومتقبل ٩٠
- ٤٦ - » نهارويه بن طولون ومحمد بن أبي الساج ٩١
- ٤٧ - » أحد قرابة ابن يعفر وعجوز يمانية ٩٣
- ٤٨ - » الخيزران أم الرشيد و امرأة هشام بن عبد الملك ٩٥
- ٤٩ - » اليون وميخائيل ملكا الروم ٩٦
- ٥٠ - » سيف بن ذي يزن ومتغلب على مملكته ٩٩
- ٥١ - » كاتب أبي الوزير وجماعة من العمال ١٠١

رقم	صفحة
٥٢ -	حديث ابن الأبرد وكان به
٥٣ -	• عمرو بن العاص ورعية من القبط
٥٤ -	• الدفاني والحناف
١٠٥	خاتمة الباب الثاني

### ٣ - حسن العقبي

٥٥ -	حديث ابني عمر الأخباري و غلام ينشطر
٥٦ -	• رجل اختلت حاله وعباس بن خالد البرمكي
٥٧ -	• أبي يوسف القاضي وابن القاسم الغنوي
٥٨ -	• علي بن سند وأبي الجيش ثابت
٥٩ -	• محمد بن صالح الغوري ولص
٦٠ -	• مصقلة بن حبيب ومعن بن زائدة
٦١ -	• جيش بن خمارويه وأعمامه
٦٢ -	• رجل من تجار مصر وأحد ملوك الهند
٦٣ -	• الفضل بن يحيى البرمكي وشامي
٦٤ -	• يوسف بن إبراهيم وأحمد بن المدبر
٦٥ -	• إبراهيم بن العجمي وأبني موسى بن شاكر
٦٦ -	• محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر وسند بن علي
٦٧ -	• المرابطين بأفريطش وجيش من الروم
٦٨ -	• سهل بن شنيف وأحمد بن بسطام
٦٩ -	• المؤلف وأحمد بن بسطام
٧٠ -	• قابلة أولاد خمارويه وأختها

رقم	صفحة
٧١ —	حديث سند بن علي وابن سعيد الجوهري ١٤٠
٧٢ —	جبريل بن بختيشوع والرشيدي ١٤٤
٧٣ —	عمرو بن عثمان الكاتب والرشيدي ١٤٥
	بعض أقوال الفلاسفة في حسن العقبي ١٤٦
	خاتمة الباب الثالث ١٤٧
	فهرس الأعلام ١٤٩
	فهرس الأماكن ١٥٤

